

دولة ماليزيا

وزارة التعليم العالي kpt

جامعة المدينة العالمية

كلية العلوم الإسلامية

قسم التفسير وعلوم القرآن

التراكيب القرآنية

وأثر تقلباتها ودلالاتها اللغوية في التفسير

أطروحة تقدمت بها الطالبة :

زهراء البتول محمود طباخ

لنيل درجة الدكتوراه

إشراف د . هاني محمد البشبيشي

العام الجامعي فبراير 2011م



صفحة الإقرار

صفحة الإقرار

أقرت جامعة المدينة العالمية بماليزيا بحث الطالب (زهراء البتول محمود الطباخ) من الآتية أسماؤهم:

المشرف

د\هانى محمد البشبيشى

المتحن الداخلي

د\ الصافى صلاح الصافى

المتحن الخارجى

أحمد محمد عبد العاطي

APPROVAL PAGE

The dissertation of (Zahra elbatol mahmoud) has been approved :by the following

Supervisor

Internal Examiner

External Examiner

Chairman

إعلان

أقر بأن هذا البحث هو من عملي الخاص، قمتُ بجمعه ودراسته، وقد عزوت النقل والاقتباس إلى مصادره.

اسم الطالب: زهراء البتول محمود الطباخ

التوقيع:

الطالبة : زهراء البتول بنت محمود طباخ

الرقم المرجعي: Ai204

التوقيع :

التاريخ:

DECLARATION

I hereby declare that this dissertation is the result of my own .investigation, except where otherwise stated

Student’s name: Zahra elbatol mahmoud

:Signature

الطالبة : زهراء البتول بنت محمود طباخ

الرقم المرجعي: Ai204

التوقيع :

:Date

جامعة المدينة العالمية

إقرار بحقوق الطبع وإثبات مشروعية استخدام الأبحاث العلمية غير المنشورة

عنوان البحث: " **التراكيب القرآنية**

وأثر تقلباهما ودلالاهما اللغوية في التفسير

لا يجوز إعادة إنتاج أو استخدام هذا البحث غير المنشور في أي شكل أو صورة من دون إذن مكتوب من الباحث إلاّ في الحالات الآتية:

1. يمكن الاقتباس من هذا البحث بشرط العزو إليه.
2. يحق لجامعة المدينة العالمية بماليزيا الإفادة من هذا البحث بشتى الوسائل وذلك لأغراض تعليمية، وليس لأغراض تجارية أو تسويقية.
3. يحق لمكتبة جامعة المدينة العالمية بماليزيا استخراج نسخ من هذا البحث غير المنشور إذا طلبتها مكتبات الجامعات، ومراكز البحوث الأخرى.

أكّد هذا الإقرار: زهراء البتول محمود الطباخ

التوقيع	التاريخ
____________	____________

الطالبة : زهراء البتول بنت محمود طباخ

الرقم المرجعي: Ai 204

التوقيع :

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، أنزل القرآن العظيم هاديا شافيا وضاء ، شفت براهينه أعينا عميا فأبصرت ، وقرعت حججه آذانا صما فسمعت ووعت ، وأضاءت أنواره قلوبا غلفا فتفتحت واهتدت ، والصلاة والسلام على من أرسله الله بأفصح لسان ، وأنصع بيان ، فآتاه الحكمة وفصل الخطاب .

والرضا عن الصحابة الأخيار والتابعين لهم بإحسان الذين ساروا على الدرب على بصيرة فكانوا خير دعاة وأفضل هداة .

وبعد :

فإن القرآن الكريم كتاب هداية وإعجاز ، والإعجاز فيه ليس لمجرد التعجيز ، وإنما لتحقيق الغاية النبيلة التي نزل من أجلها هذا القرآن ، ألا وهي الهداية للتي هي أقوم ، بكل ما تحمله كلمة (أقوم) من التنكير الذي يفيد العموم في هذا التفضيل المطلق كما أشار إلى ذلك قوله سبحانه :

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾[1]

فالقرآن الكريم حجة دامغة وهداية ماضية ومعجزة خالدة ، خاطب الله به العقل والفكر والقلب والوجدان ، وتحدى به البشرية جمعاء . وعلى تاليه أن يتدبر معانيه ويتأملها ، كلما رتل سوره وردد آياته قال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾[2]

---

(1) من سورة الإسراء 17: (الآية / 9) .

(2) من سورة النساء 4 : (الآية / 82) .

(فالقرآن أفضل كتب الله الجليلة أنزله الله على خير خلقه عامة ، وبعثه به إلى خير أمة، أعجزت الفصحاء معارضته ، وأعيت الألباء مناقضته ، وأخرست البلغاء مشاكلته ، فلا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ، جعل أمثاله عبرا للمتدبرين ، وأوامره هدى للمستبصرين ، وضرب فيه الأمثال ، وفرق فيه بين الحلال والحرام ، وكرر القصص والمواعظ بألفاظ لا تمل ولا تخلق على كثرة السرد ، وحثنا على فهم معانيه وبيان أغراضه ومبانيه ، فليس المراد حفظه وسرده من غير تأمل لمعناه ولا تفهم لمقاصده ، فقال جل من قائل : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [1])[2]

إن اللفظة بمفردها في كتاب الله عز وجل تمثل أرقى ألوان الجمال ، وإحدى صور الإعجاز ، فتبعث على التأمل الذي يقود إلى الهداية .

(إن الأداء القرآني يمتاز بالتعبير عن قضايا ومدلولات ضخمة ، في حين يستحيل على البشر أن يعبروا فيه عن مثل هذه الأغراض وذلك بأوسع مدلول ، وأدق تعبير وأجمله وأحياه أيضا ، مع التناسق العجيب بين المدلول والعبارة والظلال والجو ، ومع جمال التعبير دقة الدلالة في آن واحد ، بحيث لا يغني لفظ عن لفظ في موضعه ، وبحيث لا يجور الجمال على الدقة ولا الدقة على الجمال ، ويبلغ من ذلك كله مستوى لا يدرك إعجازه أحد ، كما يدرك ذلك من يزاولون فن التعبير فعلا ، لأن هؤلاء هم الذين يدركون حدود الطاقة البشرية في هذا المجال ثم يتبينون بوضوح أن هذا المستوى فوق الطاقة البشرية قطعا)[3]

فالكلام البليغ والبيان الكامل هو الذي يكافئ في الإنسان قوتي التفكير والوجدان ، ويؤتي النفس الإنسانية حظها من الفائدة العقلية والمتعة الوجدانية معا .

وهذا يتحقق بصدق في القرآن الكريم كلام رب العالمين ، حيث إن الله هو القادر على أن يخاطب العقل والقلب معا ، ويمزج الحق والجمال معا يلتقيان ولا يبغيان . لا ينسى حق العقل من حِكَمِه وعبره ، ولا ينسى حظ القلب من تشويقه وتنفيره .

---

(1) من سورة محمد 47 : (الآية / 24) .

(2) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون لابن السمين الحلبي تحقيق الدكتور أحمد الخراط ، دار القلم ، ط ، 1415هـ : (ج3/1)

(3) في ظلال القرآن لسيد قطب ، دار الشروق ، ط11 ، 1405هـ 1985م : (ج3/ 1787) .

ومن أكبر الأدلة على عظمة القرآن وإعجازه أننا لا نستطيع أن نبدّل لفظة من القرآن بلفظة أخرى ، فكل لفظة في سياقها تؤدي مهمتها ومعانيها الرائعة ، ولا يقوم مقامها أية لفظة أخرى .

فكتاب الله لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب على لفظة أحسن منها لم توجد بل هو كما وصفه الله ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ ﴾ [1]

وخطاب العقل والقلب معا يتحقق في القرآن الكريم يقول الدكتور محمد عبد الله دراز : (فإن ســـرّك أن ترى كيف تجتمع هاتان الغايتان على تمامهما بغير فترة ولا انقطاع ، فانظر حيث شئت من القرآن الكريم ، تجد بيانا قد قدر على حاجة النفس أحسن تقدير ، يؤدي لك من كل معنى صورة نقية وافية ، نقية لا يشوبها شيء مما هو غريب عنها ، ووافية لا يشذ عنها شيء من عناصرها الأصلية ولواحقها الكمالية ، كل ذلك في أوجز لفظ وأنقاه ....

هذا ولو رجعت إليه كرة أخرى لرأيتك منه بإزاء معنى جديد ، غير الذي سبق إلى فهمك أول مرة ، وكذلك .... حتى ترى للجملة الواحدة أو محتمل للصحة ، كأنما هي فص من الماس يعطيك كل ضلع منه شعاعا ، فإذا نظرت إلى أضلاعه جملة بهرتك بألوان الطيف كلها ، فلا تدري ماذا تأخذ عينك وماذا تدع ؟ ولعلك لو وكلت النظر فيها إلى غيرك رأى منها أكثر مما رأيت . وهكذا تجد كتابا مفتوحا مع الزمان يأخذ كل منه ما يسر له ، بل ترى محيطا متــرامي الأطراف لا تحده عقول الأفراد ولا الأجيال)[2]

(فالبلاغة التفتت إلى الصور الجزئية وتركت ما يسمى بالدلالة ، الدلالة شيء يختلف عن البلاغة . البلاغة تبحث عن حلاوة التشبيه ، وروعة الاستعارة ، وقوة الكناية ، وجمال الفصل أو الوصل ، وجمال الإنشاء والخبر ، إلى آخر هذه القضايا التي تثيرها علوم البلاغة . لكن البحث في دلالة اللفظ وتطور هذه الدلالة ، شيء ينبغي أن تخصص له بحوث كثيرة ، وخصوصا فيما يتعلق

---

(1) من سورة هود 11 : (الآية /1) .

(2) النبأ العظيم للدكتور محمد عبد الله دراز ، دار القلم ، ط 6 ، 1405هـــ ، 1984م : (111 ـــــــــــ 118) .

باستخدام الألفاظ بين القرآن ولغة الجاهلية . فالقرآن يمكن أن يضع أيدينا على كثير من الحقائق ، ويوقفنا عليها)[1]

وإذا تأملنا القرآن وجدنا الإبداع ظاهرا في احتوائه أفصح الألفاظ الرائعة المعبرة التي يتلــقاها السمع أحسن قبول ، فأي مفردة تناولناها بالفحص وجدنا حروفها متلاقية متآلفة ، وأسرار معانيها منسجمة غاية الانسجام مع سياق الآية أو الآيات التي وردت فيها تلك اللفظة .

فالله سبحانه وتعالى محيط بكل شيء علما ، وقد أحاط جل شأنه باللسان العربي علما فمخضه وألقى زبدته في كتابه الكريم .

قال الراغب الأصفهاني[2] : (وأتبع هذا الكتاب إن شاء الله تعالى ونسأ في الأجل بكتـــاب ينبئ عن تحقيق الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد ، وما بينها من الفروق الغامضة ، فبذلك يعرف اختصاص كل خبر بلفظ من الألفاظ المترادفة دون غيره من أخواته)[3]

(وإن من أسس البلاغة وعمادها وضع اللفظ في المعنى الذي هو به أخص وأولى ، فإنه إذا أُبدل غيره مكانه نجم عنه تبدل في المعنى يفسد الكلام أو يذهب بالرونق فتتدنى البلاغة.

فإن في الكلام العربي ألفاظا يحسبها أكثر الناس متساوية في بيان مراد المتكلم كالحمد والشكر وغيرها كثير ، غير أن لكل لفظة خاصة تميزها عن اللفظة التي تقاربها في بعض المعنى وإن كانت تشترك معها في بعض الدلالة)[4]

ثم تتابعت العصور ، وبقي هذا الإعجاز القرآني كالطود الشامخ معجزا ومتحديا ، وسيظل كذلك حتى تقوم الساعة ، لأن حكمة الله البالغة اقتضت أن تكون معجزة الإسلام شيئا يصلح للبقاء ، فكان هذا القرآن المعجز كلاما يتلى في أذن الدهر ، وحديثا يقرأ على سمع الزمان ، وما

---

(1) من محاضرة (القرآن واللغة العربية) د . عبد الصبور شاهين بتاريخ : 11/4/ 1398هـــ ، من محاضرات نادي المنورة الأدبي .

(2) الراغب الأصفهاني : الحسين بن محمد بن المفضل ، إمام في اللغة من كتبه : المفردات في غريب القرآن ، وتفسير القرآن الكريم ، ودرة التـــأويل في متشابه التنـــزيل ، وكتاب الشامل في اللغة ، وتحقيق البيان في تأويل القرآن . توفي 502ه ينظر : بغية الوعاة للسيوطي 2 / 297 ، وسير أعلام النبلاء للذهبي : 18 / 120 .

(3) مقدمة مفردات ألفاظ القرآن ، للشيخ الراغب الأصفهاني ، تحقيق الدكتور / صفوان عدنان داوودي ، دار القلم ، الدار الشامية ، ط ، 1412هـــ ، 1992م ، ص55 .

(4) المعجزة الخالدة للدكتور حسن عتر ، دار البشائر الإسلامية ، ط3 ، 1415هـــ ، 1994م ، ص203.

كان لأسرار إعجازه أن تبلغ ما بلغت لولا ما فيه من فنون الفصاحة وروائع البيان ، مما يتعذر على أفصح الفصحاء وأبلغ البلغاء أن يلحق بها أو أن يقدر على محاكاتها لأنها كلام الله وكفى .

تعريف الإعجاز وأنواعه وأغراضه :

قال الله تعالى : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴾[1]

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : ((ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا))[2]

فالقرآن الكريم هو أعظم آية وأجل معجزة .

(الإعجاز : إثبات العجز ، والعجز في التعارف : اسم للقصور عن فعل الشيء ، وهو ضد القدرة ، وإذا ثبت الإعجاز ظهرت قدرة المعجز)[3]

(والمعجزة : أمر خارق للعادة ، مقرون بالتحدي ، سالم عن المعارضة ، وهي إما حسية وإما عقلية ، وأكثر معجزات بني إسرائيل كانت حسية)[4]

وجاء في تعريف المعجزة : (هي أمر يعجز البشر متفرقين ومجتمعين عن الإتيان بمثله أو هي أمر خارق للعادة خارج عن حدود الأسباب المعروفة ، يخلقه الله على يد مدعي النبوة عند دعواه إياها شاهدا على صدقه)[1]

---

(1) من سورة الإسراء 17 : (الآية / 88) .

(2) رواه البخاري : (فضائل القرآن باب 1 ، ج9 ص3 ، رقم الحديث 4981 ، اعتصام باب 1 ، ج13 ص247، رقم الحديث 7274) ، ومسلم : (إيمان ، رقم الحديث 239 ، ج2/ ص 186) .

(3) مباحث في علوم القرآن للدكتور مناع القطان ، مؤسسة الرسالة ، ط 12 ، 1403هـ 1983م ، ص 258 ـــــ 259.

(4) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، 1426هـ ، ج1/116 .

اقتضت حكمة الله سبحانه أن يؤيد أنبياءه ورسله بمعجزات خارقة للعادات تدلل على صدق دعواهم ، وأن ما يدعون إليه ليس من عند أنفسهم ، وإنما هم مبلغون عن ربهم .

(لأنه لا يصح بعثة النبي من غير أن يؤتى دلالة ، ويؤيد بآية ، لأن النبي لا يتميز من الكاذب بصورته ولا بقول نفسه ، ولا بشيء آخر سوى البرهان الذي يظهر عليه فيستدل به على صدقه)(2)

فكانت معجزات الرسل عليهم أفضل الصلاة وأزكى التسليم تناسب ما شاع وانتشر في عصرهم لتكون أبلغ في التحدي وأرجى للإقناع .

فمثلا حين كان السحر منتشرا في عهد موسى عليه السلام كانت المعجزة التي أيد الله بها موسى في وجه فرعون وسحرته هي قلب العصا حية تسعى ، وهي في نظرهم من نوع سحرهم الذي يعرفون ، فإذا غلبتهم وقهرتهم على سحرهم تبين لهم بطلان ما هم عليه من السحر ، وظهر لهم بالبرهان القاطع والمعجزة الباهرة الحق الذي كانوا يجهلونه فيؤمنوا به .

ولما كان رسل الله الكرام يبعثون إلى قومهم خاصة فقد كانت معجزاتهم خاصة بأزمانهم أيضا لا تتعداها ، يشاهدها أهل زمانهم وتنقضي بانقضائهم ، إلا ما كان من معجزة سيد الخلق وحبيب الحق رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم حيث كانت معجزة خالدة لأن دعوته صلى الله عليه وسلم خاتمة الدعوات وهي باقية ما بقيت الأرض والسموات ، ألا وهي معجزة القرآن الكريم .

لذلك اقتضت حكمته سبحانه أن تكون معجزة هذا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم باقية خالدة ، تعجز وتتحدى في كل زمان ومكان حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، (لأن نبوة النبي صلى الله عليه وسلم معجزتها الباقية القرآن)(3)

---

(1) مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان ، ط 3 ، ص/66.

(2) إعجاز القرآن للقاضي الباقلاني ، دار المعارف ، القاهرة ، 1374هـ 1954م ، ج1/251 .

(3) البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، خرّج حديثه : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ، 1408هـ ، 1988م ، ج2/ 101 .

(وإن القرآن بما اشتمل عليه من هذه المعجزات الكثيرة قد كتب له الخلود ، فلم يذهب بذهاب الأيام ، و لم يمت بموت الرسول عليه الصلاة والسلام ، بل هو قائم في الدنيا يحاج كل مكذب ، ويتحدى كل منكر)[1]

نزل القرآن على حبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم وقريش في قمة الفصاحة والبلاغة لـــيكون التحدي بلغة القرآن وهم على هذه الدرجة أوقع وأظهر ، وهذا هو الإعجاز البياني .

ومن عجيب أمر القرآن أنه تنازل للعرب عن تحديه بجميع القرآن إلى سورة واحدة ، ومع ذلك عجزوا وانهزموا حيث قال لهم في سورة الطور أول ما تحداهم :

﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَـٰدِقِينَ ﴾[2]

فلما عجزوا قال لهم : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَـٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[3]

فلما عجزوا نزل معهم إلى أن يأتوا بسورة واحدة ومع ذلك عجزوا و لم يستطيعوا ، قال الله لهم : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾[4]

فكان عجزهم بعد ذلك أشنع وأبشع وسجل الله عليهم الهزيمة أبد الدهر ، (ولا خلاف بين العقلاء أن كتاب الله تعالى معجز لم يقدر أحد على معـــــــارضته بعـــــــــــد تحـــــــــــديهم بذلك قال تعالى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ

---

(1) مناهل العرفان للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني : ج2/ 232 .

(2) من سورة الطور : (الآيتان / 33 ـــــــ 34) .

(3) من سورة هود : (الآيتان / 13 ـــــــ 14) .

(4) من سورة البقرة 2 : (الآيتان / 23 ـــــــ 24) .

﴿ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾[1] فلولا أن سماعه حجة لم يقف أمره على سماعه ، ولا يكون حجة إلا وهو معجزة)[2]

لقد كان لهذا القرآن الكريم تأثير السحر في نفوس العرب ، وأسلم كثير منهم بسبب فصاحته وإعجازه البياني ، والذين لم يؤمنوا كان عدم إيمانهم بسبب العناد والمكابرة والحسد قال تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ٢٦ ﴾[3] إنها طريقة في النصر والغلب طريفة وسابقة : والغوا فيه !! أي لا تمكنوا الناس من سماع القرآن وذلك بما تحدثونه عند قراءة النبي له من صخب وتشويش وضوضاء .

(فالقرآن المعجز هو البرهان على صحة النبوة ، أما صحة النبوة فليست برهانا على إعجاز القرآن ، أي أننا إذا أثبتنا أن القرآن معجز نكون قد أثبتنا أو أقمنا الدليل على صحة النبوة ولكن العكس غير صحيح .

إن الأدلة على أن القرآن وحي تثبت أنه كتاب إلهي أو سماوي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم وتضعه مع الكتب الإلهية التي نزلت على الأنبياء السابقين كالتوراة والإنجيل في كونها جميعا تشترك في أنها وحي ، في حين ينفرد القرآن الكريم بأنه وحي معجز فالإعجاز إذن وصف زائد على أن القرآن الكريم وحي وأنه من كلام الله تعالى)[4]

وقد ذكر العلماء رحمهم الله للإعجاز أنواعا منها : الإعجاز البياني ، والإعجاز الغيبي ، والإعجاز العلمي ، والإعجاز التشريعي .

فالإعجاز الغيبي أن يخبر القرآن بأمور مستقبلية لا يعلمها إلا الله فتقع كما أخبر الله جل وعلا ، مثل الإخبار عن أبي لهب وزوجته أنهما في النار ، وفعلا ماتا على الكفر و لم يسلما مع أن سورة المسد نزلت قبل أن يموتا بعشر سنوات ، والإعجاز العلمي هو أن يخبرنا الله بحقيقة علمية لم تكتشف إلا في العصر الحديث فتكون سببا في إسلام الكثير حيث تكون المعجزة العلمية

---

(1) من سورة التوبة 9 : (الآية / 6) .

(2) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي : ج5/ 1874 .

(3) من سورة فصلت 41 : (الآية / 26) .

(4) علوم القرآن وإعجازه للدكتور عدنان زرزور ، دار الأعلام ، ط ، 1426 هـ ، 2005م ، ص 473–474 .

موجودة في القرآن فيكون هذا دليلا على أن القرآن الكريم من عند الله وليس من عند محمد صلى الله عليه وسلم ، أما الإعجاز التشريعي فهو أن القرآن دستور تشريعي كامل يقيم الحياة الإنسانية على أفضل صورة وأرقى مثال ويصلح لكل الأماكن والأزمان ، وسيظل إعجاز القرآن التشريعي قرينا لإعجازه الغيبي واللغوي والعلمي إلى الأبد .

وأوضح جانب وأبرزه هو الإعجاز البياني لأن القرآن الكريم أنزل بلسان عربي مبين على أمة عربية .

(فإذا برع اللفظ في المعنى البارع كان ألطف وأملك للب من ورود اللفظ في المعنى المعروف المتداول ، وإذا توافقت الألفاظ مع المعاني والمعاني مع الألفاظ من غير زيادة في أحدهما على الآخر كانت البراعة أظهر والفصاحة أتم ، فالمعاني الجديدة التي تضمنها الـــقرآن الكريم قد وردت بتلك الألفاظ البديعة ، وقد وافق بعضها بعضا في اللطف والبراعة)[1]

فما لفظة في القرآن إلا لها دلالة خاصة وموقع سديد ، فلو نزعنا كلمة منه ثم نظرنا في لسان العرب كله إلى أحسن منها في موقعها وائتلافها مع ما حولها لا ارتد إلينا طرفنا خاسئا وهو حسير ، من عظمة البلاغة والفصاحة القرآنية .

وكلما ازداد المرء بصيرة بأسرار العربية وامتلاكا لناصية البيان ازداد للقرآن إذعانا وبإعجازه إيمانا .

أهمية البحث وسبب اختياره :

إن العلوم القرآنية أشرف العلوم وأجلها ، والمشتغل فيها ينال رفعة وكرامة لا يجدها أي مشتغل بأي علم آخر ، لما لهذا الكتاب العظيم من أثر طيب في توجيه الناس إلى كل خير.

والتدرج بالمؤمنين إلى أرقى مراتب الكمال ، وذلك لمعرفتهم بحقيقة ما يريده ربهم منهم، وفهمهم لأسرار الكتاب الذي نزل لهدايتهم حتى يحسوا نداءه غضاً طرياً ، ويستشعروا خطابه حياً ندياً فيكون لهم من الأجر أعظمه .

فالقرآن الكريم حجة دامغة ، وهداية ماضية ومعجزة خالدة ، وعلى تاليه أن يتدبر هذه المعاني كلها ويتأملها كلما رتل سوره ، وردد آياته .

---

(1) المعجزة الخالدة لحسن عتـــر/ 204 .

إن اللفظة بمفردها في كتاب الله عز وجل تمثل أرقى ألوان الجمال ، وإحدى صور الإعجاز، فتبعث على التأمل الذي يقود إلى الهداية .

من أجل هذا كله فقد كان لهذه الاعتبارات جميعها أثرها الكبير في جعلي أتوجه إلى هذا الموضوع كي أجمع ما يتيسر لي من دراسة تلك الدقائق اللغوية في القرآن الكريم ، حتى تتضح بعض صور الإعجاز القرآني التي تــثير الهداية التي من أجلها كان هذا القرآن العظيم .

ومن هنا فإني لن أقف في هذه الدراسة عند حدود الإعجاز اللغوي بعيدا عن أثره في الهداية ، وإنما سوف أقوم بتوظيف تلك الدراسة اللغوية وأستثمرها لخدمة تلك الغاية النبيلة .

منهج البحث :

سأتبع بإذن الله المنهج التطبيقي والتحليلي الذي يعتمد على البحث والتحليل .

وقد راعيت الأمور التالية :

1 ــــــ عزوت الآيات القرآنية إلى السور مع ذكر رقم الآية .

2 ــــــ كتبت الآيات القرآنية بالخط العثماني من مصحف المدينة النبوية .

3 ــــــ عزوت الأحاديث الواردة في الصحيحين إليهما بذكر اسم الكتاب واسم الباب ورقم الحديث وموضعه بالجزء والصفحة في الشرح . وإذا كان الحديث في غير الصحيحين ذكرت من صححه أو حسنه من العلماء .

4 ــــــ ضبطت أحاديث الدراسة بالشكل .

5 ــــــ ذكرت معاني مفردات الألفاظ الغريبة بعد الرجوع إلى المعاجم والقواميس المشهــورة مثل : لسان العرب والقاموس المحيط والنهاية في غريب الحديث والأثر ونحو ذلك .

6 ــــــ ترجمت لراوي الحديث من الصحابة فقط دون غيره من رواة الحديث .

7 ــــــ ترجمت للأعلام الواردين في الدراسة ترجمة مختصرة ولو كانوا من المشتهرين .

8 ــــــ حرصت على الرجوع إلى المصادر الأصلية مباشرة .

9 ــــــ رتبت كلمات القرآن داخل كل مبحث أثناء دراستي لها حسب ترتيب السور في المصحف الشريف .

موضوع الدراسة :

جعلت هذه الدراسة في مقدمة وفصلين وستة مباحث وخاتمة .

المقدمة وتشمل :

تعريف الإعجاز وأغراضه وأنواعه ، وتحدثت فيها عن أهمية الموضوع وأسباب اختياره ومنهج البحث فيه وخطته .

الفصل الأول : الأسماء :

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : ما يحتمل معنيين فقط .

المبحث الثاني : ما يحتمل ثلاثة معاني .

المبحث الثالث : ما يحتمل أكثر من ثلاثة معاني .

الفصل الثاني : الأفعال :

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : ما يحتمل معنيين فقط .

المبحث الثاني : ما يحتمل ثلاثة معاني .

المبحث الثالث : ما يحتمل أكثر من ثلاثة معاني .

الخاتمة

أهم المصادر والمراجع

الفهارس

هذا جهد المقلّ ، فما كان من صواب فمن الله وحده وله الفضل والشكر ، وما كان من خطإ فمن نفسي ومن الشيطان ، ولا أنسى أن أشكر المشرف على الرسالة الأستاذ الدكتور محمد هاني البشبيشي على ملاحظاته ومتابعاته القيمة ، جزاه الله عني خير الجزاء ، وجعل ذلك في موازين حسناته . والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على سيدنا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الفصل الأول : الأسماء .

وفيه مباحث :

المبحث الأول : ما يحتمل معنيين .

المبحث الثاني : ما يحتمل ثلاثة معاني .

المبحث الثالث : ما يحتمل أكثر من معنى .

الفصل الأول : (الأسماء)

المبحث الأول : ما يحتمل معنيين .

الكلمة الأولى : (الحمد) من قوله تعالى : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [1]

فكلمة الحمد لها معنيان : 1 ـــــــ الشكر . 2 ـــــــ الثناء (المدح) .

وأراد الله بكلمة الحمد هذين المعنيين : معنى الحمد (الثناء على الجميل من نعمة أو غيرها)[2] مع (المحبة والإجلال)[3]

---

(1) من سورة الفاتحة 1 : (الآية /1) .

(2) البحر المحيط لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان ، دار الكتب العلمية ، لبنان 1422هـ 2001م ، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود : ج1/ 130.

(3) الكشاف لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط : ج1/ 37 .

فالحمد أن تذكر محاسن الغير سواء كان ذلك الثناء على صفة من صفاته الذاتية كالعلم والصبر والرحمة والشجاعة أم على عطائه وتفضله على الآخرين ، ولا يكون الحمد إلا للحي العاقل .

وهذا من أشهر ما فرّق بينه وبين المدح ، فإننا قد نمدح اللؤلؤ ولكن لا نحمده .

جاء في تفسير الرازي[1] : (إن المدح قد يحصل للحي ولغير الحي ، ألا ترى أن من رأى لؤلؤة في غاية الحسن أو ياقوتة في غاية الحسن فإنه قد يمدحها ويستحيل أن يحمدها ، فثبت أن المدح أعم من الحمد ، وإن المدح قد يكون قبل الإحسان وقد يكون بعده ، أما الحمد فإنه لا يكون إلا بعد الإحسان)[2]

فالمدح أعم من الحمد ، إلا أن في الحمد تعظيم وإجلال ومحبة ليس موجودا في المدح .

ولذلك قال الله : (الحمد لله) ولم يقل : (المدح لله) ، وكذلك لم يقل الله : (الشكر لله) لأن الشكر لا يكون إلا في المكافأة والجزاء ، والحمد يكون ابتداء بمعنى الثناء ، (الحمد: الثناء على الجميل سواء كان نعمة مسداة إلى أحد أم لا ، يقال : حمدت الرجل على ما أنعم به عليَّ وحمدته على شجاعته ، ويكون باللسان وحده دون عمل الجوارح ، إذ لا يقال حمدت زيدا ، أي عملت له بيدي عملا حسنا بخلاف الشكر فإنه لا يكون إلا نعمة مسداة إلى الغير ، يقال : شكرته على ما أعطاني ولا يقال : شكرته على شجاعته ويكون بالقلب واللسان والجوارح قال تعالى: ﴿ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ﴾[3])[4]

([1]) الرازي : محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين أبو عبد فخر الدين الرازي الإمام المفسر ، أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل ، من تصانيفه : مفاتيح الغيب ثماني مجلدات في تفسير القرآن الكريم ، ولوامع البينات في شرح أسماء الله تعالى والصفات ، ومعالم أصول الدين ، وله شعر بالعربية والفارسية ، توفي 606ه الأعلام للزركلي : ج313/6 .

(2) تفسير الرازي المسمى مفاتيح الغيب لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1421هـ 2000م ، ط : ج178/1.

(3) من سورة سبأ 34 : (الآية / 13) .

(4) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني / 130 .

جاء في لسان العرب : (والحمد والشكر متقاربان ، والحمد أعمهما ، لأنك تحمد الإنسان على صفاته الذاتية وعلى عطائه ، ولا تشكره على صفاته)[1]

(فكان اختيار الحمد أولى من الشكر ، لأنه أعم فإنك تثني عليه بنعمه الواصلة إليك ، وإلى الخلق أجمعين ، وتثني عليه بصفاته الحسنى الذاتية وإن لم يتعلق شيء منها بك ، فكان اختيار الحمد أولى من المدح والشكر)[2]

ولمعرفة الفرق بين الحمد والشكر ننظر كذلك إلى ضد كل واحد منهما (فالحمد ضده الذم ، والشكر ضده الكفران ، فالحمد يكون على النازل المحبوب والمكروه ، بينما لا يرد الشكر بحال إلا على المحبوب)[3]

فالحامد قسمان : شاكر ومثنٍ بالصفات الجميلة ، أما المادح فقد يمدح صفات خَلْقية في الممدوح . قال الراغب : (الحمد لله الثناء عليه بالفضيلة وهو أخص من المدح وأعم من الشكر ، يقال فيما يكون من الإنسان باختياره وبما يكون منه وفيه بالتسخير ، فقد يمدح الإنسان بطول قامته وصباحة وجهه كما يمدح ببذل ماله وشجاعته وعلمه ، والحمد يكون في الثاني دون الأول)[4]

(وفرقوا بين الحمد والمدح بأمور : أن الحمد يشترط صدوره عن علم لا ظن ، وأن تكون الصفات المحمودة صفات كمال والمدح قد يكون عن ظن وبصفة مستحسنة وإن كان فيها نقص ما، وأن في الحمد من التعظيم والفخامة ما ليس في المدح وهو اخص بالعقلاء والعظماء وأكثر إطلاقا على الله ، وإن الحمد إخبار عن محاسن الغير مع المحبة والإجلال ، والمدح إخبار عن المحاسن ولذا كان الحمد إخبارا يتضمن إنشاء والمدح خبرا محضا ، والحمد مأمور به مطلقا ، والمدح ليس كذلك: ((إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التـــراب))[5])[1]

---

(1) لسان العرب ، للإمام أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ، دار الفكر ، ط ، 1300هـــ : مادة حمد : ج4 / 133.

(2) لمسات بيانية للدكتور فاضل السامرائي ، دار عمار ، ط3 ، 1427هـــ 2006م /13.

(3) المعجزة الخالدة لحسن عتر / 204 .

(4)ــــ للراغب الأصفهاني / 130.

(5) رواه مسلم : باب الزهد ، رقم الحديث 68 ــــــــــ 69 ، ج18 ، ص 128.

ثم إن (الحمد) فيما تواتر مرفوع وهو مبتدأ خبره (لله) ، قـــــــــــال الحافــظ ابن الجزري[2]: (كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا ، وصح سندها ، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ، ولا يحل إنكارها ، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ، ووجب على الناس قبولها) [3] والقراءة الشاذة هي التي فقدت أحد الشروط الثلاثة ، وهي بذلك جملة اسمية لتدل على الثبوت والدوام بخلاف الفعلية فإنها تدل على التجدد والحدوث . والجملة الاسمية أقوى وأثبت وأدوم .

(ولذلك قال العلماء : إن جواب خليل الرحمن عليه السلام في قوله تعالى حكاية عنه (قَالَ سَلَٰمٌ)[4] أحســـن من قـــول الملائـــكة (قَالُواْ سَلَٰمًا)[5] امـــتثالا لقولـــــــــه تعـــــــالى : ﴿ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ ﴾[6])[7] ، والسبـــب في تفضيل (سلامُ) لأن المحذوف اســـم أي : ســـلامي سلام وهـــذا يعـــني أنها جـــملة اســـمية فهي تفيد الثبوت والدوام ، أما (سلاماً) قول الملائكة ، فالمحذوف فعل أي : أسلم سلاماً وهذا يعني أنها جملة فعلية وهذا يفيد التجدد والانقطاع .

جاء في الكشاف : (والعدل بها عن النصب إلى الرفع على الابتداء للدلالة على ثبات المعنى واستقراره ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فَقَالُواْ سَلَٰمًاۖ قَالَ سَلَٰمٌ ﴾[8] رفع السلام الثاني للدلالة على أن

---

(1) روح المعاني لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان، ط 4 ، 1405هـ 1985م : ج1/ 70 .

(2) ابن الجزري : محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف الجزري ، وكنيـــــــته أبو الخير ولد 751ه ، لـــــــــــه مـــــــــؤلفات نافعة ما بين منثور ومنظوم ، توفي سنة 833 ه .

(3) علوم القرآن وإعجازه للدكتور عدنان زرزور /296 .

(4) من سورة هود 11 : (الآية / 69) .

(5) من سورة هود 11 : (الآية / 69) .

(6) من سورة النساء 4 : (الآية / 86) .

(7) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ج1/ 40 .

(8) من سورة الذاريات 51 : (الآية / 25) .

إبراهيم عليه السلام حياهم بتحية أحسن من تحيتهم لأن الرفع دال على معنى ثبات السلام لهم دون تجدده وحدوثه .)[1]

وجاء في البحر المحيط : (وقراءة الرفع أمكن في المعنى ، ولهذا أجمع عليها السبعة لأنها تدل على ثبوت الحمد واستقراره لله تعالى ، فيكون قد أخبر بأن الحمد مستقر لله تعالى .... ومن نصب فلا بد من عامل تقديره : أحمد الله أو حمدت الله فيتخصص الحمد بتخصيص فاعله وأشعر بالتجدد والحدوث)[2] .

وجاء في تفسير البيضاوي : (وإنما عدل عنه إلى الرفع ليدل على عموم الحمد وثباته دون تجدده وحدوثه)[3] .

ومن الفروق بين الحمد والمدح (أن حمد يتضمن الثناء مع العلم بما يثني به ، فإن تجرد عن العلم كان مدحا و لم يكن حمدا ، فكل حمد مدح دون العكس ، ومن حيث كان يتضمن العلم بخصال المحمود جاء فعله على حَمِد بالكسر موازنا لعلم ، و لم يجئ كذلك مدح فصار المدح في الأفعال الظاهرة كالضرب ونحوه ، ومن ثم لم تجد في الكتاب والسنة حمد ربنا فلانا ويقول : مدح الله فلانا وأثنى على فلان ، ولا تقول حمد إلا لنفسه ، ولذلك قال سبحانه : الحمد لله بلام الجنس المفيدة للاستغراق ، فالحمد كله له إما ملكا وإما استحقاقا ، فحمده لنفسه استحقاق ، وحمد العباد له وحمد بعضهم لبعض ملك له ، فلو حمد هو غيره لم يسغ أن يقال في ذلك الحمد ملك له لأن الحمد كلامه ، و لم يسغ أن يضاف إليه على جهة الاستحقاق وقد تعلق بغيره)[4]

والحمد إخبار عن محاسن المحمود مع حبه وإجلاله وتعظيمه ، أما المدح فهو خبر مجرد عن الحب والإجلال ، فالقائل إذا قال : الحمد لله تضمن كلامه الخبر عن كل ما يحمد عليه تعالى باسم جامع محيط ، وذلك يستلزم إثبات كل كمال يحمد عليه الرب تعالى ، ولهذا لا تصلح هذه اللفظة على هذا الوجه ولا تنبغي إلا لمن هذا شأنه وهو الحميد المجيد ، ولما كان هذا المعنى مقارنا

---

(1) الكشاف للزمخشري : 1/ 39 .

(2) البحر المحيط لأبي حيان : 1/ 118ـــــــــــــ 119.

(3) تفسير البيضاوي للإمام ناصر الدين أبو الخير عبد الله الشيرازي البيضـــاوي ، دار الفكر ، 1402هـــ ، 1982م ، ط ، ص 3 .

(4) بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية ، دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان ، ط : ج2/ 92 .

للحمد لا تـــتقوم حقيقته إلا به ، فسره من فسره بالرضى والمحبة وهو تفسير له بجزء مدلوله بل هو رضاء ومحبة مقارنة للثناء .

ولذلك كله كان اختيار لفظة (الحمدُ) مناسبة للمقام مؤدية للمعنى المراد لا يؤديه غيرها من الألفاظ والحمد لله .

الكلمة الثانية : (الدين) من قوله تعالى : ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾[1]

من سورة الفاتحة ، (والدين : العادة والشأن ، والدين : الطاعة ، والدين : الحكم والجزاء في قوله عز وجل : ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾ والدين : الحال)[2]

ومرد هذه المعاني إلى معنيين : الجزاء والحساب ، قال الماوردي[3] : (وأما قوله تعالى : (يوم الدين) ففيه تأويلان : أحدهما : أنه الجزاء ، والثاني : أنه الحساب .

وفي أصل الدين في اللغة قولان : أحدهما : العادة ، والثاني : أن أصل الدين الطاعة ، وفي هذا اليوم قولان : أحدهما : أنه يوم ابتداؤه طلوع الفجر وانتهاؤه غروب الشمس ، والثاني : أنه ضياء يستديم إلى أن يحاسب الله تعالى جميع خلقه فيستقر أهل الجنة في الجنة ، وأهل النار في النار .

وفي اختصاصه بملك يوم الدين تأويلان :

أحدهما : أنه يوم ليس فيه ملك سواه ، فكان أعظم من ملك الدنيا التي تملكها الملوك .

والثاني : أنه لما قال : (رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ) يريد به ملك الدنيا ، قال بعده : (مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤) يريد به ملك الآخرة ليجمع بين ملك الدنيا والآخرة)[4]

---

(1) من سورة الفاتحة 1 : (الآية / 4) .

(2) مجمل اللغة لأحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان ، مؤسسة الرسالة ، ط 2 ، 1406هـ 1986م ، مادة : دين /342 .

(3) الماوردي : علي بن محمد بن حبيب أبو الحسن الماوردي ، أقضى قضاة عصره ، من العلماء الباحثين ، أصحاب التصانيف الكثيرة النافعة ، ولد في البصرة عام 364 هـ من كتبه النكت والعيون في تفسير القرآن ، توفي 450هـ . ينظر الأعلام ج327/4.

(4) النكت والعيون لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري ، راجعه وعلق عليه : السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، مؤسسة الكتب الثقافية : (ج56/1 ـــ 57) .

قال أبو جعفر[1] : (والدين في هذا الموضع بتأويل الحساب والمجازاة بالأعمال ، قال الله تعالى : ﴿ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ﴿٩﴾ ﴾[2] يعني بالجزاء وقوله تعالى : ﴿ فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾[3] يعني غير مجزيين بأعمالكم ولا محاسبين)[4]

ويوم الدين : يوم الجزاء من الرب سبحانه لعباده كما قال : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا ۖ وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾ ﴾[5]

(ودان : عصى وأطاع ، وذلَّ وعزَّ فهو من الأضداد ، والدين : القضاء ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ﴾[6] أي في قضائه وحكمه ، والدين : الحال ، وأيضا الطاعة ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا ﴾[7] ويستعار للملة والشريعة أيضا قال تعالى : ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ ﴾[8] يعني الإسلام بدليل قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾[9])[10]

([1]) أبو جعفر : محمد بن جرير بن يزيد الطبري ، أبو جعفر المؤرخ المفسر الإمام ، استوطن بغداد وتوفي بها سنة 310ه ، له كتاب : جامع البيان في تفسير القرآن . ينظر الأعلام ج69/6 ومعجم المؤلفين ج147/9 .

(2) من سورة الانفطار 82 : (الآية / 9) .

(3) من سورة الواقعة 56 : (الآية / 86) .

(4) تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط3 ، 1420هـ 1999م : (ج1 / 98) .

(5) من سورة الانفطار 82 : (الآيتان / 17 ـــ 19) .

(6) من سورة النور 24 : (الآية / 2) .

(7) من سورة النساء 4 : (الآية / 125) .

(8) من سورة آل عمران 3 : (الآية / 83) .

(9) من سورة آل عمران 3 : (الآية / 85) .

(10) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي : ج54/1 .

ويوم الدين هو يوم الجزاء ويؤيده قوله تعالى : ﴿ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ ﴾[1]

و ﴿ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٢٨ ﴾[2]

جاء في روح المعاني : (وأيضا للدين معان شاع استعماله فيها كالطاعة والشريعة ، فتذهب نفس السامع إلى كل مذهب سائغ ، وقد قال بكل من هذين المعنيين بعض أهل العلم ، والمعنى حينئذ على تقدير مضاف ، فعلى الأول يوم الجزاء الكائن للدين ، وعلى الثاني يوم الجزاء الثابت في الدين، وإذا أريد بالطاعة في الأول : الانقياد المطلق لظهوره ذلك اليوم ظاهرا وباطنا ، وجعل إضافة يوم للدين في الثاني لما بينهما من الملابسة باعتبار الجزاء لم يحتج إلى تقدير)[3]

ويوم الجزاء لا ينتهي لأن الجزاء لا ينتهي ، فأهل الجنة خالدون فيها ، وأهل النار خالدون فيها، وجزاء كل منهم فيها غير منقض فذلك هو يوم الدين .

جاء في حاشية الجرجاني على الكشاف في قوله : ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤ ﴾ (فإن الجزاء يتناول جميع أحوال الآخرة إلى السرمد)[4]

وفي تفسير النسفي[5] : يوم الدين (أي يوم الجزاء ويقال : كما تدين تدان ، أي كما تفعل تجازى ، وهذه إضافة اسم الفاعل إلى الظرف على طريق الاتساع أي مالك الأمر كله في يوم الدين، والتخصيص بيوم الدين لأن الأمر فيه لله وحده ، وإنما ساغ وقوعه صفة للمعرفة مع أن إضافة اسم الفاعل إضافة غير حقيقية لأنه أريد به الاستمرار فكانت الإضافة حقيقية فساغ أن يكون صفة للمعرفة)[6]

---

(1) من سورة غافر 40 : (الآية / 17) .

(2) من سورة الجاثية 45 : (الآية / 28) .

(3) روح المعاني للألوسي : (ج85/1) .

(4) حاشية الجرجاني على الكشاف : (145/1) .

(5) النسفي : عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ، أبو البركات ، حافظ الدين فقيه حنفي مفسر ، له مصنفات جليلة منها : مدارك التتزيل في تفسير القرآن ، وكتر الدقائق في الفقه ، والمنار في أصول الفقه ، توفي 710 ه . ينظر الأعلام ج4/ 67 .

(6) تفسير النسفي ، لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ، مطبعة علي صبيح وأولاده ، بدون تاريخ : (ج7/1).

ومن الأدلة من القرآن على معنى الديـــن قوله تعـــالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ ﴾[1] وقوله تعالى : ﴿ أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ۝٥٣ ﴾[2]

(وحكى أهل اللغة : دِنته بفعله دَيْنا (بفتح الدال) ودِينا (بكسرها) جزيته ، ومنه الديان في صفة الرب تعالى أي المجازي ، وفي الحديث : ((الكيس من دان نفسه))[3] أي حاسب)[4]

ومـــن هـــنا نرى أن كلمة الدين متناسبة مع الآية التي وردت فيها ﴿ مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾ ومتناسبة مع سورة الفاتحة بشكل عام .

(لأن إيثار لفظ الدين أي الجزاء للإشعار بأنه معاملة العامل بما يعادل أعماله المجزيَّ عليها في الخير والشر ، وذلك العدل الخاص قال تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ﴾[5] فلذلك لم يقل ملك يوم الحساب ، فوصفه بأنه ملك يوم العدل الصرف ، وصف له بأشرف معنى الملك ، فإن الملوك تتخلد محامدهم بمقدار تفاضلهم في إقامة العدل)[6]

الكلمة الثالثة : المفلحون من قوله تعالى : ﴿ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[7] ، كل من أصاب شيئا من الخير فقد أفلح ، والمصدر الفلاح وهو أيضا : البقاء .

---

(1) من سورة النور 24 : (الآية / 25) .

(2) من سورة الصافات 37 : (الآية / 53) .

(3) رواه الترمذي : (كتاب القيامة ، باب 25 ، ج4 ص550 ، رقم الحديث 2459) وقال حديث حســـــــــن ، وابــــن ماجه :(كتاب الزهد، باب 31 ، رقم الحديث 4260) ، والحاكم كتاب الإيمان رقم 191 ، وكتاب التوبة والإنابة 7639وقال حديث صحيح على شرط البخاري و لم يخرجاه .

(4) الجامع لأحكام القرآن ، للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان، ط ، 1408هـ 1988م : (ج101/1) .

(5) من سورة غافر 40 : (الآية / 17) .

(6) التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور تأليف محمد الطاهر بن عاشور ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت لبنان، ط ، 1421هـ ، 2000م : (ج1/ 174) .

(7) من سورة البقرة 2 : (الآية / 5) .

(والفلاح : الفوز والنجاة والبقاء في الخير ، والسَّحور ، والفَلْح : الشق والمكر والنجش في البيع ، والفلاَّح : الملاَّح والأكَّار والفَلاحة الحراثة)[1]

والمفلحون تشتمل على معنيين : أنهم الفائزون السعداء (والمعنى الثاني : المقطوع لهم بالخـــير ، لأن الفـــَلَح في كلامهم القطع ، وكذلك قيل للأكار : فلاح ، لأنه يشق الأرض)[2]

(قال ابن قتيبة [3] : المفلحون : الفائزون ببقاء الأبد . وأصل الفلاح : البقاء ، وقال الزجاج[4] : المفلــــــــــــح : الفــــــــــــائز بما فيــــــــــــه غـــــاية صلاح حاله ، قال ابن الأنباري[5] : ومنه : حيَّ على الفلاح ، معناه : هلموا إلى سبيل الفوز ودخول الجنة)[6]

(والفلاح : أصله الشق ومنه قوله : ((إن الحديد بالحديد يفلح))[7] ، ويعبر به عن الفوز والظفر بالبغية وهو مقصود الآية ، ويراد به البقاء)[8]

وفي تفسير الطبري: (المفلحون هم المنجحون المدركون ما طلبوا عند الله تعالى ذكره بأعمالهم وإيمانهم بالله وكتبه ورسله من الفوز بالثواب والخلود في الجنان ، والنجاة مما أعد الله تبارك وتعالى لأعدائه من العقاب)[9]

---

(1) القاموس المحيط ، تأليف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ط 2 ، 1371هـ 1952م ، مادة فلح ، ج1 / 249 .

(2) النكت والعيون للماوردي : (ج1/ 71) .

(3) ابن قتيبة : عبد الله بن مسلم بن قتيبة بن مسلم المروزي ، ولد سنة 213 ، له مصنفات كثيرة بلغت خمسة وستين مصنفا منها : غريب الحديث ، تفسير غريب القرآن ، أدب الكاتب ، تأويل مشكل الحديث ، تأويل مشكل القرآن ، توفي سنة 276 هـ . كتاب المعارف .

(4) الزجاج : إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج صاحب كتاب معاني القرآن ، كان من أهل الفضل والدين حسن الاعتقاد له مؤلفات حسان في الأدب . توفي 311ه . إنباه الرواة : ج194/1.

(5) ابن الأنباري : كان أحفظ الناس للغة والنحو والشعر والتفسير والقرآن مات 328هـ . ينظر طبــقات الحنابلة ج:202/1

(6) زاد المسير في علم التفسير ، للإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، المكتب الإسلامي ، ط4 ، 1407هـ 1987م : ج27/1 .

(7) مثل عربي : مجمع الأمثال !/ 8 .

(8) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي : ج104/1 .

(9) تفسير الطبري : ج140/1ـــــــ141 .

فعلى هذا يكون التعبير بـــ (المفلحون) أولى من (الفائزون) لأنها جمعت معنى : الفائزون بالبقاء والمدركون غايتهم والمقطوع لهم بالخير في الدنيا والآخرة الناجحون .

(والمفلح الفائز بالبغية كأنه الذي انفتحت له وجوه الظفر و لم تستغلق عليه ، والتركيب دال على معنى الشق والفتح)[1]

وفي تفسير الخازن : (فيكون المعـــــــى أولئـــــــــــــــــــك هــــــــــــــم البـــــــاقون في النعيم المقيم ، وأولئك هم المقطوع لهم بالخير في الدنيا والآخرة)[2]

وقد استعمل الفلاح في السحور ومنه الحديث : (حتى خشينا أن يفوتنا الفلاح مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت : وما الفلاح ؟ قال : السحور) [3] فكأن معنى الحديث (أن السحور به بقاء الصوم فلهذا سمي فلاحا)[4] ، وسمي السَّحور : الفلاح لأن به بقاء البدن والحفظ من الضعف .

(ثم الفلاح بمعنى إدراك البغية على ضربين دنيوي وأخروي ، فالدنيوي : الظفر بالسعادات التي بها تطيب حياة الدنيا ، والأخروي : أربعة أشياء : بقاء بلا فناء ، وغنى بلا فقر ، وعز بلا

---

(1) الكشاف للزمخشري : ج1/ 25 .

(2) تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنـــزيل ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، ط ، بيروت لبنان : ج1/ 24.

(3) أخرجه أبو داود في كتاب شهر رمضان رقم الحديث (1362) ، ج4/ 249 ، والترمذي في الصوم : رقم الحديث (806) ، ج3 /ص 169 ، والنسائي في كتاب السهو ، باب ثواب من صلى مع الإمام حتى ينصرف : (ج 3/ص 83ـــ84) رقم الحديث 103، وابن ماجه في إقامة الصلاة رقم الحديث 1327، باب ما جاء في قيام شهر رمضان ، ج 1 / ص 421 ، وأحمد 21485(163/5) ، والدارمي 1777(42/2) ، وابن حبان 2547(288/6)،وابن خزيمة 2206(337/3) و2210(340/3) قال الألباني في تعليقه على سنن ابن ماجه = =وأبي داود والنسائي : صحيح ، وقال حسين سليم أسد في تعليقه على الدارمي : صحيح ، وقال شعيب الأرنؤوط في تعليقه على أحمد وابن حبان : إسناده صحيح على شرط مسلم .

(4) فتح القدير لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني ، تحقيق د . عبد الرحمن عميرة ، دار الوفاء ، المنصورة ، ط 2 ، 1418هـــ 1997م : ج1/ 116 .

ذل ، وعلم بلا جهل . ولذلك قال الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم : ((لا عيش إلا عيش الآخرة))[1] ، قوله تعالى : ﴿ وَقَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡيَوۡمَ مَنِ ٱسۡتَعۡلَىٰ ٦٤ ﴾[2][3]

(فكأنه قيل للمؤمنين : مفلحون ، لفوزهم بالبقاء في النعيم المقيم هذا هو الأصل ، ثم قيل ذلك لكل من عقل وحزم وتكاملت فيه خلال الخير)[4]

ولذلك لم يقل الله : فائزون لأن لها معنى واحدا ، أما (مفلحون) فجمعت بين الفوز مع البقاء والخلود في هذا الفوز ومع أنهم متصفون بصفات الكمال وخلال الخير فاستحقوا هذا الفوز وهذا الخلود . اللهم اجعلنا منهم .

(وقد نميل إلى فهم إفلاح المؤمنين بدلالة إسلامية على التوفيق إلى ما يرضي الله سبحانه ويرضيهم . والله أعلم)[5]

وأكبر دليل على هذا قوله تعالى في سورة المؤمنون : ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ﴾ إلى قوله : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[6]

فبدأ بـــ (أفلح) وختم بأنهم المنعمون الوارثون الباقون .

---

(1) أخرجه البخاري : (كتاب مناقب الأنصـــــار ، باب دعـــاء النـــبي صلــى الله عـــــليه وســلم : أصلح الأنصار والمهاجرة ،

(رقم الحديث 3795 ، ج7/ ص 118) ، وأحمد : 170/3 ، رقم الحديث 12752.

(2) من سورة طه 20 : (الآية / 64) .

(3) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ، للشيخ شهاب الدين أحمد بن يوسف بن محمد بن مسعود بن إبراهيم الحلبي ، تحقيق محمود محمد السيد الدغيم ، دار السيد للنشر ، ط ، 1407هـ 1987م ، صورة المخطوطة المحفوظة في خزانة مكتبة نور عثمانية في استانبول : ص 432 ـــ433 مادة فلح .

(4) تفسير غـــريب القرآن لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، تحقيق السيد أحمد صقر ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، 1398 هـ 1978م : ص 39 ـــــــ 40 .

(5) الإعجاز البيـــاني للقرآن ومسائل ابن الأزرق ، دراسة قرآنية لغوية وبيانية ، د . عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ ، دار المعارف ، ط2 ، 1404هـ 1984م ، /342 .

(6) من سورة المؤمنون 23 : (الآيات 1 ـــــــــ 11) .

الكلمة الرابعة : الخاشعون من قوله تعالى :

﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾[1]

(والخشوع في اللغة : التواضع والتطامن وقيل السكون)[2] ، (والخشوع : الخضوع وأصله : اللين والسهولة ومنه الخشعة للرملة المتطامنة ، وفرَّق بعضهم بين الخضوع والخشوع فقال : الخضوع في البدن خاصة ، والخشوع في البدن والصوت والبصر)[3]

(والخشوع بالجوارح ولذلك إذا تواضع القلب خشعت الجوارح)[4] ، (والخشوع : الضراعة ، والخشوع : هيئة في النفس يظهر منها في الجوارح سكون وتواضع ، والخشوع في القلب هو الخوف وغض البصر في الصلاة ، وأكثر ما يستعمل الخشوع فيما يظهر على الجوارح)[5] ، (الخشوع : فعل يرى فاعله أن من يخضع له فوقه وأنه أعظم منه ، والخشوع في الكلام خاصة والشاهد قوله تعالى : ﴿ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ ﴾[6] ، وقيل : هما من أفعال القلوب ، قال ابن دريد[7] : يقال: خضع الرجل للمرأة وأخضع إذا ألان كلامه لها، والخاضع: المطأطئ رأسه وعنقه ، وفي التنزيل : ﴿ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴿٤﴾ ﴾[8] ، وعند بعضهم : أن الخشوع لا يكون إلا مع خوف الخاشع للمخشوع له ولا يكون تكلفا ، ولهذا يضاف إلى القلب فيقال : خشع قلبه وأصله البس ، ومنه يقال : قف خاشع ، للذي تغلب عليه السهولة ، والخضوع هو التطامن والتطأطؤ ولا يقتضي أن يكون معه خوف ،

---

(1) من سورة البقرة 2 : (الآية / 45) .

(2) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي : ج76/1 .

(3) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي : ج331/1 .

(4) الكليات لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي ، وضع فهارسه : د . عدنان درويش ، محمد المصري ، مؤسسة الرسالة ، ط ، 1412هـ 1992م / ص 431 .

(5) مفاتح فهم القرآن لأحمد علي الإمام ، دار المنى ، ط ، 1421هـ 2000 م /39 .

(6) من سورة طه 20 : (الآية / 108) .

(7) ابن دريد : محمد بن الحسن بن دريد الأزدي من أزد عمان من قحطان من أئمة اللغة والأدب ولد 223هـ توفي 321هـ . الأعلام ج80/6 .

(8) سورة الشعراء 26 : (الآية /4) .

ولهذا لا يجوز إضافته إلى القلب فيقال : خضع قلبه ، وقد يجوز أن يخضع الإنسان تكلفا من غير أن يعتـــقد أن المخـــضوع له فوقه ولا يكون الخشوع كذلك)[1]

ومن هنا يتبين الفرق واضحا بين الخشوع والخضوع ولذلك لم يقل الله : (وإنها لكبيرة إلا على الخاضعين) وإنما قال ﴿ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾ حيث الخشوع في الكلام ، وهو فعل يرى فاعله أن من يخشع له أعظم منه ، ولا يكون الخشوع إلا مع خوف الخاشع للمخشوع له ولا يكون تكلفا ، ولهذا يضاف إلى القلب .

(وأصل الخشوع السكون فالخاشع ساكن إلى الطاعة ، وقيل الخشوع : الضراعة ، وأكثر ما تستعمل في الجوارح)[2]

(والخشوع الإخبات والتطامن ومنه الخشعة للرملة المتطامنة ، وأما الخضوع فاللين والانقياد ومنه خضعت بقولها إذا لينـــته)[3]

قال الله تعال : ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ ﴾ [4]

(قال ابن زيد[5] : الخشوع : الخوف والخشية لله ، وقرأ قول الله : ﴿ خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ ﴾[6] ، قال : قد أذلهم الخوف الذي نزل بهم وخشعوا له ، وأصـــل الخشوع : التواضـــع والتذلل والاستكانة)[7]

({ عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ } وهم المتواضعون المستكينون ، وأصل الخشوع : الإخبات ومنه الخشعة: الرمل المتطامن)[1]

---

(1) الفروق اللغـــوية لأبي هــــلال العســـكري ، دار الكـــــــتب العـــــــلمية ، بيروت لبنان ، تحقيق حسام الدين القدسي /206 .

(2) تفسير الخازن : ج1/ 48 .

(3) الكشاف للزمخشري : ج1/ 67 .

(4) من سورة الأحزاب 33 : (الآية / 32) .

(5) ابن زيد : أحمد بن محمد بن أحمد بن زيد بن شهاب الدين أبو العباس فاضل دمشقي ، من علماء الحنابلة ، توفي 870 ه. ينظر الأعلام ج230/1 .

(6) من سورة الشورى 42 : (الآية / 45) .

(7) تفسير الطبري : ج300/1 .

(والمراد بالخاشع هنا الذي ذلَّل نفسه وكسر سورتها وعوَّدها أن تطمئن إلى أمر الله وتطلب حسن العواقب ، وأن لا تغتر بما تزينه الشهوة الحاضرة ، فهذا الذي كانت تلك صفته قد استعدت نفسه لقبول الخير ، وكأن المراد بالخاشعين هنا الخائفون الناظرون في العواقب فتخف عليهم الاستعانة بالصبر والصلاة مع ما في الصبر من القمع للنفس ، وما في الصلاة من التزام أوقات معينة وطهارة في أوقات قد يكون للعبد فيها اشتغال بما يهوى أو بما يحصّل منه مالاً أو لذة)[2]

ومن هنا نخلص إلى أن الخشوع يجمع بين معنيي التواضع والتذلل . (قال سفيان الثوري [3] : سألت الأعمش[4] عن الخشوع فقال : يا ثوري أنت تريد أن تكون إماما للناس ولا تعرف الخشوع ، سألت إبراهيم النخعي [5] عن الخشوع فقال : أعيمش ! تريد أن تكون إماما للناس ولا تعرف الخشوع ، ليس الخشوع بأكل الخشن ولبس الخشن وتطأطؤ الرأس ! لكن الخشوع أن ترى الشريف والدنيء في الحق سواء ، وتخشع لله في كل فرض افترض عليك، ونظر عمر بن الخطاب[6] إلى شاب قد نكس رأسه فقال : يا هذا ارفع رأسك فإن الخشوع لا يزيد على ما في القلب . وقال علي بن أبي طالب [7] : الخشوع في القلب وأن تلين كفيك للمرء المسلم وألا تلتفت في صلاتك)[8]

---

(1) روح المعاني للألوسي : ج1/249 .

(2) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج1/ 464 .

(3) سفيان الثوري : بن سعد بن مسروق بن حبيب شيخ الإسلام إمام الحفاظ سيد العلماء في زمانه ولد 97هـ توفي 126هـ ، ينظر سير أعلام النبلاء : ج7/229 .

(4) الأعمش : سليمان بن مهران الأسدي أبو محمد الملقب بالأعمش تابعي مشهور ، كان عالما بالقرآن والحديث والفرائض ولد 61هـ ، توفي 148هـ . ينظر الأعلام : ج3/ 135 .

(5) إبراهيم النخعي : بن يزيد بن الأسود بن عمرو أبو عمران ، الفقيه الكوفي النخعي أحد الأئمة المشاهير ، تابعي توفي 95هـ، وعمره 49 سنة . ينظر وفيات الأعيان ج1/ 25 .

(6) عمر بن الخطاب : بن نفيل بن عبد العزى أمير المؤمنين ثاني الخلفاء الراشدين ، ولد بعد الفيل بثلاث عشرة سنة، لقب بالفاروق أحد العشرة المبشرين بالجنة قتل سنة 23هـ . ينظر الإصابة ج4/ 279 .

(7) علي بن أبي طالب : بن عبد المطلب بن هاشم يكنى أبا الحسن ، وقال ابن إسحاق : أول من آمن بالله وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم من الرجال علي بن أبي طالب ، شهد بدرا ، وخطبه ومواعظه ووصاياه كثيرة مشهورة ، توفي سنة 40 ه . ينظر الاستيعاب : ج2/42ـ68 ، والمعارف : 117 ـــــــ 127 .

(8) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج1/255 .

فالخوف من الله إذا سكن القلب ظـــــهر أثره على الـــــــــــــجوارح بالخشـــــــــــــــــوع والســـــــــــــــــــكون قال تعالى : ﴿ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴾ [1]

الكلمة الخامسة : بلاء من قوله تعالى :

﴿ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ [2]

(البلاء : المحنة تنـــزل بالمرء ليختبر بها ، والغم والحزن والجهد الشديد في الأمر) [3]

والبلاء يكون في الخير والشر قال تعالى : ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ [4] ، لأن الابتلاء امـــتحان فيمتحن الله عباده بالخير ليشكروا ، وبالشر ليصبروا ، قال النحاس [5] : (فاسم الإشارة من قوله : (وفي ذلكم) يجوز أن يكون إشـــارة إلى الإنـــجاء وهو خير محبوب، ويجوز أن يكون إشارة إلى الذبح وهو شرٌّ مكروه) [6]

(والبلاء : المحنة إن أشير بـــ (ذلك) إلى صنيع فرعون ، والنعمة إن أشير به إلى الإنجاء) [7]

ولذلك قال الله (بلاء) و لم يقل : نعمة أو محنة ، وهذا هو الإعجاز البياني حيث أن كلمة بلاء شملت المعنيين : النعمة والمحنة .

---

(1) من سورة الزمر 39 : (الآية / 23) .

(2) من سورة البقرة 2 : (الآية / 49) .

(3) المعجم الوسيط ، قام بإخراجه : إبراهيم مصطفى ، أحمد الزيات ، حامد عبد القادر ، محمد علي النجار ، دار الدعوة ، مطابع دار المعارف ، 1400هـ 1980م : 71 مادة بلى .

(4) من سورة الأنبياء 21 : (الآية / 35) .

(5) النحاس : أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس النحوي المصري كان من الفضلاء له : تفسير القرآن الكريم وإعراب القرآن والناسخ والمنسوخ توفي بمصر 338هـ . ينظر وفيات الأعيان ج1 / 99 .

(6) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي : ج348/1 .

(7) الكشاف للزمخشري : ج1/ 279 .

﴿ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾[1] (أي محـــنة إن أشير إلى صنيعهم ، أو نعمة إن أشير إلى الإنجاء)[2]

(وسمي التكليف بلاء من أوجه :

1ـــ أن التكاليف كلها مشاق على الأبدان فصارت من هذا الوجه بلاء .

2ـــ أنها اختبارات . ولهذا قال الله عز وجل : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ ﴾[3]

3ـــ أن اختبار الله تعالى للعباد تارة بالمسار ليشكروا ، وتارة بالمضار ليصبروا ، فصارت المحنة والمنحة جميعا بلاء ، فالمحنة مقتضية للصبر والمنحة مقتضية للشكر .

والقيام بحقوق الصبر أيسر من القيام بحقوق الشكر ، فصارت المنحة أعظم البلاءين . وبهذا النظر قال عمر : (بلينا بالضراء فصبرنا وبلينا بالسراء فلم نشكر) وقال تعالى :

﴿ وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ﴾[4])[5]

وفي قوله تعالى : ﴿ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ تأويلان :

(أحدهما : أن فيما كانوا يفعلونه بهم : من سوء العذاب وذبح الأبناء واستحياء النساء شدة وجهدا عظيما .

والـــثاني : أن في إنجائهم من آل فرعون الذين كانوا يفعلون ذلك بهم نعمة من ربهم عظيمة .

وأصل البلاء : الاختبار في الخير والشر كما قال عز وجل : ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾[6] لأن الاختبار قد يكون بالخير كما يكون بالشر)[7]

---

(1) من سورة البقرة 2 : (الآية / 49) .

(2) الكليات لأبي البقاء الكفوي : 145 ـــــــــ 146 .

(3) من سورة محمد 47 : (الآية / 31) .

(4) من سورة الأنفال 8 : (الآية / 17) .

(5) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني : 145ـــــــــ 146 مادة بلى .

(6) من سورة الأنبياء 21 : (الآية / 35) .

(7) النكت والعيون للماوردي : ج1/ 118ـــــــــ119 .

قال تعالى : ﴿ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾[1] أي اختبرناهم .

(ثم يقال للخير بلاء وللشر بلاء ، لأن الاختبار الذي هو بلاء وابتلاء يكون بهما قال الله تعالى : ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾[3]أي نختبركم بالشر لنعلم كيـــف صبركم ؟ وبالخير لنعلم كيف شكركم ؟ فتنة : أي اختبارا ، ومنه يقال : : اللهم لا تبلُنا إلا بالتي هي أحسن . أي لا تخـــتبرنا إلا بالخير ولا تخـــتبرنا بالشر)[2]

(وأصل البلاء الاختبار ، وإذا نسب إليه تعالى يراد منه ما يجري مجراه مع العباد على المشهور ، وهو تارة يكون بالمسار ليشكروا ، وتارة بالمضار ليصبروا ، وتارة بهما ليرغبوا ويرهبوا ، فإن حملت الإشارة ((ذلكم)) على المعنى الأول فالمراد بالبلاء المحنة ، وإن حملت على الـــثاني فالمراد به النعمة ، وإن على الثالث فالمراد به القدر المشترك كالامتحان الشائع بينهما)[3]

(ولما كان الاختبار يوجب الضجر والتعب سمي بلاء كأنه يُخلق (يُبْلي) النفس ، ثم شاع في اختبار الشر لأنه أكثر إعناتا للنفس ، وأشهر استعماله إذا أطلق أن يكون للشر ، فإذا أرادوا به الخير احتاجوا إلى قرينة أو تصريح .

فالبلاء يطلق غالبا على المصيبة التي تحلُّ بالعبد لأن بها يختبر مقدار الصبر والأناة)[4]

وبهذا كانت لفظة ((بلاء)) تحتمل المعنيين المحنة والمنحة ، وهذا هو الإعجاز وهذا هو الذي أراده الله أن تختلف آراء العلماء في تفسير الآية ، وإن اختلاف آراء العلماء رحمة .

وهكذا البلاء يكون حسنا ويكون سيئا وأصله المحنة ، والله عز وجل يبلو عبده بالصنع الجميل ليمتحن شكره ، ويبلوه بالبلوى التي يكرهها ليمتحن صبره ، فقيل للحسن بلاء وللسيئ بلاء .

﴿ وَفِي ذَٰلِكُم بَـلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ (ليكون إنجاؤكم بعدها أعظم نعمة ، ولتعلموا أن من صبر على أشد البلاء نال أعظم الجزاء سيما في دار الجزاء ، ثم هذا الإنجاء يقتضي من الشكر

---

(1) من سورة الأعراف 7 : (الآية / 168) .

(2) تأويل مشكل القرآن ، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، شرحه السيد أحمد صقر ، المكتبة العلمية ، بيروت لبنان ، ط3 ، 1401هـ 1981م /ص469 .

(3) روح المعاني للألوسي : ج1/ 254 .

(4) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج1/ 477 .

ما يقصر معه كل عبادة شاقة ، وقد تحمل أوائلكم هذه المشاق من أعدائهم ، فما لكم لا تتحملون مشاق عبادته وقد خففها عليكم في هذه الشريعة)[1]

الكلمة السادسة : صبغة ، من قوله تعالى :

﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ﴾[2]

({ صبغة الله } يعني دين الإسلام استعار له هذا الاسم إشعارا بأن الله تعالى هو الذي يفعل ذلك ، كما يفعل الصباغ في الثوب المصبوغ ، وقصد تعالى بذلك المشاكلة ، وذلك أن النصـــارى كانت إذا ولد لهم ولد غمسوه في ماء المعمودية ويقولون : الآن صار نصرانيا ، ويقولون : قد انصبغ بالنصرانية ، فقال تعالى ذلك مقابلة لقولهم ، فعبر عن ملة الإسلام بالصبغة ، وقيل : سميت الملة صبغة لأن النصارى امتنعوا من تطهير أولادهم بالختان ، وابتدعوا تطهيرهم بماء أصفر يصبغون به أولادهم ، وقيل : صبغة الله لما أوجده في الناس من العقول المتميزين به عن البهائم كالفطرة في قوله تعالى : ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾[3])[4]

فكلمة صبغة لها معنيان : الأول الدين الإسلامي ، والثاني : اللون الذي يصبغ به هذا الدين صاحبه ، أي الأثر الذي يتركه هذا الدين فيمن التزمه ونهجه في حياته . وهذا يعني أن الدين يُرى أثره من الخارج مثل الصبغة للثوب يراها كل الناس ، (صبغ : تلوين الشيء بلون ما ، تقول : صبغته أصبغه ، ويقال للرطبة : قد صبَّغت ، فأما قوله تعالى : ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ﴾ ، فقال قوم : هي فطرته لخلقه . وقال آخرون : كل ما تُـــقُرِّب بـــــــــــــــه إلى الله تــعالى صبغة)[5]

وسمي الدين صبغة لبيان أثره على الإنسان ، كظهور الصبغ على الثوب .

---

(1) تفسير القرآن المسمى تبصير الرحمن وتيسير المنان للعلامة علي بن أحمد المهايمي ، عالم الكتب ، ط 2 ، 1403هـ 1983م : ج1/43 .

(2) من سورة البقرة 2 : (الآية / 138) .

(3) من سورة الروم 30 : (الآية / 30) .

(4) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني : 287 باختصار .

(5) معجم مقاييس اللغة ، لأبي الحسن أحمد بن زكـــريا بن فارس ، مطبعة البابي الحلبي ، ط 2 ، 1389هـ 1969م : ج3/ 331 مادة صبغ .

(والصبغة من صبَغ كالجلسة من جلس ، وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ ، والمعنى تطهير الله لأن الإيمان يطهر النفوس)[1]

(والصبغة : هنا اسم للماء الذي يغتسل به اليهود عنوانا على التوبة لمغفرة الذنوب ، والأصل فيها عندهم الاغتسال الذي جاء فرضه في التوراة على الكاهن إذا أراد تقديم قربان كفارة عن الخطيئة عن نفسه أو عن أهل بيته ، والاغتسال الذي يغتسله الكاهن أيضا في عيد الكفارة عن خطايا بني إسرائيل في كل عام ، وعند النصارى الصبغة أصلها التطهر في نهر الأردن ، وهو اغتسال سنة النبي يحيى بن زكريا لمن يتوب من الذنوب ، فكان يحيى يعظ بعض الناس بالتوبة ، فإذا تابوا أتوه فيأمرهم بأن يغتسلوا في نهر الأردن رمزا للتطهر الروحاني.

فقوله : ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ﴾ رد على اليهود والنصارى معا ، أما اليهود فلأن الصبغة نشأت فيهم، وأما النصارى فلأنها سنة مستمرة فيهم ، ولما كانت المعمودية مشروعة لهم لغلبة تأثير المحسوسات على عقائدهم ، رد عليهم بأن صبغة الإسلام الاعتقاد والعمل المشار إليهما بقوله : ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾[2] ، أي إن كان إيمانكم حاصلا بصبغة القسيس ، فإيماننا بصبغ الله وتلوينه أي تكييفه الإيمان في الفطرة مع إرشاده إليه ، فإطلاق الصبغة على الإيمان استعارة علاقتها المشابهة ، وهي مشابهة خفية حسنها قصد المشاكلة ، والمشاكلة من المحسنات البديعية ، ومرجعها إلى الاستعارة ، وإنما قصد المشاكلة باعث على الاستعارة ، وإنما سماها العلماء المشاكلة لخفاء وجه التشبيه ، والمشاكلة هي الإتيان بالاستعارة لداعي مشاكلة لفظ للفظ وقع معه)[3]

وهكذا يظهر لنا أن كلمة صبغة لها دلالتان : دلالة الدين ودلالة الصبغ والأثر على الشخص المتدين ، فما أفصح ألفاظ القرآن وما أبلغها !

الكلمة السابعة : مصيبة من قوله تعالى :

---

(1) الكشاف للزمخشري : ج316/1 .

(2) من سورة البقرة 2 : (الآية / 136) .

(3) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج1/ 722ـــــــــــ 724 باختصار .

﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٌ ﴾ [1]

المصيبة هي الكارثة أو النازلة وهي أيضا بمعنى : أصابت الهدف .

(يقال : أصاب كذا أي وجد ما طلب كقولك : أصابه السهم ، وأصاب السهم إذا وصل إلى المرمى بالصواب ، والمصيبة أصلها في الرمية ثم اختصت بالنائبة قال الله تعالى : ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٌ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا ﴾ [2] وقال تعالى : ﴿ فَكَيۡفَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةُۢ ﴾ [3])[4]

فأصل الكلمة أصاب يصيب فهو مصيب ، وللمرأة مصيبة أي أصابت الهدف ، فكأن الله عز وجل أراد بكلمة (مصيبة) المعنيين : الكارثة وإصابة الهدف ، قال الله تعالى : ﴿ لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾ [5] لنا و لم يقل علينا ، فأمر المؤمن كله خير ، قال الرسول صلى الله عليه وسلم ((عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير ، وليس ذاك لأحد إلا المؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له)) [6] ، وهكذا يكون البلاء على قدر الإيمان قال صلى الله عليه وسلم : ((يبتلى الرجل على حسب دينه ، فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه ، وإن كان في دينه رقة خفف عنه، وما يزال البلاء بالعبد حتى يمشي على ظهر الأرض ليس عليه خطيئة))[7]

---

(1) من سورة البقرة 2 : (الآية / 156) .

(2) من سورة آل عمران 3 : (الآية / 165) .

(3) من سورة النساء 4 : (الآية / 62) .

(4) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني : 494 ــ 495 .

(5) من سورة التوبة 9 : (الآية /51) .

(6) رواه مسلم : (كتاب الزهد / رقم الحديث 64 ، ج18، ص125) ، والدارمي : (رقاق / 61) ، وأحمد بن حنبل : (ج5/ 24 ، رقم الحديث 20549 ، ص 1469) .

(7) رواه الدارمي : (رقاق /67) ، وأحمد بن حنبل : (ج1/ 172 ، رقم الحديث 1481 ، ص 138) ، قال حسين سليم أسد في تعليقه على الدارمي : إسناده حسن والحديث صحيح ، قال شعيب الأرنؤوط في تعليقه على مسند أحمد : إسناده حسن .

(والمصيبة : النائبة وأصلها في الرمية ثم اختصت بالنائبة الفادحة ، وأصاب يستعمل في الخير والشر قال تعالى : ﴿ إِن تُصِبۡكَ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡۖ وَإِن تُصِبۡكَ مُصِيبَةٞ يَقُولُواْ قَدۡ أَخَذۡنَآ أَمۡرَنَا مِن قَبۡلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمۡ فَرِحُونَ ﴾ [1] ، وقـــال بعضهم: الإصابة بالخير اعتبارا بالصـــواب وهو المطـــر ، وفي الشر اعتبارا بإصابة السهم وكلاهما يرجعان إلى أصل واحد)[2]

(والمصيبة هي ما يصيب الإنسان من مكروه وأصلها الوصول ، من صاب السهم المرمى وأصابه وصل إليه)[3]

ومن هنا يتبين أن الله جل جلاله ذكر كلمة (مصيبة) لحكمة جليلة ، وهي أن المصيبة أصابت هدفها في هذا الإنسان المصاب ، والله الحكيم يعلم ما يصلح العباد فيصيبهم بما ينفعهم ويربيهم في الدنيا والآخرة : ﴿ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٤ ﴾ [4] .

الكلمة الثامنة : قروء من قوله تعالى :

﴿ وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖ ﴾ [5]

لفظة (قروء) لها معنيان : الحيضات والأطهار . (وإنما جُعل الحيض قرءا والطهر قرءا: لأن أصل القرء في كلام العرب : الوقت . يقال : رجع فلان لقرئه ، أي لوقته الذي كان يرجع فيه ، فالحيض يأتي لوقت والطهر يأتي لوقت)[6]

---

(1) من سورة التوبة 9 : (الآية / 50) .

(2) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي : 302 مادة صوب .

(3) تنوير الأذهان من تفسير روح البيان ، للشيخ إسماعيل حقي البروسوي ، تحقيق الشيخ محمد علي الصابوني ، دار القلم دمشق ، ط، 1408هـ 1988م : ج122/1 .

(4) من سورة الملك 67 : (الآية / 14) .

(5) من سورة البقرة 2 : (الآية / 228) .

(6) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة / 86ـ 87 .

ولحكمة عظيمة قال الله : (ثلاثة قروء) ، و لم يقل : (ثلاث حيضات) أو (ثلاثة أطهار) حتى يكون هناك سعة في الحكم الفقهي في عدة المطلقة ، فيحصل منه رحمة بسبب اختلاف العلماء ، واللغة تحتمل هذين المعنيين ، والقرآن أنزل باللغة العربية ، والمفسر يجب أن يكون عالما باللغة العربية حتى يفسر القرآن الكريم .

(والقرء عند أهل الحجاز الطهر ، وعند أهل العراق الحيض ، وكلٌّ قد أصاب ، لأن القرء خروج من شيء إلى شيء غيره ، فخرجت المرأة من الحيض إلى الطهر ومن الطهر إلى الحيض)[1]

(واحدها قَرء ــ بالفتح ــ وهو الحيض وقيل : هو الطهر ، وجمعه القليل أقرؤ على غير القياس، وقوله: (ثلاثة قروء) وكان القياس ثلاثة أقراء لأن من الثلاثة إلى العشرة يضاف إلى الجمع القليل)[2]

قال تعالى : ﴿ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖ ﴾ أي مدة ثلاثة قروء .

(واختلفوا في اشتقاق الأقراء على قولين : أحدهما : أن القرء الاجتماع ، ومنه أخذ اسم القرآن لاجتماع حروفه ، وقيل قد قرأ الطعام في شدقه وقرأ الماء في حوضه إذا جمعه ، فمن جعل القروء اسما للحيض سماه بذلك لاجتماع الدم في الرحم ، ومن جعله اسما للطهر فلاجتماعه في البدن .

والقول الثاني : أن القرء الوقت ، لمجيء الشيء المعتاد مجيؤه لوقت معلوم ، ولإدبار الشيء المعتاد إدباره لوقت معلوم ، فمن جعل القرء اسما للحيض فلأنه وقت خروج الدم المعتاد ، ومن جعله اسما للطهر فلأنه وقت احتباس الدم المعتاد)[3]

(القرء : هو لفظ مشترك بين الحيض والطهر بإجماع أهل اللغة ، فالقرء عند أهل الحجاز: الطهر ، وعند أهل العراق الحيض ، وكلٌّ قد أصاب لأن القرء خروج من شيء إلى شيء ، وقال

---

(1) مفاتح فهم القرآن لأحمد علي الإمام / 96 .

(2) غرائب التفسير وعجائب التأويل لمحمود بن حمزة الكرماني ، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، جدة ، مؤسسة علوم القرآن ، بيروت ، ط ، 1408هـ 1988م / ص 214 ـــ 215 .

(3) النكت والعيون للماوردي : ج1/ 290 ـــ 292 .

ابن السكيت[1] : القرء : الطهر والحيض وهو من الأضداد ، وإنما أطلق على كل واحد منهما ، لأن كل اسم موضوع لمعنيين معا يطلق على كل واحد منهما كالمائدة للخوان والطعام ، ثم قد يسمى كل واحد منهما بانفراده بالمائدة ، وليس القرء اسما للطهر مجردا ، ولا للحيض مجردا ، بدلالة أن الطاهر التي لم تر الدم لا يقال لها ذات قروء ، وكذا الحائض التي استمر بها الدم)[2]

الكلمة التاسعة : سعيا ، من قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ﴾[3] ({سعيا } ســـــاعيات مسرعات في طيرانهن أو في مشيهن على أرجلهن)[4]

قال الله (سعيا) و لم يقل طيرانا أو مشيا لأن ذلك أبعد من الشبهة لأنها لو طارت لظن ظان أنها غير تلك الطيور التي أمر سيدنا إبراهيم عليه السلام أولا أن يضمها إليه ليتأملها جليا قبل أن يذبحها ثم ليتأكد بعد الإحياء أنها نفسها ، وأن أرجلها سليمة غير عرجاء .

وقيل السعي : الحركة الشديدة ، ثم سعيا وليس ساعين أو ساعيات أي أنهن أصبحن كلهن سعيا ليس فيهن شيء يثقلهن . (إذ هي مشية المجد الراغب فيما يمشي إليه ، فكان من المبالغة أن رأى إبراهيم جدها في قصده وإجابة دعوته ، ولو جاءته مشيا لزالت هذه القرينة ، ولو جاءت طيرانا لكان ذلك على عرف أمرها ، فهذا أغرب منه)[5]

({ ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ } قل لهن تعالين بإذن الله { يَأْتِينَكَ سَعْيًا } مصدر في موضع الحال ، أي ساعيات مسرعات في طيرانهن أو في مشيهن على أرجلهن ، وإنما أمره بضمها إلى نفسه بعد

---

(1) ابن السكيت : يعقوب بن إسحاق أبو يوسف ابن السكيت ، إمام في اللغة والأدب أصله من خوزستان ، ولد 186هـ توفي 244هـ . ينظر الأعلام ج8/195 .

(2) الكليات لأبي البقاء الكفوي / 730 مادة قرء .

(3) من سورة البقرة 2 : (الآية / 260) .

(4) الكشاف للزمخشري : ج1/ 159 .

(5) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط ، 1413هـ 1993م : ج1/ 355 .

أخذها ليتأملها ويعرف أشكالها وهيئاتها وحلاها لئلا تلتبس عليه الأحياء ولا يتوهم أنها غير تلك)[1]

وفي اللغة العربية إذا ذكر المصدر كان أبلغ في المعـــــــــــــــنى ،

مثـــــــــــــــل : رجـــــــــــــــلٌ صَـــــــــــــــوْمٌ يعني كثير الصيام ، أي كأنه صار كله صياما ، أو رجل نوْمٌ يعني كثير النوم وهكذا ، (فإنما هي إقبال وإدبار ، وما كان مثله من قبل أن من وصف بالمصدر فقال : هذا رجل زَوْرٌ وصَوْمٌ ونحو ذلك ، فإنما ساغ ذلك له لأنه أراد المبالغة ، وأن يجعله هو نفس الحدث لكثرة ذلك منه) [2] فكلمة (ســـعيا) حولت الطيور إلى سعي فقط (وقيل المراد بالسعي الإسراع والعدو وقيل : المشي ، والحكمة في سعي الطيور إليه دون الطيران ، لأن ذلك أبعد من الشبهة لأنها لو طارت لتوهم متوهم أنها غير تلك الطيور أو أن أرجلها غير سليمة ، فنفى الله تعالى هذه الشبهة بقوله : { يَأْتِينَكَ سَعْيًا })[3]

إذن كلمة (سعيا) كان تحتها معنيان : المعنى الأول : المشي السريع ، والمعنى الثاني : هو تفحص سيدنا إبراهيم عليه السلام وتأكده من أن هذه الطيور هي نفسها التي ذبحها بيده عليه السلام ولو قال { طيرانا } لم يتم هذا المعنى والله أعلم .

الكلمة العاشرة : نباتا ، من قوله تعالى : ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾[4] قال الله { نباتا } ولم يقل { إنباتا } فذكر الله اسم المصدر وليس المصدر، والمصدر اسم الحدث الجاري على الفعل ويشتمل على كل حروف الفعل ، أما إذا نقص عن حروف الفعل يسمى اسم مصدر ، لأن الفعل أنبت مصدره إنباتا ، والفـــعل نـــبت مصدره نباتا ، لأن الله لو قال : { أنبتها إنباتا} فهو المنبت سبحانه إذا ولا دخل ولا فضل لمريم عليها

---

(1) تفسير النسفي : ج1/ 128 .

(2) الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني ، تحقيق محمد علي النجار ، عالم الكتب ، بيروت ، ج3/ 189 .

(3) تفسير الخازن : (ج1/ 193) .

(4) من سورة آل عمران 3 : (الآية / 37) .

السلام ، ولكن حين قال : نباتا جعل الله للسيدة مريم عليها السلام فضلا حيث جعلها تتجاوب مع هذا الإنبات ، فأظهر فضلها ومعدنها الكريم بهذا التجاوب فنبتت نباتا حسنا متجاوبة حسب فضلها وكرمها .

(المصدر هو الاسم الذي يدل على الحدث المجرد من غير ارتباط بزمان أو مكان أو بذات أو بعلمية ، ومدلوله الحقيقي أمر معنوي محض يدل عليه اللفظ المعروف ، وتسميته مصدرا مجاز ، ولا بد من ناحيته اللفظية أن يشتمل على جميع الحروف الأصلية والزائدة في فعله لفظا أو تقديرا ، وقد يزيد عنها كأكرمه إكراما ، ولا يمكن أن ينقص ، أما اسم المصدر فهو كالمصدر في معناه من حيث دلالته على الحدث المجرد ، ويكون علم جنس ، ويخالفه في لفظه بنقص حروفه عن حروف فعله)[1]

(ومعنى { وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا } أنشأها إنشاء صالحا ، وذلك في الخلق ونزاهة الباطن ، فشُبِّه إنشاؤها وشبابها بإنبات النبات الغض على طريق الاستعارة ، { ونبات } مفعول مطلق لأنبت وهو مصدر نبت وإنما أجري على أنبت للتخفيف)[2]

({ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا } مجاز عن التربية الحسنة ، قال ابن عطاء[3] : مما كانت ثمرته مثل عيسى فذاك أحسن النبات ، ونباتا مصدر على خلاف الصدر ، أو التقدير : فنبتت نباتا)[4]

فالله عز وجل أحسن تربية السيدة مريم وكانت تربة خصبة ومحلا فاضلا لتلك التربية ، وكان لها دور رائع في مجاهدة نفسها على طاعة الله ، ولذلك استحقت هذا المدح وذاك الفضل فهي المرأة الوحيدة التي ذكرت في القرآن الكريم .

---

(1) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، لجمال الدين عبد الله الأنصاري ، تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع . ج3/234 .

(2) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج3/88 .

(3) ابن عطاء : أحمد بن محمد بن عبد الكريم أبو الفضل تاج الدين ابن عطاء الله الاسكندري من العلماء توفي 709هـ ينظر الأعلام ج1/221 ـــ 222 .

(4) تفسير النسفي : ج1/152 .

وبآية أخرى يتضح المقصود أكثر قال الله تعالى : ﴿ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ ﴾[1] لم يقل الله : { يضلهم إضلالا } وإنما قال : ضلالا ليؤكد ويثبت أن للكفار والمنافقين دورا كبيرا في هذا الضلال ، فنفوسهم سيئة وقلوبهم مريضة فهي مرتع خصب لإضلال الشيطان وليس الشيطان هو السبب الوحيد في الضلال ، وهكذا يتبين لنا سر من أسرار القرآن الكثيرة لأنه كلام الله وكفى .

(والقبول مصدر من : { قبلها ربها } فأخرج المصدر على غير لفظ الفعل . ولو كان على لفظه لكان : { فتقبلها ربها تقبلا حسنا } وقد تفعل العرب ذلك كثيرا أن يأتوا بالمصادر على أصول الأفعال وإن اختلفت ألفاظها في الأفعال بالزيادة ، وذلك كقولهم : { تكلم فلان كلاما } ولو أخرج المصدر على الفعل لقيل : { تكلم فلان تكلما } ومنه قوله: { وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا } ولم يقل { إنباتا حسنا })[2]

(وللمفسرين في معنى النبات الحسن قولان : أحدهما : أنه كمال النشوء . قال ابن عباس [3] : كانت تنبت في اليوم ما ينبت المولود في عام . والثاني : أنه ترك الخطايا . قال قتادة [4] : حدثنا أنها كانت لا تصيب الذنوب كما يصيب بنو آدم)[5]

وهذان القولان يؤيدان المعنيين المذكورين سابقا حيث أن القول الأول وهو كمال النشوء يؤيد المعنى الأول وهو إنبات الله للسيدة مريم ، والقول الثاني وهو ترك الخطايا يؤيد المعنى الثاني وهو مجاهدة السيدة مريم نفسها في سبيل طاعة الله والله أعلم .

---

(1) من سورة النساء 4 : (الآية / 60) .

(2) تفسير الطبري : ج240/3 .

(3) عبد الله بن عباس : بن عبد المطلب بن هاشم يكنى أبا العباس ، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ، دعا له الرسول الكريم بالفقه في الدين وتعلم التأويل ، توفي68 ه . ينظر الاستيعاب في أسماء الأصحاب لابن عبد البر ج1/ 559 ــــ 562 .

(4) قتادة : بن دعامة السدوسي أبو الخطاب البصري الأكمه كان تابعيا وعالما كبيرا ولد 60هـ وتوفي 117هـ . ينظر وفيات الأعيان ج85/4ــ86 ، والأعلام ج5/ 189، وتهذيب التهذيب ج351/8 ــــ 356 .

(5) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي : ج378/1 .

الكلمة الحادية عشرة : ذائقة ، من قوله تعالى :

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾[1]

(ذائقة) تفيد معنيين : المعنى الأول : الذوق وهو يفيد الكمية القليلة ، فإذا ذاق الإنسان عسلا فإنه يعني أنه أخذ منه شيئا قليلا ليذوقه ، والمعنى الثاني : الاتصال والالتصاق، فعندما يذوق الإنسان شيئا يكون في فمه يذوقه ويتحسسه ، فالله عز وجل عندما قال : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ أفاد أن كمية قليلة من الموت تكفي في مفارقة الروح للجسد وهذا هو الذوق ، وأفاد أن الموت يتحول إلى شيء يكون في الفم يذوقه ، يعني أن الموت ليس خيالا وإنما هو حقيقة تذاق .

(وأصل الذوق : وجود طعم الشيء بالفم ، وأصله : تناول ما يقل دون ما يكثر فإن ما يكثر يقال فيه أكل)[2]

(والذوق عبارة عن قوة مرتبة في العصبة البسيطة على السطح الظاهر من اللسان ، من شأنها إدراك ما يرد عليه من خارج الكيفيات الملموسة وهي الحرارة والرطوبة والبرودة واليبوسة.

والذوق في الأصل : تعرف الطعم ثم كثر حتى جعل عبارة عن كل تجربة . يقال : ذقت فلانا و ذقت ما عنده ، وقد استعمـــل الإذاقـــة في الرحمة والإصابة في مقابلتها ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً ﴾[3]

وقال :﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ ﴾[4] تنبيها على أن الإنسان بأدنى ما يعطى من النعمة يبطر ويأشر)[5]

---

(1) من سورة آل عمران 3 : (الآية / 185) .

(2) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 188مادة ذوق .

(3) من سورة يونس 10 : (الآية / 21) .

(4) من سورة الشورى 42 : (الآية / 48) .

(5) الكليات لأبي البقاء الكفوي / 462 مادة ذوق .

الكلمة الثانية عشرة : نشوزا ، من قوله تعالى :

﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا ﴾[1]

(النشز : المكان المرتفع كالنشاز ، والمرأة تنشُز وتنشِز نشوزا استعصت على زوجها وأبغضته ، وبعلها عليها ضربها وجفاها وقلب ناشز ارتفع عن مكانه رعبا ، وأنشز عظام الميت رفعها إلى مواضعها وركَّب بعضها على بعض ، والنشَز محركة : المسن القوي)[2]

فكـــلمة النـــشوز أعطت هـــذين المعنيين وهما الترفع والارتفاع ، مع البغض والكـــره (ويعبر عن الإحياء بالنشْز والإنشاز لكونه ارتفاعا بعد اتضاع ، قال تعالى : ﴿ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ﴾[3] ، ونشوز المرأة : بغضها لزوجها ورفع نفسها عن طاعـــــته وعينـــــــــــــها عنه إلى غيره)[4]

(والبعل هو السيد وسمى الزوج بعلا لأنه سيد المرأة ، نشوزا يعني بغضا ، وقيل : هو ترك مضاجعتها ، وأصله من النشز وهو المرتفع من الأرض ، والنشوز قد يكون من الزوجين ، وهو أن يكره كل واحد منهما صاحبه ، فنشـــــــوز الزوج هو أن يعرض عن المرأة وهو قوله تعالى: { أَوْ إِعْرَاضًا })[5]

({ نُشُوزًا } أي استعلاء وارتفاعا بنفسه عنها إلى غيرها لسبب من الأسباب ، ويطلق على كل من صفة أحد الزوجين)[6]

(والنشوز يكون من قبل المرأة والرجل ، والنشوز هاهنا من الرجل لا من المرأة ، ونشوزه أن يكون تحته المراة الكبيرة فيريد أن يتزوج عليها شابة فيؤثرها في القسمة والجماع ، فينبغي له

---

(1) من سورة النساء 4 : (الآية / 128) .

(2) القاموس المحيط للفيروز أبادي : 201 مادة نشز .

(3) من سورة البقرة 2 : (الآية / 259) .

(4) مفردات ألفظ القرآن للراغب الأصفهاني : 806 مادة نشز .

(5) تفسير الخازن : ج1/ 409 .

(6) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي : ج5/ 161 .

أن يقول للكبيرة : إني أريد أن أتزوج عليك شابة وأوثرها عليك ، فإن هي رضيت صلح ذلك له ، وإن لم ترض فلها من القسمة ما للشابة)[1]

وهكذا اختار الله لفظة (نشوزا) لتعطي معنى العلو والترفع ، ولتعطي معنى آخر هو البغض والكره ، وينتج عنه سوء العشرة ، وهذا هو الإعجاز البياني حيث لا توجد لفظة في اللغة العربية تؤدي هذين المعنيين غير لفظة (نشوزا) فما أجمل ألفاظ القرآن وما أبلغها وأفصحها !!

({ نشوزا } تجافيا عنها وترفعا عن صحبتها كراهة لها ومنعا لحقوقها)[2]

({ نشوزا } : إن خافت امرأة من زوجها ترفعا ونبوًّا لملل ، أو إعراضا لموجدة أو بذل فلا إثم في أن يتصالحا على أن تترك له من مهرها أو بعض أثاثها ما يتراضيان به)[3]

(والنشز الرفع ، ومنه نشوز المرأة على زوجها ، وهو ترفعها عليه وعدم امتثالها أمره ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ ﴾[4] ، والنشز من الأرض المرتفع)[5]

الكلمة الثالثة عشرة : شرعة من قوله تعالى :

﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾[6]

الشرعة : الدين والمنهاج : الطريق (الشريعة في اللغة : المشرع والمورد إلى الماء ، ويقال : شرعت الباب إلى الطريق وأشرعته : أي فتحته على الشارع وهو الطريق الواسع ، جمعه شوارع . واستعير الشرع والشريعة لما شرعه الله تعالى لعباده)[7]

---

(1) معاني القرآن لأبي زكريا يحيى الفراء ، عالم الكتب ، ط3 ، 1403هـ 1983م : ج1/ 290 .

(2) تفسير البيضاوي : 129 .

(3)درة التنزيل وغرة التأويل لأبي عبد الله محمد الإسكافي ، اعتنى به الشيخ خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة ، بيروت لبنان ، ط، 1422هـ 2002م /59 .

(4) من سورة النساء 4 : (الآية / 34) .

(5) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 576 مادة نشز .

(6) من سورة المائدة 5 : (الآية / 48) .

(7) الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق لعائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ /312 .

(وأصل الشرع : نهج الطريق الواضح نحو : شرعت له طريقا ، والشرع : مصدر شرع ، ثم استعير للطريق النهج ، فقيل : شرْع وشريعة وشرعة ومنه قوله تعالى : ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾[1] ، واستعير ذلك للطريقة الإلهية من الدين ، وقيل : سميت الملة شريعة وشرعة لظهورها)[2]

(شرع : الشين والراء والعين أصل واحد وهو شيء يفتح في امتداد يكون فيه ، من ذلك الشريعة وهو مورد الشاربة الماء ، واشتق من ذلك الشرعة في الدين والشريعة ، قال الله تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ ، وقال سبحانه : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ ﴾[3] ، وقيل في التفسير في قوله تعالى : ﴿ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا ﴾[4] إنها الرافعة رؤوسها)[5]

وهكذا اختار الله لفظة { شرعة } و { شريعة } للدين لتحقق المعنيين : المعنى الأول: الامتداد والارتفاع ، والمعنى الثاني : الارتواء والتطهر ، وهكذا الدين فعلا واسع وممتد ، لا تنتهي أحكامه وعجائبه ، ويروي ويرفع من ينهل من معينه ويتمسك به .

فالشرعة هي الطريق الموصل إلى الماء ، والشريعة سبب الحياة الأبدية ، لذلك سمى الله الدين شرعة وشريعة ، فالماء والشريعة هما للري والتطهر .

(أما الشرعة فهي الشريعة وهي الطريقة الظاهرة ، وكل ما شرعت فيه من شيء فهو شريعة ، ومن ذلك قيل لشريعة الماء شريعة لأنها أظهر طرقه إليه)[6]

---

(1) من سورة المائدة 5 : (الآية / 48) .
(2) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي :264 ـــ 265 مادة شرع .
(3) من سورة الجاثية 45 : (الآية / 18) .
(4) من سورة الأعراف 7 : (الآية / 163) .
(5) معجم مقاييس اللغة لابن فارس : 262 ـــ 263 مادة شرع .
(6) النكت والعيون للماوردي : ج2 / 45 .

(والشرعة في اللغة : الطريق الذي يتوصل منه إلى الماء ، والطريقة الظاهرة التي يتوصـــل بها إلى النجاة ، وقد شرع لهم يشرع شرعا أي سن ، والشارع : الطريق الأعظم ، والشريعة ما شرع الله لعباده من الدين)[1]

فالشريعة هي مورد الإبل إلى الماء الجاري ، ثم استعير لكل طريقة موضوعة بوضع إلهي ثابت من نبي من الأنبياء .

وهكذا سمى الله الدين شريعة فهي طريق موصل إلى الماء حقيقة ، فالماء سبب الحياة والدين سبب الحياة .

(قال بعضهم : سميت الشريعة شريعة تشبيها بشريعة الماء من حيث إن من شرع فيها على الحقيقة المصدوقة روي وتطهر ، قال : وأعني بالري ما قال بعض الحكماء : كنت أشرب فلا أروى ، فلمـــا عرفت الله تعالى رويت بلا شرب ، وبالتطهر ما قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾[2]

(وكل ما شرعت فيه من شيء فهو شريعة ، ومن ذلك قيل لشريعة الماء { شريعة } لأنه يُشرع منها إلى الماء ، ومنه سميت شرائع الإسلام شرائع لشروع أهله فيه ، ومنه قيل للقوم إذا تساووا في الشيء { هم شرعٌ } سواء)[3]

(والشريعة هي الطريقة إلى الماء ، شبه بها الدين لأنه طريق إلى ما هو سبب الحياة الأبدية)[4]

(والشـــرعة هي في الأصل : الطريق الظاهر الذي يوصل منه إلى الماء ، والمراد بها الدين ، واستعمالها فيه لكونه سبيلا موصلا إلى ما هو سبب للحياة الأبدية ، كما إن الماء سبب للحياة الفانية ، أو لأنه طريق إلى العمل الذي يطهر العامل عن الأوساخ المعنوية ، كما أن الشريعة طريق إلى الماء الذي يطهر مستعمله عن الأوساخ الحسية)[5]

---

(1) مفاتح فهم القرآن لأحمد علي إمام / 217 .

(2) من سورة الأحزاب 33 : (الآية / 33) .

(3) تفسير الطبري : ج4/ 609 .

(4) تفسير البيضاوي : 152 .

(5) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي : ج6 / 153 .

(والشريعة في كلام العرب : المشرعة التي يشرعها الناس فيشربون ويسقون منها ، وقيل : الشريعة هي الطريقة ، ثم استعير ذلك للطريقة الإلهية المؤدية إلى الدين)[1]

(والشرعة والشريعة : الماء الكثير من نهر أو واد ، يقال : شريعة الفرات ، وسميت الديانة شريعة على التشبيه ، لأن فيها شفاء النفوس وطهارتها ، والعرب تشبه بالماء وأحواله كثيرا)[2]

الكلمة الرابعة عشرة : غمرات من قوله تعالى :

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ ﴾[3] الغمرة هي ما يعم ويغمر من الماء فلا يتـــرك للمغمور مخلصا ، فهو قد أحاطت به أمـــــــــــواج متلاطمة مــــــن كل اتجاه . فكيـــف ستـــــــــكون نفسه ؟! وهذا شأن الظالم حين تغمره سكرات الموت .

(والغمرة معظم الماء الساترة لمقرها ، وجُعل مثلا للجهالة التي تغمر صاحبها ، قال الله تـــعالى : ﴿ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ ﴾[4] ، وقـــال تعـــالى : ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴾[5] ، وقـــيل للشدائد غمرات . قال تعالى : { فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ })[6]

والغمرة أصلها الشيء الذي يغمر الأشياء فيغطيها ، ثم وضعت في موضع الشدائد والمكاره ، فكلمة غمرات تعطي المعنيين : معنى الشيء الذي يغطي ويعم ، ومعنى الشدة والمكاره والمصاعب التي يعانيها الظالمون أثناء سكرات الموت ، فالكلمة القرآنية الكريمة أعطت وصفا زائدا وهو الغمرة في الماء تشبيها لحالة الذي يحتضر ويعاين سكرات الموت كأنه في بحر لجي .

(وسميت الشدة غمرة لأنها تغمر القلب أي تركبه وتغطيه ، ومنه اشتد مرضه حتى غمر عليه أي أغمي عليه)[7]

---

(1) تفسير الخازن : ج1/470 .

(2) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج5/ 125 .

(3) من سورة الأنعام 6 : (الآية / 93) .

(4) من سورة المؤمنون 23 : (الآية / 54) .

(5) من سورة الذاريات 51 : (الآية / 11) .

(6) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني : 614 مادة غمر .

(7) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 402 مادة غمر .

غمرات الموت أي شدائده من غمره إذا غشيه .

(والغمرات : جمع غمرة ، وغمرة كل شيء كثرته ومعظمه ، وأصله : الشيء الذي يغمر الأشياء فيغطيها)[1]

(والغمرة هي المصيبة المبهمة المذهلة ، وهي مشبهة بغمرة الماء)[2]

إنها غمرات وليس غمرة ، فليستعد كل إنسان للخلاص من هذه الغمرات والمصائب المذهلة بالأعمال الصالحة ، فإن فتنة الممات وسوء الخاتمة ــ والعياذ بالله ــ من أسوأ الغمرات التي يخاف منها كل مسلم ، فاللهم ثبتنا بقولك الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، وارزقنا حسن الختام بلا إله إلا الله .

(والغمرة : ما يغمر أي يغم من الماء فلا يترك للمغمور مخلصا ، وشاعت استعارتها للشدة تشبيها بالشدة الحاصلة للغريق حين يغمر الوادي أو السيل حتى صارت الغمرة حقيقة عرفية في الشدة الشديدة .

وجمع الغمرات يجوز أن يكون لتعدد الغمرات بعدد الظالمين ، فتكون صيغة الجمع مستعملة في حقيقتها ، ويجوز أن يكون لقصد المبالغة في تهويل ما يصيبهم بأنه أصناف من الشدائد هي لتعدد أشكالها وأحوالها لا يعبر عنها باسم مفرد . فيجوز أن يكون هذا وعيدا بعذاب يلقونه في الدنيا في وقت النــــزع ، ولما كان للموت سكرات جعلت غمرة الموت غمرات .

{ وفي } للظرفية المجازية للدلالة على شدة ملابسة الغمرات لهم ، حتى كأنها ظرف يحويهم ويحيط بهم ، فالموت على هذا الوجه مستعمل في معناه الحقيقي ، وغمراته هي آلام النــــزع)[3]

وهكذا اختار الله لفظة (غمرات) لتؤدي تلك المعاني ، ولولا هذه اللفظة ما كانت هذه المعاني .

الكلمة الخامسة عشرة : الجمل من قوله تعالى :

---

(1) تفسير الطبري : ج5/ 270 .

(2) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية : ج323/2 .

(3) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج6 / 222 ـــــــــــ 223 .

﴿ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ﴾[1]

كلمة الجمل لها معنيان : الأول : البعير المعروف . والثاني : الحبل الغليظ . فعلى المعنى الأول حتى يدخل البعـــير في ثقب الإبرة أي لا يدخـــلون الجنة أبدا لأنه علقه بما لا يكون .

(والجَمَلُ بوزن الحَـــبَل ومعناها : القلس الغليظ لأنه حبال جمعت وجعلت جملة واحدة)[2]

إذن كلمة الجمَل على وزن حَبَل جمع حبال .

(﴿ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ﴾ أي حتى يدخل ما هو مثل في عظم الجرم وهو البعير فيما هو مثل في ضيق المسلك ، وهو ثقبة الإبرة وذلك مما لا يكون ، وكذا ما يـــتوقف عليه ، والجمل كالحبل وهي الحبل الغليظ من القنب وقيل : حبل السفينة)[3]

والجمل في اللغة العربية له معنيان : الجمل المعروف وكذلك القلس الغليظ لأنه حبال جمعت وجعلت جملة واحدة .

الكلمة السادسة عشرة : عمل من قوله تعالى :

﴿ قَالَ يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَـٰلِحٍ ﴾[4]

عَمَل مصدر من عمِل يعمل عملا ، أي تحول ابن سيدنا نوح عليه السلام إلى كتلة عمل غير صالحة ، و لم يبق فيه شيء من البشرية والإنسانية .

وهكذا الإنسان إن زكى نفسه وطهرها وجاهد في طاعة الله أصبح ينافس الملائكة في علياء السماء ، أما إن دسى نفسه في المعاصي أصبح خبيث النفس بل تردى إلى درجة البهيمية أو أقل .

---

(1) من سورة الأعراف 7 : (الآية / 40) .

(2) الكشاف للزمخشري : ج2/ 62 .

(3) تفسير البيضاوي : 205 .

(4) من سورة هود 11 : (الآية / 46) .

قال الله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ ﴾[1] ، وقال جل شأنه : ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾[2].

({ إنه } لعدم كون شيء من أعماله صالحا كأنه في نفسه { عمل غير صالح } فلا يستحق تأخير العذاب لاستيفاء أجر عمل صالح في الدنيا)[3]

إذن من كثرة عمله غير الصالح تحول إلى عمل غير صالح ، فكل أعماله غير صالحة (فجعلت نفسه ذلك العمل لكثرة ذلك منه كما يقال : الشعر زهير والعلم فلان إذا كثر منه)[4]

{ إنه عمل غير صالح } أي إنه ذو عمل غير صالح ، و لم يقل عمل فاسد مع أنهما متلازمان للإيذان بأن النجاة إنما كانت بسبب الصلاح .

({ إنه عمل غير صالح } أصله إنه ذو عمل غير صالح ، فجعل نفس العمل مبالغة ، وإيثار غير صالح على فاسد ، إما لأن الفاسد ربما يطلق على ما فسد ، ومن شأنه الصلاح فلا يكون نصا فيما هو من قبيل الفاسد المحض كالقتل والمظالم ، وإما للتلويح بأن نجاة من نجا إنما هي لصلاحه)[5]

فلفظة { عمل } أفادت المعنيين : المعنى الأول : عمل عملا غير صالح ، والمعنى الثاني: أنه ليس فقط عمل بل تحول إلى كتلة عمل غير صالح مثلما نقول : رجل صِدْق أي كله صدق وتحول إلى صدق كله والله أعلم .

الكلمة السابعة عشرة : مثواه من قوله تعالى :

---

(1) من سورة الأعراف 7 : (الآية / 179) .

(2) من سورة الشمس 91 : (الآيتان / 9 ـــ 10) .

(3) تفسير القرآن المسمى تبصير الرحمن وتيسير المنان لعلي بن أحمد المهايمي / 345 .

(4) تفسير الخازن : ج2/ 335 .

(5) تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان ، ط4 ، 1414هـ 1994م : ج4/212 .

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ ﴾ [1]

(قال ابن قتيبة :{ أكرمي مثواه } يعني أكرمي منـــزله ومقــامه عندك ، من قولك : ثويت بالمكان إذا أقمت به . وقــال الزجاج : أحســـني إليه في طول مقامه عندنا)[2]

والــــــثواء : الإقامة مع الاستقرار. (يقال : ثَوَى يَثْوِي ثِوَاء ، قال عز وجل : ﴿ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ﴾ [3] ، وقال : ﴿ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ۝٦٠ ﴾ [4])[5]

وهكذا يتبين لنا أن كلمة الثواء تعني معنيين : الإقامة ، والمعنى الثاني : الاستقرار . وفي هذه اللفظة معنى المبالغة في الإكرام حيث إذا أكرمت مكان إقامته وهو { المثوى } فمن باب أولى أن تكرم شخصه ، فما أفصح ألفاظ القرآن الكريم !.

(والمثوى : اسم مكان من ثوى بالمكان إذا أقام به إقامة سكنى أو إطالة مكث ، وقد بين الثواء بالخلود بقوله : ﴿ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾[6])[7]

ومعنى الآية : { أكرمي مثواه } أحسني ضيافته وإكرامه طول مكثه وبقائه عندنا غاية الإحسان ، ولا تتركي إكرامه لحظة واحدة ، هذا الإكرام لمكان إقامته فكيف بإكرامه هو نفسه ، وهذا مبالغة في الإكرام .

({ أكرمي مثواه } يقول : أكرمي موضع مقامه ، وذلك حيث يثوي ويقيم فيه . يقال: ثوى فلان بمكان كذا إذا أقام فيه)[8]

---

(1) من سورة يوسف 12 : (الآية / 21) .

(2) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي : ج4/ 198 .

(3) من سورة القصص 28 : (الآية / 45) .

(4) من سورة الزمر 39 : (الآية / 60) .

(5) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني : 181 مادة ثوى .

(6) من سورة الأنعام 6 : (الآية / 128) .

(7) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج7/ 53 .

(8) تفسير الطبري : ج7 / 172ـــــــــــ 173 .

({ أكرمي مثواه } أي اجعلي محل ثوائه وإقامته كريما أي حسنا مرضيا ، وهذا كناية عن إكرامه عليه السلام نفسه على أبلغ وجه وأتمه لأن من أكرم المحل بتنظيفه وفرشه ونحو ذلك فقد أكرم ضيفه بسائر ما يكرم به ، وقيل : المثوى مقحم يقال : المجلس العالي والمقام السامي ، والمعنى أحسني تعهده والنظر فيما يقتضيه إكرام الضيف)[1]

ونلمس من خلال هذه المعاني لكلمة مثواه نبل الأخلاق الكريمة حيث إكرام الضيف وحسن المعاملة للعبيد مع طول بقاء هذا العبد عند السيد حيث يريد أن يتخذه ولدا لعدم تحريم التبني عندهم . وهذه هي أخلاق الإسلام .

الكلمة الثامنة عشرة : حرضا من قوله تعالى :

﴿ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾[2]

(حرض : لها أصلان الأول : الذهاب والتلف والهلاك والضعف ، والأصل الثاني : الحرض وهو المشرف على الهلاك)[3]

(والحرض : ما لايعتد به ولا خير فيه ، ولذلك يقال لما أشرف على الهلاك حرِض ، قال عز وجل :{ تَكُونَ حَرَضًا })[4]

(الحرض : الفساد في البدن وفي المذهب وفي العقل ، والمشرف على الهلاك ومن لا خير عنده أو لا يرجى خيره ولا يخاف شره ، ومن أذابه العشق أو الحزن ، ومن لا يتخذ سلاحا ولا يقاتل ، والمضنى مرضا وسقما ، ومنه : { تَكُونَ حَرَضًا })[5]

---

(1) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي : ج12/ 207 .

(2) من سورة يوسف 12 : (الآية / 85) .

(3) معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ج41/2 مادة حرض .

(4) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني : 228 مادة حرض .

(5) القاموس المحيط للفيروز أبادي : ج2/ 339 مادة حرض .

وأصـــــــــــــل الحـــــــــــــــــــرض : الفساد في الجسم أو العقل من الحزن أو العشق أو الهرم . إذن كلمة { حرضا } تعني المعنيين : الأول أي دنفا من المرض وهو ما دون الموت ، والثاني : فاسدا لا عقل لك، ويجمعهما كلمة { حرضا } أي فاسد العقل والجسم ، مريض مرضا شديدا مهلكا . فالحرِض الذي قد نهكه الهرم أو الحب أو الحزن إلى حال فساد الأعضاء والبدن والحس . والحرض الذي فسد ودنا موته .

({ حرضا } مصدر هو شدة المرض المشفي على الهلاك ، وهو وصف بالمصدر ، أي حتى تكون حرضا أي باليا لا شعور لك ، ومقصودهم : الإنكار عليه صدا له عن مداومة ذكر يوسف عليه السلام على لسانه ، لأن ذكره باللسان يفضي إلى دوام حضوره في ذهنه .

وفي جعلهم الغاية الحرض أو الهلاك تعريض بأنه يذكر أمرا لا طمع في تداركه)[1]

ومن هنا كان لزاما على المسلم أن لا يحزن الحزن الشديد الذي يخرجه عن الرضا بقضاء الله وقدره ، لأن كثرة الأحزان مجلبة للأمراض ومذهبة للحسنات . (حكى الطبري بسند: أن يعقوب دخل على فرعون وقد سقط حاجباه على عينيه من الكبر ، فقال له فرعون : ما بلغ بك هذا يا إبراهيم ؟ فقالوا : إنه يعقوب ، فقال : ما بلغ بك هذا يا يعقوب ؟ قال له : طول الزمان وكثرة الأحزان ، فأوحى الله إليه : يا يعقوب أتشكوني إلى خلقي ؟ فقال : يا رب خطيئة فاغفرها لي)[2]

الكلمة التاسعة عشرة : لا تــثريب . من قوله تعالى :

﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ﴾[3]

(الجمهور : لا تعيـــير عليكم ، وقيل : لا أذكر لكم ذنبكم ، وقيل : لا مجازاة على ما فعلتم عندي لكم ، وقيل : لا تخليط عليكم ، الزجاج : لا إفساد عليكم ، وقيل : لا لوم عليكم ولا عتب .

الغريب : ابن عيسى[1] : التثريب تعليق الضر بالإنسان من أجل جرم كان منه .

---

(1) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج12/ 109 .

(2) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية : ج3/ 273 .

(3) من سورة يوسف 12 : (الآية / 92) .

العجيب : ابن بحر[2] : هو مأخوذ من الثَّرْب وهو شحم الجوف وهو بلوغ الأقصى من الأمر)[3]

(﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ﴾ لا تقريع ولا تبكيت ، والتثريب مشتق من الثَّرْب وهو شحم رقيق على القلب ، ومعنى ثربته : أزلت شحـــم فـــؤاده من شدة التقريع)[4]

(وأصل التثريب : الإفساد ، يقال : ثرَّب علينا إذا أفسد)[5]

فلفظة : { لا تـــثريب } تعني المعنيين : لا لوم ولا عتب ولا تقريع ، وأيضا لا إفساد لما بيني وبينكم من الحرمة وحق الإخوة ، ولكم عندي العفو والصفح .

إذن لا تثريب معناها : لا عتاب عليكم ولا إفساد لحق الإخوة والرحم الذي بيننا .

({ لا تـــثريب } أي لا تأنيب ولا لوم وأصله من الثَّرْب وهو الشحم الرقيق في الجوف وعلى الكرش ، وصيغة التفعيل للسلب أي إزالة الثرب كالتجليد والتقريع بمعنى إزالة الجلد والقرع ، واستعير للوم الذي يمزق الأعراض ويذهب بهاء الوجه ، لأنه بإزالة الشحم يبدو الهزال ومالا يرضي ، كما أنه باللوم تظهر العيوب ، فالجامع بينهما طريان النقص بعد الكمال وإزالة ما به الكمال والجمال)[6]

أي لا تخافوا يا إخوتي فلن أعاتبكم ولن أعدد معايبكم التي تفضحكم وتظهركم على حقـــيقتكم، ولن أزيل الشحم والستار الذي يستركم ويستر أخطاءكم ، هذا المعنى الأول ، أما الثاني : ولن أفسد ما بيني وبينكم من محبة الإخوان .

---

(1)ابن عيسى : شيخ القراء بالاسكندرية ، أبو القاسم عيسى بن عبد العزيز بن عيسى الشريشي . توفي 629 ه . ينظر سير أعلام النبلاء ج22/315 .

(2) محمد تقي بن السيد رضا بن بحر العلوم الطباطبائي من فقهاء الإمامية . توفي 1289ه . ينظر الأعلام ج6/ 63.

(3) غرائب التفسير وعجائب التأويل لمحمود بن حمزة الكرماني : 550 ـــــــــــ 551 .

(4) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 79 مادة ثرب .

(5) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة / 222 .

(6) روح المعاني للألوسي : ج13/ 50 .

({ لا تـــثريب } أي لا عتب ولا تأنيب { عليكم } وهو تفعيل من الثرب وهو الشحم الغاشي للكرش ، ومعناه : إزالته ، كما أن التجليد إزالة الجلد ، والتقريع إزالة القرع ، لأنه إذا ذهب كان ذلك غاية الهزال ، فضرب مثلا للتقريع الذي يذهب بماء الوجوه)[1]

الكلمة العشرون : الدلوك ، من قوله تعالى :

﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ٧٨ ﴾[2]

(الدلوك : الزوال ، الدلوك : الغـــروب ، حكيا قولان في كتب التفسير ، وليسا بقولين ، بل اللفظ يتناولهما معا ، فإن الدلوك هو الميل ، ودلوك الشمس ميلها ، ولهذا الميل مبتدأ ومنـــتهى ، فمبدؤه الزوال ، ومنتهاه الغروب ، ومثله تفسير الغاسق بالليل والقمر ، وأن ذلك ليس باختلاف ، بل يتناولهما لتلازمهما ، فإن القمر آية الليل)[3]

وكلمة دلوك لها معنيان كما ورد في كتب اللغة :

(دلك : الدال واللام والكاف أصل واحد يدل على زوال شيء عن شيء ولا يكون إلا برفق ، يقال : دلكت الشمس زالت ، ويقال : دلكت غابت ، والدَّلك وقت دلوك الشمس. قال أحمد بن فارس[4] : إن لله تعالى في كل شيء سرا ولطيفة ، وقد تأملت في هذا الباب من أوله إلى آخره فلا ترى الدال مؤتلفة مع اللام بحرف ثالث إلا وهي تدل على حركة ومجيء وذهاب وزوال من مكان إلى مكان والله أعلم .)[5]

---

(1) تفسير أبي السعود : ج4/ 304 .

(2) من سورة الإسراء 17 : (الآية / 78) .

(3) التفسير القيم لابن قيم الجوزية : 241 .

(4) أحمد بن فارس : بن زكريا القزويني الرازي أبو الحسين من أئمة اللغة والأدب ولد 329 ، توفي 395 هـ ، من تصانيفه : مقاييس اللغة والمجمل وجامع التأويل في تفسير القرآن .

(5) معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ج2/ 297 ـــــــــ 298 .

فالدلوك : الزوال وهو ميلها عن الاستواء إلى الغروب ، فمدة الميل من الزوال إلى الغروب كلها دلوك ، أي أن ابتداء ميل الشمس من الزوال إلى أن تغرب هذا كله يسمى دلوك . والله أعلم .

(لدلوك الشمس أي لزوالها عن دائرة نصف النهار ، وقيل لغروبها ، وأصل مادة دلك تدل على الانتقال ، ففي الزوال انتقال من دائرة نصف النهار إلى ما يليها ، وفي الغروب انتقال من دائرة الأفق إلى ما تحتها)[1]

(واخـــتلف العلماء في الدلوك على قولين : أحدهما أنه زوال الشمس عن كبد السماء ، والثاني: أن الدلوك هو الغروب .

قال الماوردي : من جعل الدلوك اسما لغروبها ، فلأن الإنسان يدلك عينيه براحته لتبينها حالة المغيب ، ومن جعله اسما لزوالها فلأنه يدلك عينيه لشدة شعاعها .

قال ابن عطية[2] : الدلوك هو الميل في اللغة ، فأول الدلوك هو الزوال ، وآخره هو الغروب ، ومن وقت الزوال إلى الغروب يسمى دلوكا لأنها في حالة ميل)[3]

وهكذا كانت لفظة دلوك مقصودة في الآية حتى يدخل تحتها الصلوات المفروضة في حالة الدلوك وعنده فيدخل في ذلك الظهر والعصر والمغرب ، ثم ذكر الله صلاة العشاء والفجر في نفس الآية (إلى غسق الليل وقرآن الفجر) فاكتمل بذلك ذكر جميع الصلوات، فما أجمل إعجاز القرآن اللفظي البياني .

الكلمة الواحدة والعشرون : زهوقا . من قوله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾[4]

---

(1) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي : ج15 / 131 ـــــــــ 132 .

(2) ابن عطية : عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي ، أبو محمد مفسر فقيه عارف بالأحكام والحديث، له كتاب المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ولد عام 481هـــ توفي 542هـــ . ينظر الأعلام ج3/ 282.

(3) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج10 / 196 ـــــــــــ197 .

(4) من سورة الإسراء 17 : (الآية /81) .

زهـــق : أي ذهب واضمحلّ كذهاب النفس ، قال تعالى : ﴿ وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ ﴾ [1]، يقال : زهقت نفسه أي فاضت أسفا ، وزهوق النفس بطلانها ، والزاهق من الأضداد ، يقال : للهالك من الدواب وللسمين منها زاهق ، والزاهق : السهم الذي تقع وراء الهدف دون إصابة . وزهق الباطل : ذهب وخرجت نفسه فتحول إلى جثة هامدة ثم هـــو قد ذهب وأخطأ هدفه فلم يحقق غرضه فذهبت نفسه أسفا وحزنا وغما وكمدا لذلك .

(يقال : زهق الباطل يزهق زُهوقا ، وأزهقه الله أي أذهـــــبه ، وقـــــــــــــــــولهم : أزهق السهم : إذا جاوز الغرض فاســـــــــــــــــــتمر على جهـــــــــــــــــــته ، وزهــــق الباطل أي ذهب من قولهم : زهقت نفسه إذا خرجت)[2]

({ زهق } ذهب وهـــلك ، { الباطل } الشرك ، أو جـــــــــاء القـــــــــــــــرآن وهلـــــــــــك الشيـــــــــــــــــــطان ، ﴿ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ كان مضمحلا في كل أوان)[3]

وذلك أن الباطل وإن كان له دولة وصولة في وقت من الأوقات فهو سريع الذهاب والزوال .

(ذهب يقال للسهم قد زهق إذا جاوز الغـــــــــــــــرض واستمر على جهته ، وزهقت نفسه إذا خرجت)[4]

({ وزهق } اضمحل بعد وجوده ، ومصدره الزُّهوق والزَّهق ، وزهق الباطل مجاز في تركه أصحابه فكأنه كان مقيما بينهم ففارقهم ، والمعنى : استقر وشاع الحق الذي يدعو إليه النبي صلى الله عليه وسلم ، وانقضى الباطل الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم ينهى عنه)[5]

---

(1) من سورة التوبة 9 : (الآية / 85) .

(2) تفسير الطبري : ج8/ 139 .

(3) تفسير النسفي : ج2/ 342 .

(4) غريب القرآن وتفسيره ، لأبي عبد الرحمن عبد الله بن يحيى بن المبارك اليزيدي ، تحقيق محمد سليم الحاج ، عالم الكتب ، ط، 1405هـــ 1985م ص 220 .

(5) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج14/ 148 .

وهكذا كانت كلمة { زهوقا } تؤدي المعنيين : الأول : الذهاب والاضمحلال ، والثاني : تجاوزه الغرض والهدف وموته كمدا ، وهذا تشبيه بالإنسان الذي لم يصب الهدف فزهقت نفسه وخرجت روحه غما وحزنا .

(وزهق بطل واضمحل وأصـــله : من زهقـــت نفسه تزهق أي هلكت ، وقوله : ﴿ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ يعني أن الباطل وإن اتفقت له دولة وصولة إلا أنها لا تبقى بل تزول على أسرع الوجوه)[1]

الكلمة الثانية والعشرون : طريق من قوله تعالى :

﴿ فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ ﴾[2]

(الطاء والراء والقاف أربعة أصول : أحدها : الإتيان مساء ، والثاني : الضرب ، والثالث : جنس من استرخاء الشيء ، والرابع : خصف شيء على شيء .

فالأول : الطروق ، ويقال : إنه إتيان المنـــزل ليلا ، والدليل على أن الأصل الليل تسميتهم النجم طارقا ، لأنه يطلع ليلا ، قالوا : وكل من أتى ليلا فقد طرق .

ومن الباب والله أعلم : الطريق لأنه يتورَّد)[3] ، (الطارق : النجم أي نجم كان ، سمي طارقا لأنه يرى ليلا ، وكل من أتى ليلة أو رئي فيه سمي طارقا ، قوله : { طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا } الطريق السبيل الذي يطرق بالأرجل أي يضرب بها)[4]

ولذلك اختار الله كلمة طريقا و لم يقل : سبيلا حيث تدل على المعنيين : السبيل الذي يطرق بالأرجل أي يضرب بها ، والمعنى الثاني على الليل حيث قال الله : ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ

---

(1) مفاتيح الغيب (تفسير الرازي) : ج21/ 28 .

(2) من سورة طه 20 : (الآية / 77) .

(3) معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ج3/ 449 ـــــــــ 450 . مادة طرق .

(4) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 318 مادة طرق .

﴿ أَسۡرِ بِعِبَادِي فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقًا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسًا ﴾[1] ، والإسراء لا يكون إلا ليلا ، فناسب أن يذكر الله كلمة طريقا لتدل على أن ذلك الطريق كان ليلا بأمر من الله ومعجزة منه . ولأن الطرق لا يكون إلا ليلا .

(والطارق : السالك للطريق ، لكن خصَّ في التعارف بالآتي ليلا ، فقيل : طرق أهله طُرُوقا ، وعُبر عن النجم بالطارق لاختصاص ظهوره بالليل ، قال تعالى : ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ ﴾[2])[3]

الكلمة الثالثة والعشرون : ضنكا من قوله تعالى :

﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾[4]

(الضنك : الضيق ، وامرأة ضناك : مكتنـــزة ، والمضنوك : المزكوم ، والضناك : الزكام)[5]

(ضنك : الضاد والنون والكاف أصلان صحيحان ، وإن قل فروعهما : فالأول : الضيق ، والآخر : مرض .

فالأول الضنك : الضيق ، ومن الباب امرأة ضناك : مكتنـــزة اللحم إذا اكتنز تضاغط .
والأصل الآخر المضنوك : المزكوم ، والضناك : الزكام)[6]

وهكذا نجد أن كلمة ضنكا لها معنيان : الضيق والشدة ، والمعنى الثاني : المرض بمعنى أن الذي يعرض عن ذكر الله فإن له معيشة ضنكا أي معيشة ضيقة شديدة مع الشعور بالاختناق ، كأنه مريض ومزكوم ، ولذلك اختار الله كلمة { ضنكا } لتوضيح هذين المعنيين.

(﴿ فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ روي عن ابن مسعود [1] وأبي هريرة [2] وأبي سعيد الخدري [3] رضي الله عنهم أنهم قالوا هو عذاب القبر ، قال أبو سعيد : يضغط في القبر حتى تختلف أضلاعه

---

(1) من سورة طه 20 : (الآية / 77) .
(2) من سورة الطارق 86 : (الآية / 1) .
(3) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني : 518 مادة طرق .
(4) من سورة طه 20 : (الآية / 124) .
(5) مجمل اللغة لابن فارس : ج2/ 567 مادة ضنك .
(6) معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ج3/ 373 ــ 374 .

، وقيل هو الزقوم والضريع والغسلين في النار ، وقيل هو الحرام والكسب الخبيث ، وقال ابن عباس : الشقاء ، وعنه قال : كل ما أعطي العبد قلَّ أم كثر فلم يتق فيه فلا خير فيه ، وهو الضنك في المعيشة ، وإن قوما أعرضوا عن الحق وكانوا أولي سعة من الدنيا مكثرين منها فكانت معيشتهم ضنكا ، وذلك أنهم يرون أن الله ليس بمخلف لهم ، فاشتدت عليهم معايشهم من سوء ظنهم بالله تعالى ، وقيل : يسلب القناعة حتى لا يشبع)[4]

فالمعيشة الضنك : الضيقة الشديدة قد تكون في الدنيا وقد تكون في القبر ، وقد تكون حسية وقد تكون معنوية ، كما قال بعضهم : لا يعرض أحد عن ذكر ربه إلا أظلم عليه وقته ، وتشوَّش عليه رزقه ، وكان في عيشة ضنك . (وذلك لأن مجامع همته ومطامح نظره مقصورة على أعراض الدنيا وهو متهالك على ازديادها وخائف من انتقاصها بخلاف المؤمن الطالب للآخرة ، مع أنه قد يضيق الله بشؤم الكفر ويوسع ببركة الإيمان كما قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[5])[6]

وهـــكذا اختار الله لفظة { ضنكا } لتعطي المعنيين : الشدة والضيق مع المرض والاخـــتناق . فهذا الكافر في ضيق لا يوصف رغم سعة أمواله أحيانا إلا أنه مهموم مغموم ، مريض جسديا ونفسيا بسبب البعد عن الله وذكره ، ففي القلب شعث وفراغ لا يملؤه إلا الإيمان بالله والقرب من الله .

---

(1) عبد الله بن مسعود : من السابقين المهاجرين ، كان صاحب سواد رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني سره ، وصاحب وساده يعني فراشه ، وصاحب سواكه ونعليه ، وطهوره ، وذلك في السفر ، توفي في المدينة 32هـ . ينظر الاستيعاب في أسماء الأصحاب : 2/ 316 ــ 324، والإصابة : 368/2 ، وحلية الأولياء : 1/ 122، والمعارف / 328 .

(2) أبو هريرة : الصحابي الجليل الملازم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو أكثر الصحابة رواية للحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كنيته أبو هريرة لأنه كان يحمل هرة في كمه ، وأسلمت أمه بعد أن دعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهداية .توفي 57 ه . ينظر الإصابة في تمييز الصحابة : ج7/ 199 ، وسير أعلام النبلاء :ج2/ 609 .

(3) أبو سعيد الخدري : سعد بن مالك بن سنان بن عبيد الأنصاري الخزرجي ، مشهور بكنيته ، استصغر بأحد واستشهد أبوه بها ، وغزا هو ما بعدها ، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم الكثير . توفي 63 ه ، ينظر الإصابة في تمييز الصحابة : 3/ 85 ـــــــ 86.

(4) تفسير الخازن : ج3/ 252 .

(5) من سورة الأعراف 7 : (الآية / 96) .

(6) تفسير أبي السعود : ج6/ 48 .

الكلمة الرابعة والعشرون : نفحة من قوله تعالى :

﴿ وَلَئِن مَّسَّتۡهُمۡ نَفۡحَةٞ مِّنۡ عَذَابِ رَبِّكَ ﴾ [1]

(نفح : النون والفاء والحاء أصل يدل على اندفاع الشيء أو رفعه ، ونفحت رائحة الطيب نفحا: انتشرت واندفعت ، ولهذا الطيب نفحة طيبة ، ونفحت هبت ، وقوس نفوح: بعيدة الدفع للسهم)[2]

فكلمة نفحة : تعني الرفع مع الاندفاع والضرب .

(نفحت الدابة تنفح نفحا وهي نفوح : رمحت برجلها ورمت بحدّ حافرها ودفعت ، والنفح : الضرب والرمي .

ونفحة من العذاب قطعة منه ، ونفحة العذاب دفعة منه . وقال الزجاج : النفح كاللفح، إلا أن النفح أعظم تأثيرا من اللفح . والنفحة : ما أصابك من دفعة البرد .

قال الجوهري[3] : ما كان من الرياح نفح فهو برد ، وما كان لفح فهو حر)[4]

(نفح : قوله تعالى : ﴿ وَلَئِن مَّسَّتۡهُمۡ نَفۡحَةٞ مِّنۡ عَذَابِ رَبِّكَ ﴾ [5] النفحة : الفورة ، ومنه الحديث : { أول نفحة من دم الشهيد } [6] أي فورة ، وطعنة نفوح أي فوّارة ، وقيل : أصله

---

(1) من سورة الأنبياء 21 : (الآية / 46) .

(2) معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ج5/ 458 .

(3) الجوهري : إسماعيل بن حماد من أعاجيب الدنيا ، إمام في علم اللغة ، وخطه يضرب به المثل في الحسن ، توفي 398 هـ . ينظر إنباه الرواة على أنباه النحاة لجمال الدين علي بن يوسف القفطي .

(4) لسان العرب لابن منظور : ج622/2 ـــــــــــ623 مادة نفح .

(5) من سورة الأنبياء 21 : (الآية / 46) .

(6) المستدرك على الصحيحين للحاكم : ج14/ 150 ، سكت عنه الذهبي في التلخيص .

في الخير ، يقال : نفح الريح ينفح نفحا ، وله نفحة طيبة أي هبوب من الخير ثم يستعار ذلك للشر قاله الراغب)[1]

ونَفْحَة على وزن فَعْلَة أي اسم يدل على المرة ، مثل أَكْلة وشَرْبة ، (نفحة : قال ابن عباس : طرف ، وقال الزجاج : المراد أدنى شيء من العذاب)[2]

إذن نفحة اسم مرة أي مرة واحدة ، والمراد بالنفحة : القليل ، مأخوذ من نفح المسك يقال : نفحه نفحة بالسيف أي ضربه ضربة خفيفة .

(﴿ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ ﴾ أدنى شيء ، وفيه مبالغات ذكر المس وما في النفحة من معنى القلة ، فإن أصل النفح هبوب رائحة الشيء والبناء الدال على المرة)[3]

النفحة في اللغة : الدفعة اليسيرة ، فالمعنى : ولئن مسهم أقل شيء من العذاب .

(والنفحة : الخطرة والمسة كما تقول : نفح بيده إذا قال بها هكذا ضاربا إلى جهة ، ومنه نفحة الطيب كأنه يخطر خطرات على الحاسة ، ومنه نفح له من عطايا إذا أجراه منها نصيبا ، ومنه نفح الفرس برجله إذا ركض ، والمعنى : ولئن مس هؤلاء الكفرة صدمة عذاب في دنياهم ليندمن وليقرنَّ بظلمهم)[4]

هذا التفسير أيضا أكد أن للنفحة معنيين : وهما المس مع الاندفاع والصدمة أو الضرب.

(﴿ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ ﴾ في هذا ثلاث مبالغات : لفظ المس وما في النفح من معنى القلة والنـــزارة ، يقال : نفحته الدابة : رمحته رمحا يسيرا ، ونفحه بعطية أي بنائل قليل ، ولبناء المرة منه أي : بأدنى إصابة يخضعون . والنفح : الخطرة ، ونفح له من عطائه : أي رضخ له بشيء)[5]

الكلمة الخامسة والعشرون : جذاذا من قوله تعالى :

---

(1) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 585 مادة نفح .

(2) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي : ج5/ 354 .

(3) تفسير البيضاوي : 431 .

(4) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية : ج4/ 84 .

(5) الدر المصون للسمين الحلبي : ج8/ 163 .

﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ ﴾ [1]

(الجيم والذال أصل واحد إما كسر وإما قطع ، يقال : جذذت الشيء كسرته ، قال الله تعالى: ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ ﴾ [2] أي كسَّرهم ، وجذذته قطعته ، ومنه قوله تعالى : ﴿ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ۝١٠٨ ﴾ [2] أي غير مقطوع) [3]

(جذذت الشيء : كسرته وقطعته ، قال الله : ﴿ غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ ويقال : ما عليه جذة أي شيء يستره من الثياب ، والجذيذة : السويق ، ويقال لحجارة الذهب جذاذ لأنها تكسر وتسحل) [4]

ولفظ جذاذ يقع على الواحد والاثنين والجميع من المذكر والمؤنث ، (وقال ابن قتيبة : جذاذا أي فتاتا ، وكل شيء كسرته فقد جذذته) [5]

(والجذّ : التفتيت والتكسير ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا ﴾ [2] أي قطعا مكسرة وفتاتا) [6]

اختار الله لفظة { جذاذا } لتفيد المعنيين وهما : التكسير ثم التفتيت ، فكأن سيدنا إبراهيم عليه السلام قطعها وكسرها ثم زاد عليها في التحطيم إلى أن تفتت وصارت جذاذا أي قطعا مكسرة وفتاتا.

(الجذّ : كسر الشيء وتفتيته ، يقال لحجارة الذهب المكسورة ولفتات الذهب : جذاذ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا ﴾) [7]

---

(1) من سورة الأنبياء 21 : (الآية / 58) .

(2) من سورة هود 11 : (الآية / 108) .

(3) معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ج1/ 409 مادة جذّ .

(4) مجمل اللغة لابن فارس : ج1/ 170 مادة جذّ .

(5) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة : 286 .

(6) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 90 مادة جذذ .

(7) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني : 190 مادة جذّ .

(قولـــه تعالى : ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا ﴾ قراءة الجمهور بضم الجيم ، وقرأ الكسائي [1] وحده بكسرها ، وفيه وجهان :

أحدهما : حطاما ، قاله ابن عباس وهو تأويل من قرأ بالضم .

والثاني : قطعا مقطوعة . قال الضحاك [2] : هو أن يأخذ من كل عضوين عضوا ويترك عضوا ، وهذا تأويل من قرأ بالكسر ، مأخوذ من الجذ وهو القطع)[3]

ومن هنا كان لكلمة : { جذاذا } معنيين : قطعا مقطوعة ثم أصبحت حطاما أي مفتتة بعد تكسيرها ، وهذا هو المعنى الثاني . وجُذاذ اسم للشيء المكسر كالحُطام والرفات والفتات بمعنى الشيء المحطم والمفتت .

(وكانت اثنين وسبعين صنما بعضها من ذهب وبعضها من فضة ، وبعضها من حديد وبعضها من نحاس ورصاص وحجر وخشب ، وكان الصنم الكبير من الذهب مكللا بالجواهر في عينيه ياقوتـــتان تـــتقدان)[4]

الكلمة السادسة والعشرون : مرضعة من قوله تعالى :

﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ﴾ [5]

قال الله : { مرضعة } ولم يقل : { مرضع } لأنه لا يوجد من الرجال مرضع ، ولذلك هذه الصفات الخاصة بالنساء لا تحتاج إلى تاء تأنيث مثل : (حائض وحامل وعاقر وطالق وقاعد) .

---

(1) الكسائي : علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي الكوفي أبو الحسن ، إمام في اللغة والنحو والقراءة ، له تصانيف منها : معاني القرآن ، وأشهر تلامذته : أبو الحارث وحفص الدوري ، توفي 189هـ ، ينظر الأعلام : ج4/ 282، وإنباه الرواة على أنباه النحاة : ج256/2.

(2) الضحاك بن مزاحم البلخي الخراساني أبو القاسم مفسر ، له كتاب في التفسير ، توفي بخراسان سنة 102ه . ينظر الأعلام : ج3 / 215 .

(3) النكت والعيون للماوردي : ج3/ 451 .

(4) تفسير الخازن : ج263/3 .

(5) من سورة الحج 22 : (الآية / 2) .

إذن فما هذه التاء الموجودة في مرضعة ؟ التاء هنا تاء المبالغة وليست تاء تأنيث ، مثل كلمة : علاَّمة ، فمن المستحيل أن تكون التاء في كلمة (علاّمة) للتأنيث وإنما هي تاء المبالغة .

ومثلها كلمة : مرضعة ، التاء هنا للمبالغة ، وأفادت معنيين : أن الأم مرضع ، والمعنى الثاني : حالة الإرضاع نفسها ، أي حالة إرضاع الأم لطفلها وليس كونها مرضع فقط أي من شأنها الإرضاع، فهي هنا حالة الإرضاع أي لحظة الإرضاع ، وهي أشد ما تكون حنانا وتعلقا بولدها .

وهكذا أراد الله هذا المعنى وهو صعوبة يوم القيامة ، حيث تذهل كل مرضعة عما أرضعت ، حال كونها ترضعه ، وهي حالة من الحنان والحب والشفقة ليس لها مثيل .

(المرضع : من لها ولد ترضعه ، والمرضعة : من ألقمت الثدي للرضيع ، وعلى هذا فقوله تعـــالى : ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ ﴾ لفظ مرضعة أبلغ من مرضع في هذا المقام . فإن المرأة قد تذهل عن الرضيع إذا كان غير مباشر للرضاعة . فإذا التقم الثدي واشتغلت برضاعه لم تذهل عنه إلا لأمر هو أعظم عندها من اشتغالها بالرضاع)[1]

الكلمة السابعة والعشرون : مقامع . من قوله تعالى :

﴿ وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ ﴾[2]

(﴿ وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ ﴾ لضرب رؤوسهم)[3]

(واحدها مِقمعة ومِقمع ، والمقامع كل ما يقمع به ، يُضرب ويُقهر ويُذل . يقال : قمعته فانقمع أي كففته فكف)[4]

---

(1) التفسير القيم لابن قيم الجوزية ، جمع محمد أويس الندوي ، تحقيق محمد الفقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، 1398هـ 1978م ، ص : 366 .

(2) من سورة الحج 22 : (الآية / 21) .

(3) تفسير الجلالين للإمامين جلال الدين محمد بن أحمد المحلي ، والعلامة جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، دار المعرفة بيروت لبنان ، ص : 435 .

(4) مفاتح فهم القرآن لأحمد علي إمام /540 .

فالقمع لع معنيان : الضرب بالمقمع مع الإذلال والقهر والعنف . (ويتساقط ما عليهم من الجلود مع زبانية بأيديهم عمد من حديد يضربون بها رؤوسهم إذا حاولوا الخروج من النار)[1]

(والمـــقامع : جمع مقمعة ، والمقمعة ما يضرب به الرأس حتى لا يعي فينكب أو ينحط)[2]

وسبب المقامع أو المطارق ، أن النار ترمي الكفار بلهبها ، حتى إذا كانوا في أعلاها ضُربوا بمقامع فهووا فيها سبعين خريفا ، فإذا انتهوا إلى أسفلها ضربهم زفير لهبها فلا يستقرون ساعة .

وفي الخـــــــــــــــبر : (لو أن مقمـــــــــــــــــــــعا من حديد وضع في الأرض فاجتمع له الثقلان ما أقلوه من الأرض)[3]

(﴿ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ ﴿٢١﴾ ﴾ سياط منه يجلدون بها ، جمع مقمعة وحقيقتها ما يقمع به أي يكف بعنف)[4]

(﴿ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ ﴿٢١﴾ ﴾ أي يضربون بها ويدفعون ، الواحدة مِقمعة ومِـــقمع، وقد قمعته إذا ضربته بها وقمعته وأقمعته بمعنى ، أي قهرته وأذللته فانقمع ، وقيل : المقامع المطارق وهي المرازب أيضا . وفي الحديث : { ثم يقيض له أعمى أصم أبكم في يده مرزبة ، لو ضرب بها جبل كان ترابا ، فيضربه ضربة حتى يصير ترابا ، ثم يعيده الله كما كان ، فيضـــربه ضربة أخرى فيصيح صيحة ، يسمعه كل شيء إلا الثقلين }[5]

وقيل : المقامع : سياط من نار ، وسميت بذلك لأنها تقمع المضروب أي تذللـــه)[6]

وهكذا تكون كلمة مقامع لها معنيان : الضرب والدفع مع القهر والإذلال .

---

(1) درة التنـــزيل وغرة التأويل للشيخ أبي عبد الله محمد الاسكافي / 215 .

(2) النكت والعيون للماوردي : ج4/ 14 .

(3) رواه أحمد بن حنبل : (ج29/3) ، رقم الحديث : 11253 ، ص 771 ، قال شعيب الأرنؤوط في تعليقه على مسند أحمد : إسناده ضعيف ، رواه أبو يعلى 1388(526/2) ، والحاكم (8773) (4/ 642) وقال: صحيح الإسناد و لم يخرجاه ،وقال حسين سليم أسد في تعليقه على أبي يعلى : إسناده ضعيف .

(4) تفسير البيضاوي : ص 442 .

(5) رواه أبو داود : (كتاب السنة / باب المسألة في القبر وعذاب القبر 26) رقم الحديث 4727 ، ج13ص 89 وأحمد بن حنبل : (ج296/4) رقم الحديث : 18815 ، قال الألباني في تعليقه على سنن أبي داود : صحيح .

(6) الجامع لأحكام القرآن : (ج12/ 19 ———— 20) .

({ مِنْ حَدِيدٍ } صفة لمقامع وهي جمع مقمعة بكسر الميم ، لأنها آلة القمع ، يقال : قمعه يقمعه إذا ضربه بشيء يزجره به ويُذلُّه ، والمقمعة : المطرقة ، وقيل : السوط)[1]

الكلمة الثامنة والعشرون : غراما من قوله تعالى :

﴿ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ ﴾[2]

(غراما : أي هلاكا وخسرانا ملحا لازما ، ومنه الغريم لإلحاحه وإلزامه ، ويقال : فلان مغرم بالنساء إذا كان مولعا بهن ، وسأل نافع بن الأزرق[3] ابن عباس عن الغرام فقال : هو الموجع ، وعن محمد بن كعب[4] في (غراما) أنه سأل الكفار ثمن نعمه فما أدوها إليه فأغرمهم فأدخلهم النار ، واعلم أنه تعالى وصفهم بإحياء الليل ساجدين وقائمين ، ثم عقبه بذكر دعوتهم هذه إيذانا بأنهم مع اجتهادهم خائفون مبتهلون إلى الله في صرف العذاب عنهم ، كقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾[5])[6]

(غراما : أي هلاكا وخسرانا ملحا محيطا بمن تعلق به ، مذلا له ، دائما بمن غرى به لازما له لا ينفك عنه)[7]

من هنا يتبين أن كلمة غراما لها معنيان : الأول : اللزوم والدوام والإلحاح والإحاطة ، والثاني : الهلاك والخسران والإذلال .

---

(1) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ج 8/ 250 .

(2) من سورة الفرقان 25 : (الآية / 65) .

(3) نافع بن الأزرق : بن قيس الحنفي البكري الوائلي أبو راشد ، من أهل البصرة ، صحب في أول أمره عبد الله بن عباس وله أسئلة رواها عنه ، قتل سنة 65هـ ينظر الأعلام : ج351/7 .

(4) محمد بن كعب : أبو حمزة وقيل أبو عبد الله المدني من حلفاء الأوس ، سكن الكوفة ثم المدينة ، تابعي محدث عالم بالقرآن، ثقة صالح توفي سنة 18هـ . ينظر تهذيب التهذيب ج420/9 .

(5) من سورة المؤمنون 23 : (الآية / 60) .

(6) تفسير الرازي : (ج24/ 108) .

(7) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط2 ، 2003م 1424هـ ، ج423/13 .

(غراما : أي ملحا دائما ، لازما غير مفارق من عذّب به من الكفار ، ومنه سمي الغريم لطلبه حقه وإلحاحه على صاحبه وملازمته إياه ، قال محمد بن الكعب القرظي : سأل الله الكفار ثمن نعمه فلم يؤدوا فأغرمهم فيه فبقوا في النار ، قال: كل غريم يفارق غريمه إلا جهنم. والغرام : الشر اللازم ، وقيل : غراما هلاكا)[1]

سأل الله الكفار عن النعم فلم يأتوا بثمنها ، فأغرمهم ثمن النعم وأدخلهم النار .

(غراما : أي لازما دائما ، وعن الحسن : كل غريم يفارق غريمه إلا غريم جهنم ، فغراما بمعنى شر لازم ، وقيل : خسرانا ملحا لازما ، ومنه الغريم لإلحاحه وإلزامه)[2]

فكلمة غراما أعطت هذين المعنيين : الخلود واللزوم للنار إضافة إلى الهلاك والخسران .

(الأظهر أن معنى قوله تعالى : كان غراما أي كان لازما دائما غير مفارق ، ومنه سمي الغريم لملازمته ، ويقال : فلان مغرم بكذا أي لازم له مولع به ، وهذا المعنى دلت عليه آيات من كتاب الله كقوله تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ ﴾[3]، وقوله تعالى : ﴿ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾[4]، وقوله تعالى : ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ ﴾[5] ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ﴾[6] ، وقال الزجاج : الغرام أشد العذاب)[7]

(وما رأوا جهنم ولكنهم آمنوا بوجودها ، وتمثلوا صورها مما جاءهم في القرآن الكريم وعلى لسان رسول الله الكريم ، فهذا الخوف النبيل إنما هو ثمرة الإيمان العميق ، وثمرة التصديق ، وهم

---

(1) تفسير البغوي المسمى معالم التنـزيل لمحيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي ، تحقيق : محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط 4 ، 1417هـ 1997م : ج6/ 94.

(2) تفسير اللباب لأبي حفص عمر بن علي بن عادل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان : ج13/215 .

(3) من سورة المائدة 5 : (الآية /37) .

(4) من سورة الزخرف 43 : (الآية / 75) .

(5) من سورة البقرة 2 : (الآية / 162) .

(6) من سورة فاطر 35 : (الآية / 36) .

(7) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ، دار الفكر ، بيروت لبنان ، 1415هـ 1995م : ج6/ 125 .

يتوجهون إلى ربهم في ضراعة وخشوع لصرف عنهم عذاب جهنم ، لا يطمئنهم أنهم يبيتون لربهم سجدا وقياما ، فهم لما يخالج قلوبهم من التقوى يستقلون عملهم وعبادتهم ، ولا يرون فيها ضمانا ولا أمانا من النار ، إن لم يتداركهم فضل الله وعفوه ورحمته فيصرف عنهم عذاب جهنم .

والتعبير يوحي كأنما جهنم متعرضة لكل أحد ، متصدية لكل بشر ، فاتحة فاها ، تهم أن تلتهم ، باسطة أيديها تهم أن تقبض على القريب والبعيد ، وعباد الرحمن الذين يبيتون لربهم سجدا وقياما يخافونها ويخشونها ، ويتضرعون إلى ربهم أن يصرف عنهم عذابها ، وأن ينجيهم من تعرضها وتصديها.

ويرتعش تعبيرهم وهم يتضرعون إلى ربهم خوفا وفزعا : ﴿ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ ﴾ أي ملازما لا يتحول عن صاحبه ولا يفارقه ولا يقيله ، فهذا ما يجعله مروعا مخيفا شنيعا .. ﴿ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ ﴾ [1] وهل أسوأ من جهنم مكانا يستقر فيه الإنسان ويقيم. وأين الاستقرار وهي النار ؟ وأين المقام وهو التقلب على اللظى ليل نهار ؟!) [2]

ومن هنا يتبين أن كلمة الغرام لها معنيان : اللزوم والإلحاح إضافة إلى الهلاك والعذاب . (والغرام: اللازم من العذاب والشر الدائم والبلاء والحب والعشق . وقال الزجاج : هو أشد العذاب في اللغة ، قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ ﴾ أي ملحا دائما لازما) [3]

وهذا اللزوم إما للكفار أو المراد به الامتداد كما في لزوم الغريم . (﴿ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ ﴾ أي لازما عن ابن عباس ، وفي رواية أخرى عنه تفسيره بالفظيع الشديد ، وفسره بعضهم بالمهلك) [4]

---

(1) من سورة الفرقان 25 : (الآية / 66) .

(2) في ظلال القرآن لسيد قطب : ج5 / 231 .

(3) لسان العرب لابن منظور : ج 12/ 436 ـــ 437 مادة غرم .

(4) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي : ج19/ 45 .

وتفسير ابن عباس رضي الله عنهما للكلمة يؤكد ما ذكرناه سابقا من أن كلمة غراما لها معنيان .

(والغرام : الهلاك الملح الدائم ، وغلب إطلاقه على الشر المستمر)[1] ، وهكذا نرى إعجاز القرآن العظيم في اختيار لفظة (غراما) حيث أفادت المعنيين اللذين أرادهما الله حين اختار هذه اللفظة الكريمة (غراما) .

الكلمة التاسعة والعشرون : فارهين من قوله تعالى :

﴿ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾[2]

(الفاء والراء والهاء فره : كلمة تدل على أشرٍ وحذق من ذلك : الفاره : الحاذق بالشيء ، والفَرِهُ : الأشر)[3]

(والفاره : الحاذق بالشيء من فرُه بالضم ، ورجل فرِهٌ : نشيط ، أشرٌ من فرِه بالكسر ، أشر وبطر)[4]

(واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك على نحو اختلاف القراء في قراءته فقال بعضهم: فارهين : حاذقين ، وقال آخرون : فرهين : أشرين)[5]

الكلمة الثلاثون : مساكنكم من قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[6]

---

(1) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج19/ 91 .

(2) من سورة الشعراء 26 : (الآية / 149) .

(3) معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ج4 / 496 مادة فره .

(4) لسان العرب لابن منظور : ج13/ 522 مادة فره .

(5) تفسير الطبري : ج9/ 466 .

(6) من سورة النمل 27 : (الآية / 18) .

قال الله : مساكنكم و لم يقل : منازلكم أو بيوتكم ، حيث أعطت كلمة مساكنكم معنى إضافيا على المنـــزل والبيت هو السكن والراحة والطمأنينة .

(قوله تعالى : (لتسكنوا فيه) [1] ، أي تستريحون من التعب ، لأن السكون ضد الحركة، فالحركة مظنة التعب ، لأن فيها انتقالات بالأعضاء وأعمال بالجوارح ، والنهار ظرف ذلك ، والليل ظرف الراحة والسكون ، قال الله تعالى : ﴿ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [2] ، أي اتخذاها سكنا ، والسكن ما يسكن ، والسكين من ذلك أيضا لأنه تسكن به حركة المذبوح [3])

وهكذا كانت الدقة في اختيار اللفظة : مساكنكم ، حتى النمل يريد أن يدخل منـــزلا فيه السكن والراحة والطمأنينة ، ولذلك قال الله : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا ﴾ [4] ، فالسكن هدف وغاية البيت المسلم ، فإذا لم يوجد السكن والراحة فليس بمسكن .

(والسكن : السكون وما يسكن إليه ، قال تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا ﴾ [5] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾ [6] ، وقال تعالى : ﴿ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا ﴾ [7]) [8]

---

(1) من سورة القصص 28 : (الآية / 73) .

(2) من سورة البقرة 2 : (الآية / 35) .

(3) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 245 مادة سكن .

(4) من سورة الروم 30 : (الآية / 21) .

(5) من سورة النحل 16 : (الآية / 80) .

(6) من سورة التوبة 9 : (الآية / 103) .

(7) من سورة الأنعام 6 : (الآية / 96) .

(8) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني / 417 مادة سكن .

الكلمة الواحدة والثلاثون : الخبء من قوله تعالى : ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [1]

(كلمة الخبء فيها تأويلان :

أحدهما : يعني غيب السمــــاوات والأرض ، قاله عكرمـــة[2] ومجاهد[3] وقتادة وابن جبير[4] .

الثاني : أن خبء السماوات المطر ، وخبء الأرض النبات ، قاله ابن زيد . والخـــبء بمعنى المخبوء، وقع المصدر موقع الصفة .

وفي معنى الخبء في اللغة وجهان :

أحدهما : أنه ما غاب .

الثاني : أنه ما استــتـــر)[5]

(يخرج الخبء : يقال ذلك لكل مدخر مستور)[6]

(الخبء : كل غائب ، وقيل : كل مدخر مستور ، وقيل : المراد السر)[7]

من هنا يتبين أن كلمة الخبء لها معنيان لغة : الأول : الغائب ، والثاني : المدخر المستور .

(والخبء : مصدر خبأ الشيء إذا أخفاه . أطلق هنا على اسم المفعول أي المخبوء على طريقة المبالغة في الخفاء كما هو شأن الوصف بالمصدر)[1]

---

(1) من سورة النمل 27 : (الآية / 25) .

(2) عكرمة : أبو عبد الله عكرمة بن عبد الله مولى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، أصله من البربر من أهل المغرب ، واجتهد ابن عباس في تعليمه القرآن والسنن ، روى عن جماعة من الصحابة . توفي 105ه . ينظر وفيات الأعيان : ج 3/ 265 ـــــــ 266.

(3) مجاهد : ابن جبير المكي أبو الحجاج ، مفسر من آثاره تفسير القرآن ، له طرق منها طريق ابن أبي نجيح وطريق ابن جريج وطريق ليث توفي 104هـــ . ينظر كشف الظنون ج458/1 ، ومعجم المؤلفين ج8/ 177.

(4) ابن جبير : سعيد بن جبير بن هشام الكوفي الأسدي أبو عبد الله ، سمع سعيد جماعات من أئمة الصحابة منهم ابن عمر وابن عباس وابن الزبير ، روى عنه جماعات من التابعين ، وكان سعيد من كبار أئمة التابعين ومتقدميهم في التفسير والحديث والفقه والعبادة والورع وغيرها من صفات أهل الخير ، توفي 95 ه . ينظر تهذيب الأسماء واللغات : ج 216/1 ـــــــ 217 .

(5) النكت والعيون للماوردي : ج4 / 204 .

(6) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني : 274 مادة خبأ .

(7) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 148 مادة خبأ .

وهكذا أراد الله كلمة الخبء لتشمل المعنيين كل ما غاب في السماء والأرض ، وكل ما استـــتر ثم ظهر مثل المطر والنبات ، وهذا يدل على عظيم علم الله وقدرة الله الكبيرة جلَّ في علاه .

(خبء السماء قطرها ، وخبء الأرض كنوزها ونباتها . وقال قتادة : الخبء السر ، النحاس : وهذا أولى أي ما غاب في السماوات والأرض ، ويدل عليه : { ما تخفون وما تعلنون })[2]

(قال ابن زيد : في قوله : ﴿ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ خبء السماء والأرض : ما جعل الله فيها من الأرزاق والمطر من السماء والنبات من الأرض ، كانتا رتقا لا تمطر هذه ولا تنبت هذه ، ففتق السماء وأنزل منها المطر وأخرج النبات)[3]

الكلمة الثانية والثلاثون : الحيوان من قوله تعالى :

﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ﴾[4]

(قال أبو عبيدة[5] : الحيوان والحياة واحد ، والمعنى لهي دار الحياة التي لا موت فيها ولا تنغيص يشوبها كما يشوب الحياة في الدنيا)[6]

فالحياة ضد الموت ، والحيوان ضد الموتان على وزن فعلان .

---

(1) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج19/ 251 .

(2) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج13/ 125 .

(3) تفسير الطبري : ج9 / 511 .

(4) من سورة العنكبوت 29 : (الآية / 64) .

(5) أبو عبيدة : الإمام العلامة البحر أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي النحوي ، صاحب التصانيف ، ولد في سنة 110هـ ، حدث عن هشام بن عروة ورؤبة بن العجاج ، وحدث عنه : علي بن المديني . توفي 110 ه . ينظر سير أعلام النبلاء : ج9/ 445ـــــــ447 ، وبغية الوعاة : ج2/294 ــــــــ 295 .

(6) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي : ج6/ 283 ــــــــ 284 .

(ثم الحياة تستعمل على أضرب : 1) الأول : القوة النامية الموجودة في النبات والحـــيوان، قـــال تعـــالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾[1] ، 2) الثاني : القوة الحساسة ، وبه سمي الحيوان حيوانا ، قـــــال تعـــــــــــــــــــــــالى : ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ﴾[2] ، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ﴾[3]، إشارة إلى القوة الحساسة ، 3) الثالث : القوة العاملة العاقلة، قال تعالى : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ ﴾[4] ، 4) الرابع: عبارة عن ارتفاع الغم ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾[5] أي يتلذذون لما روي في الأخبار الكثيرة في أرواح الشهداء . 5) الخامس : الحياة الأخروية الأبدية ، وذلك يتوصل إليها بالحياة التي هي العقل والعلم ، وقوله تعالى : ﴿ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ ﴾[6] يعني به الحياة الأخروية الدائمة ، 6) السادس : الحياة الموصوف بها الله عز وجل ، فإذا قيل : الله حي معناه أنه الذي لا يصلح عليه الموت ، ولا يتصف بذلك أحد سواه)[7]

فالحياة الأخروية الأبدية الدائمة الباقية سماها الله (الحيوان) مبالغة في لفظ الحياة ، فهي ليست حياة عادية ، وإنما باقية دائمة خالدة لا نهاية لها ، وهي الحياة الحقيقية التي يسعى إليها العقلاء .

(والحيوان : مقر الحياة ، ويقال على ضربين : أحدهما : ماله الحاسة ، والثاني : ماله البقـــاء الأبـــدي ، وهو المـــذكور في قوله عز وجل : ﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ﴾[8] ،

---

(1) من سورة الأنبياء 21 : (الآية / 30) .
(2) من سورة فاطر 35 : (الآية / 22) .
(3) من سورة فصلت 41 : (الآية / 39) .
(4) من سورة الأنعام 6 : (الآية / 122) .
(5) من سورة آل عمران 3 : (الآية / 169) .
(6) من سورة الفجر 89 : (الآية / 24) .
(7) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 147.
(8) من سورة العنكبوت 29 : (الآية / 64) .

وقد نبه بقوله : (لهي الحيوان) أن الحـــــيوان الحقيــــقي الســـرمدي الذي لا يفنى، لا ما يبقى مدة ثم يفنى . وقيل : الحيوان ما فيه الحياة ، والموتان ما ليس فيه الحياة)[1]

فلفظة الحيوان تعني المعنيين : 1) الحياة ، 2) البقاء والخلود وعدم الموت . (عن مجاهد في قـــــــــــــــــــــــوله : (لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ) قال : لا مـــــــــــــــــــــوت فيها ، وعن ابـــن عباس في قوله : (لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ) يقول : باقية)[2] ، (فالجنة هي دار الحياة أي لا موت فيها)[3]

وكلمة الحيوان على وزن فعلان الذي هو صيغة تنبئ عن معنى التحرك توضيحا لمعنى كمال الحياة بقدر المتعارف ، فإن التحرك والاضطراب أمارة على قوة الحيوية في الشيء مثل الغليان واللهبان . وهكذا اختار الله هذه اللفظة ليدل على قوة وكمال وأبدية الحياة الآخرة .

(﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ﴾ أي ليس فيها إلا حياة مستمرة دائمة خالدة لا موت فيها ، فكأنها في ذاتها حياة ، والحيوان مصدر حي وقياسه حييان ، فقلبت الياء الثانية واوا كما قالوا حيوة في اسم رجل ، وبه سمي ما فيه حياة حيوانا ، وفي بناء الحيوان زيادة معنى ليس في بناء الحياة ، وهي ما في بناء فعلان من معنى الحركة والاضطراب كالنـــزوان والنغصان واللهبان وما أشبه ذلك ، والحياة حركة كما أن الموت سكون ، فمجيئه على بناء دال على معنى الحركة مبالغة في معنى الحياة ، ولذلك اختيرت على الحياة في هذا الموضع المقتضي للمبالغة)[4]

فالحياة الآخرة لا زوال لها ولا انقضاء بل هي مستمرة أبد الآباد .

وصيـــغة فعـــلان تـــدل على الحركة المستمرة والحدوث ، وهي أعلى أنواع الحياة : (الحيوان). لأن من أهم صفات الحياة الحركة ، فالحياة الدنيا عبارة عن نوم وسبات بالنسبة للآخرة ، وهي ليست حياة إذا ما قورنت بالآخرة من حيث الحركة المستمرة ، والآخرة كلها حركة

---

(1) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني / 269 مادة حيي .

(2) تفسير الطبري : ج10/ 159 .

(3) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة / 339 .

(4) الكشاف للزمخشري : ج3/ 195 .

وفيها سعي وتفكر وانتقال وليس فيها نوم ، ولو استعملت كلمة الحياة لدلت على التقلب فقط و لم تدل على الحركة والحدوث فناسب ذكر كلمة الحيوان والله أعلم .

الكلمة الثالثة والثلاثون : اللائي من قوله تعالى :

﴿ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ﴾[1]

قال الله : (اللائي) و لم يقل (اللاتي) حيث أن كلمة (اللائي) مأخوذة من اللأي ومعناها الشدة واللأواء ، ولوحظ أن كلمة (اللائي) تذكر في آيات الطلاق والظهار التي فيها شدة وضيق نفسي على الزوجين ، أما كلمة (اللاتي) فتذكر في جميع الحالات ، وهذه دقة ألفاظ القرآن الكريم ومناسبتها للمقام ، فجلَّ الله في علاه .

(واللاء : اسم موصول لجماعة النساء فهو اسم جمع (التي) لأنه على غير قياس صيغ الجمع ، وفيه لغات : اللاء واللائي واللاي)[2]

(اللأواء : الشدة ، ويقال : فعل ذلك بعد لأْي ، أي شدة ومنه الحديث : { من كان له ثلاث بنات فصبر على لأوائهن وضرائهن وسرائهن ، أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهن، فقال رجل : أو ثنتان يا رسول الله ؟ قال: أو ثنتان . فقال رجل : أو واحدة يا رسول الله ؟ قال : أو واحدة . }[3])[4]

(اللأي : الإبطاء والاحتباس ، والعرب تقول : لأياً عرفت ، وبعد لأيٍ فعلت ، أي بعد جهد ومشقة ، وفعلت كذا بعد لأي ، أي بعد شدة وإبطاء ، واللأي : المشقة والجهد، واللأي : الشدة في العيش ، واللأواء : الشدة وضيق المعيشة ، ومنه الحديث : قال له : {ألست تحزن ؟

---

(1) من سورة الأحزاب 33 : (الآية / 4) .

(2) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج21 / 184 .

(3) رواه الإمام أحمد : ج2/ 335 رقم الحديث : 8406 ، والمستدرك على الصحيحين للحاكم : ج176/4. ورواه البخاري في الأدب المفرد : 76 (41/1) وابن ماجه : 3669(1210/2) ، قال الألباني : صحيح في تعليقه على الأدب المفرد وابن ماجه ، وقال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح في تعليقه على مسند أحمد .

(4) مجمل اللغة لابن فارس : ج3/ 800 مادة لأو .

ألست تصيبك اللأواء ؟ }[1] ، ومنه الحديث الآخر : { من صبر على لأواء المدينة } [2] ، واللأواء : المشقة والشدة ، وقيل : القحط)[3]

وهكذا نجد أن كلمة (اللائي) أتت في أربع مواضع في القرآن الكريم في مقام الظهار والطلاق ، وهي مواضع فيها شدة ولأواء في الحياة الزوجية ، فناسب أن يأتي الله العظيم بلفظ (اللائي) في تلك المواضع لمناسبتها للمقام وهذا هو الإعجاز البياني .

الكلمة الرابعة والثلاثون : سديدا من قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ ﴾[4] ، سديدا أي مسددا كمن يسدد إلى هدف ليصيبه ويحقق غرضه وغايته .

(والسدد : القصد في القول والوفق والإصابة ، والسديد والسداد : الصواب من القول، يقال : إنه ليُسدُّ في القول وهو أن يصيب السداد يعني القصد . والتسديد : التوفيق للسداد وهو الصواب والقصد من القول والعمل ، ومنه الحديث : عن علي رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : { قل اللهم اهدني وسددني ، واذكر بالهدى هدايتك الطريق ، والسداد سداد السهم }[5] واذكر بالسداد تسديدك السهم أي إصابة القصد به)[6]

فكلمة (سديدا) تحمل المعنيين : الصحة والصواب والقصد في القول ، إضافة إلى إصابة الهدف وتسديد السهم .

(قولا سديدا : قاصدا إلى الحق ، والسداد : القصد إلى الحق والقول بالعدل يقال : سدد السهم نحو الرمية إذا لم يعدل به عن سمتها ، كما قالوا : سهم قاصد ، والمراد نهيهم عما خاضوا

---

(1) رواه الإمام أحمد : ج1/ 11 ، رقم الحديث : 68 ، والمستدرك على الصحيحين للحاكم : ج10 / 242 . قال الحاكم : صحيح الإسناد و لم يخرجاه .

(2) رواه مسلم : ج7 /123 ، باب الترغيب في سكنى المدينة ، رقم الحديث : 2448 .

(3) لسان العرب لابن منظور : ج15/ 237 ———— 238 .

(4) من سورة الأحزاب 33 : (الآية / 70) .

(5) رواه مسلم : كتاب الذكر / رقم الحديث : 78 ، ج17/ص43) ، واللفظ له .

(6) لسان العرب لابن منظور : ج3/ 210 مادة سدد بتصرف .

فيه من حديث زينب من غير قصد ، وسداد القول رأس الخير كله : والمعنى : راقبوا الله في حفظ ألسنتكم وتسديد قولكم ، فإنكم إن فعلتم ذلك أعطاكم الله ما هو غاية الطلبة من تقبل حسناتكم والإثابة عليها ومن مغفرة سيئاتكم وتكفيرها)[1]

فالقول السديد هو القول المستقيم الذي لا اعوجاج فيه ولا انحراف .

والقول السديد هو القول الصواب ، وقيل : الصدق أو العدل ، أو القصد في القول ، أي التوسط ، وتصب هذه المعاني كلها في قالب واحد ، فما كان صدقا وعدلا فهو الصواب، ثم الاقتصاد في القول فلا يكثر من الكلام بغير فائدة .

(قولا سديدا : قاصدا ومتوجها إلى هدف الحق ، يقال : سدد سهمه إذا وجهه للغرض المرمى، و لم يعدل به عن سمته)[2]

(قولا سديدا : أي قصدا وحقا ، وقال ابن عباس : أي صوابا ، وقال عكرمة وابن عباس : القول السداد : لا إله إلا الله ، وقيل : هو الذي يوافق ظاهره باطنه . وقيل : هو ما أريد به وجه الله دون غيره ، وقيل : هو الإصلاح بين المتشاجرين ، وهو مأخوذ من تسديد السهم ليصاب به الغرض ، والقول السداد يعم الخيرات فهو عام في جميع ما ذكر وغير ذلك)[3]

وهكذا اختار الله لفظة (سديدا) لأهمية اختيار الألفاظ والكلمات الحسنة في الدين الإسلامي، قال الله جل شأنه : ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا۟ ٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾[4] ، وقـــال جل شأنه : ﴿ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾[5] ، وقال الله مخبرا عن أهل الجنة : ﴿ وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾[6].

والقول يكون بابا عظيما من أبواب الخير ، ويكون كذلك من أبواب الشر ، ويشمل القول السديد ما هو تعبير عن إرشاد من أقوال الأنبياء والعلماء والحكماء ، وما هو تبليغ لإرشاد غيره

---

(1) الكشاف للزمخشري : ج3/ 248 .

(2) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي : ج22/ 95 .

(3) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج162/14 .

(4) من سورة الإسراء 17 : (الآية / 53) .

(5) من سورة البقرة 2 : (الآية / 83) .

(6) من سورة الحج 22 : (الآية / 24) .

من مأثور أقوال الأنبياء والعلماء ، فقراءة القرآن على الناس من القول السديد ، ورواية حديث الرسول صلى الله عليه وسلم من القول السديد ، وكذلك نشر أقـــوال الصحابة والحكماء وأئمة الفقه ، ومن القول السديد الأذان والإقامة ، قال الله تعالى : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾[1] ، فبالقول السديد تشيع الفضائل والحقائق بين الناس فيرغبون في التخلق بها ، وبالقول السيئ تشيع الضلالات فيغتر الناس بها ويحســـبون أنهم يحسنون صنعا ، والقول السديد يشمل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ولما في التقوى والقول السديد : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ ﴾ من وسائل الصلاح جُعل للآتي بهما جزاءٌ بإصلاح الأعمال ومغفرة الذنوب .

الكلمة الخامسة والثلاثون :

نحبه من قوله تعالى : ﴿ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ ﴾[2] .

كلمة نحبه لها معنيان : الأول : النذر ، والثاني : الأجل . (النحب : النذر المحكوم بوجوبه ، يقال : قضى فلان نحبه أي : وفى بنـــــــــــــــــــــــذره . قال تعالى : ﴿ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ﴾ ، ويعبر بذلك عمن مات ، كقولهم : قضى أجله واستوفى أكله ، وقضى من الدنيا حاجته)[3].

(قضى نحبه) نذره ، والنحب أيضا النفس يعني الأجل . ومن هنا يتبين أن كلمة نحبه لهـــا معنيان : الأول : النذر وما يلتزمه الإنسان من عهد ونحوه ، والثاني : النفس أو الأجل ، وكأن الله باختيار هذه اللفظة أراد المعنيين ، فكأن هذا الميت أو الشهيد قد مات وانتهى أجله ، وكأنه قد وفى بنذره مع الله ، في أن تكون حياته وأنفاسه في طاعة الله ، حيث ختم حياته بشهادة في سبيل الله إرضاء لله ، ووفى بعهده مع الله .

---

(1) من سورة فاطر 35 : (الآية / 10) .

(2) من سورة الأحزاب 33 : (الآية / 23) .

(3) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني : 794 مادة نحب .

قال ابن قتيبة : (قضى نحبه أي قتل ، وأصل النحب : النذر ، وكأن قوما نذروا أنهم إن لقوا العدو قاتلوا حتى يقتلوا ، أو يفتح الله عليهم فقتلوا ، فقيل : فلان قضى نحبه أي قتل ، فاستعير النحب مكان الأجل ، لأن الأجل وقع بالنحب ، وكان النحـــب سببـــا له)[1]

(قضى نحبه : ما التزمه الإنسان واعتقد الوفاء به ، ولهذا يقال : نحب فلان أي : نذر نذرا التزمه ، ويعبر به عن الموت كقولهم : (قضـــــــــى أجـــــــــــله) لمــــــا كان الموت لا بد منه جُعل كالشيء الملتزم)[2]

والنحب : النذر والعهد ، وقيل : النحب الموت ، أو الوقت والمدة . (والنحب : النذر المحكوم بوجوبه ، يقال : قضى فلان نحبه أي وفى بنذره ، والنذر : الشيء الذي يلتزمه الإنسان ويعتقد الوفاء به ، وشاع : قضى فلان نحبه بمعنى مات ، إما على أن النحب مستعار استعارة تصريحية للموت ، لأنه كنذر لازم في رقبة كل إنسان ، والقرينة حالية والقضاء ترشيح ، وإما على أن قضاء النحب مستعار له)[3]

﴿ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ ﴾ تفصيل لحال الصادقين وتقسيم لهم إلى قسمين ، والنحب: النذر وهو أن يلتزم الإنسان شيئا من أعماله ويوجبه على نفسه ، وقضاؤه الفراغ منه والوفاء به سواء كان النذر على حقيقته أو كان مستعارا ، ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ﴾ وفي وصفهم بالانتظار المنبئ عن الرغبة في المنتظَر ، شهادة حقة بكمال اشتياقهم إلى الشهادة .

وقضى نحبه : التزم الصبر إلى موت أو فتح فمات ، (ويقال للذي جاهد في أمر حتى مات : قضى فيه نحبه ، ويقال لمن مات : قضى فلان نحبه ، وهذا تجوز كأن الموت أمر لابد للإنسان أن يقع به فسمي نحبا)[4]

<u>الكلمة السادسة والثلاثون :</u> سراج من قوله تعالى :

---

(1) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي : ج6 / 371 ـــــــــ 372 .
(2) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي : ج9 / 111ـــــــــ 112 .
(3) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي : ج21/ 170 .
(4) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية : ج4/ 378 .

﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾[1]

(سرج : السين والراء والجيم أصل صحيح يدل على الحسن والزينة والجمال ، من ذلك السراج، سمي لضيائه وحسنه ، ومنه : السرج للدابة هو زينته ، ويقال : سرَّج وجهه ، أي حسنه كأنه جعله له كالسراج)[2]

فكلمة السراج لها معنيان : 1) الحسن والجمال ، 2) الضياء والزينة .

قوله تعالى : (وَسِرَاجًا مُّنِيرًا) وصف الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بكونه سراجا منيرا، لأنه عليه الصلاة والسلام أضاءت الدنيا به وبشريعته بعد أن كانت مظلمة بالكفر ، والسراج هو الزاهر بفتيلة ودهن ، ثم يعبر به عن كل مضيء ثاقب ، ولذلك وصف أضوأ النيرات وهو الشمس بأنه سراج فقال : ﴿ وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾[3] ، وأسرجت السراج أوقدته ، وسرجت الشيء جعلته في الحسن كالسراج .

(سماه سراجا منيرا لأنه جلا به ظلمات الشرك ، واهتدى به الضالون ، كما تجلى ظلام الليل بالسراج المنير ، وقيل معناه : أمدَّ الله بنور نبوته نور البصائر كما يمد بنور السراج نور الأبصار ، ووصفه بالإنارة لأن من السرج ما لا يضيء ، فإن قلت : لم سماه سراجا و لم يسمه شمسا ، والشمس أشد إضاءة من السراج وأنور ؟ قلت : نور الشمس لا يمكن أن يؤخذ منه شيء بخلاف نور السراج فإنه يؤخذ منه أنوار كثيرة)[4]

(وسراجا منيرا : أي وأمرك ظاهر فيما جئت به من الحق كالشمس في إشراقها وإضاءتها لا يجحدها إلا معاند)[5]

---

(1) من سورة الأحزاب 33 : (الآية / 46) .

(2) معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ج3/ 156 .

(3) من سورة نوح 71 : (الآية / 16) .

(4) تفسير الخازن : ج3/ 471 .

(5) تفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي ، دار الجيل ، بيروت ، ط 2 ، 1410هـ 1990م: ج3/ 478 .

فالرسول صلى الله عليه وسلم سراج ، ومعنى ذلك أنه ينطبق عليه معاني السراج من الحسن والزينة والجمال والضياء . فهو تشبيه بليغ أي أرسلناك كالسراج المنير كما يضيء السراج الوقاد ظلمة المكان ، والعلم يشبه بالنور فناسبه السراج المنير .

ووصف السراج بالمنير لإفادة قوة معنى الاسم في الموصوف به الخاص ، فإن هدي النبي صلى الله عليه وسلم هو أوضح الهدى ، وإرشاده أبلغ إرشاد .

(واعلم أن الله تعالى شبه نبينا عليه السلام بالسراج لوجوه :

الأول : أنه يستضاء به في ظلمات الجهل والغواية ، ويهتدى بأنواره إلى مناهج الرشد والهداية ، كما يهتدى بالسراج المنير في الظلام .

والثاني : أن السراج الواحـــــــــــــــــد يوقـــــــــــــــــد منــــــــــــــــــه ألـــــــــــــــــف سراج ، ولا ينــــــــــــــــقص من نوره شـــــــــــيء . ألا ترى أن نور القمر مستفاد من الشمس ونور الشـــــــــمس بحـــــــــــــاله . أي أن ســـــــــــــيدنا محمدا عليـــــــــــــــــــــه السـلام شمس من فضل الله طلعت على العالمين .

والثالث : أنه عليه السلام يضيء من جميع الجهات إلى جميع العوالم ، كما أن السراج يضيء من كل جانب ، وأيضا يضيء لأمته كلهم كالسراج لجميع الجهات إلا من عمي فإنه لا يستضيء بنوره ولا يراه حقيقة كما قال تعالى : ﴿ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ ﴾[1]

والرابع : أنه عليه السلام عرج به من العالم السفلي إلى العالم العلوي ، ومن الملك إلى الملكوت وقُرِّب وأدني ، إلى أن نُوِّر سراج قلبه بنور الله بلا واسطة ملك أو نبي ، فهو الذي جعل الله له نورا فأرسله إلى الخلق ، ووصفه تعالى بالإنارة حيث قال (منيرا) لزيادة نوره وكماله فيه ، فإن بعض السرج له فتور لا ينير . ويقال : سماه سراجا ولم يسمه شمسا ولا قمرا ولا كوكبا

---

(1) من سورة الأعراف 7 : (الآية / 198) .

لأنه لا يوجد يوم القيامة شمس ولا قمر ولا كوكب ، ولأن الشمس والقمر لا ينقلان من موضع إلى موضع بخلاف السراج ، ألا ترى أن الله نقله عليه السلام من مكة إلى المدينة)[1]

وهكذا اختيار الله لكلمة (السراج) لتعطي هذين المعنيين : 1) الحسن والجمال ، 2) والزينة والضياء . فما كان مضيئا ومنيرا قد لا يكون حسنا وجميلا ، ولكن كلمة السراج تجمع هذين المعنيين: الحسن والجمال ثم الزينة والضياء ، ولذلك سمى الله الشمس سراجا : ﴿ وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ﴿١٦﴾ ﴾[2]

الكلمة السابعة والثلاثون : منسأته من قوله تعالى :

﴿ فَلَمَّا قَضَيۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَوۡتَ مَا دَلَّهُمۡ عَلَىٰ مَوۡتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلۡأَرۡضِ تَأۡكُلُ مِنسَأَتَهُۥۖ ﴾[3]

(النون والسين والياء { نسي } أصلان صحيحان يدل أحدهما على إغفال الشيء ، والثاني على ترك شيء . وإذا همز تغير المعنى إلى تأخير الشيء ، والنسيئة : بيعك الشيء نساء وهو التأخير، تقول : أنسأت ونسأ الله في أجلك وأنسأ أجلك : أخره وأبعده ، ونســـأها : ضربتها بالمنسأة : العصا ، وهذا أقيس ، لأن العصا كأنه يبعد بها الشيء ويدفع)[4]

(قال الزجاج : وإنما سميت منسأة ، لأنه يُنسأ بها ، أي يُطرد ويُزجر)[5]

(قرأ ابن ذكوان[6] : مِنْسَأْته بتسكين الهمزة ، وقرأ نافع وأبو عمرو : مِنْسَاته بإبدال الهمزة ألفا ،

---

(1) تنوير الأذهان من تفسير روح البيان للشيخ إسماعيل حقي البروسوي : ج3/ 243 ـــــــــــ 244 .
(2) من سورة نوح 71 : (الآية / 16) .
(3) من سورة سبأ 34 : (الآية / 14) .
(4) معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ج5/ 421 ـــــــــــ 422 .
(5) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي : ج6/ 441 .
(6) ابن ذكوان : عبد الله بن أحمد بن بشر بن ذكوان الدمشقي ، شيخ الإقراء بالشام ، وإمام جامع دمشق ، ولد سنة 173ه ، وتوفي سنة 242ه . تراجم القراء للشيخ فائز عبد القادر : ج1/20 .

والباقون : مِنْسَأَته)[1] .

وقـــد قال الله كلمة (منسأته) حيث أراد بها المعنيين : العصا ، والمعنى الثاني : التأخير ، وذلك لأن سيدنا داود عليه السلام كان أسس بيت المقدس ثم مات فبناه سيدنا سليمان عليه السلام بعده ، وسخر الجن في عمله ، وقد كان بقي من إتمامه بعد موته بناء سنة ، فسأل الله تعالى ألا يعلم الجن بموته حتى يتموا البناء فأتموه .

ثم دلتهم دابة الأرض في أكل منسأته على موته بعد سنة من موته ، لأنه سقط عنها حين أكلتها الأرض فعلمت الجن أنه قد مات .

فناسب أن يذكر الله كلمة المنسأة في حين ذكر الله كلمة العصا في مواضع أخرى من القرآن الكريم ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا ﴾[2] .

لأن في القصة معنى التأخير حيث تأخر علمهم بموته سنة ، فسبحان الله العلي القدير الذي اختار كلمة (منسأته) في هذا الموضع لمناسبتها المقام .

(والمنسأ : عصاً ينسأ به الشيء أي يؤخر . قال تعالى :{ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ } ونسأت الإبل في ظمئها يوما أو يومين أي أخرت)[3]

(تأكل منسأته : أي عصاه سميت بذلك لأنه ينسأ بها أي يؤخر)[4]

(منسأته : من نسأت البعير إذا زجرته ليزداد سيره ، كما يقال : نسأت اللبن : إذا صببت عليه الماء وهو النسيء ، وكما يقال : نسأ الله في أجلك أي أدام الله في أيام حياتك)[5]

---

(1) الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع لعبد الفتاح عبد الغني القاضي ، مكتبة الدار ، المدينة المنورة ، ط 2 ، 1410ه 1989م، ص 346 .

(2) من سورة طه 20 : (الآيتان / 17 ـــــــــــ 18) .

(3) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني : 804 مادة نسأ .

(4) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي : 572 مادة نسأ .

(5) تفسير الطبري : ج10/ 357 .

الكلمة الثامنة والثلاثون : الأرائك من قوله تعالى : ﴿ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَـٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ ﴾[1]

الأرائك : السرر التي عليها الحجال . وهكذا كانت كلمة الأرائك قمة النعيم حيث جمعت بين المعنيين : السرر والحجال . (والحجَلة : ساتر كالقبة يزين بالثياب والستور للعروس ، وستر يضرب للعروس في جوف البيت جمع حَجَل وحِجالٌ)[2]

وهذا مثل كلمة مائدة تعني خوان عليه طعام ، فلا يقال : مائدة إلا للخوان الذي عليه طعام .

(قال تعالى : { عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ } جمع أريكة ، والأريكة : كل ما اتكئ عليه ، والسرير إن كان منفردا فليس بأريكة ، وتسميتها بذلك إما أنها على الأرض متخذة من الأراك ، وإما لكونها مكانا للإقـــــــــــــــــــــتامة لرعي الأراك ، من أرك بالمكان أروكا أقام ، وأصل الأروكة الإقامة ، ثم عُبِّر به عن كل إقامة)[3]

(والأرائك : الفرش في الحجال ، ولا تكون الأريكة إلا بحجلة وسرير ، وقال ابن قتيبة : الأرائك : السرر في الحجال واحدها أريكة ، ولا تكون الأريكة إلا سريرا في قبة عليه شَواره ومتاعه ، قال ابـــــــن قتيـــــــــبة : الشَّوار مفتوح الشين وهو متاع البيت ، وقال الزجاج : الأرائك : الفرش في الحجال)[4]

الكلمة التاسعة والثلاثون : دحورا من قوله تعالى :

﴿ دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ ﴾[5] ، الدحر هو الدفع بعنف .

(دحورا فيه تأويلان : أحدهما : قذفا في النار ، قاله قتادة . والثاني : طردا بالشهب ، وهو معنى

---

(1) من سورة يس 36 : (الآية / 56) .

(2) المعجم الوسيط لمجموعة من المؤلفين : 158 مادة حَجَل .

(3) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ / 15 مادة أرك .

(4) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي : ج138/5 .

(5) من سورة الصافات 37 : (الآية / 9) .

قول مجاهد ، قال ابن عيسى : والدحور : الدفع بعنف)[1]

قال الله تعالى : ﴿ قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗا ﴾[2]

وهكذا دقة ألفاظ القرآن ، فالدحور هو الدفع لكن ليس أي دفع ، دفع بعنف . والدحور هو الطرد والإبعاد ، والطرد يوحي بمعنى العنف .

الكلمة الأربعون : واصب من قوله تعالى :

﴿ دُحُورٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ وَاصِبٌ ٩ ﴾[3]

(واصب : فيه وجهان ، أحدهما : دائم ، والثاني : أنه الذي يصل وجعه إلى القلوب مأخوذ من الوصب)[4]

وفي زاد المسير : (وفي الواصب قولان : أحدهما : أنه الدائم ، والثاني أنه الموجع)[5]

فاختار الله كلمة واصب : أي دائم غير منقطع ، من وصب الأمر إذا دام ، والمعنى الثاني : أنه الشديد الموجع الذي يصل وجعه إلى القلوب من الوصب وهو المرض ، وهذا العذاب هو الشهب التي تحرق الشياطين الذين يحاولون استراق السمع ، وهذا العذاب دائم إلى يوم القيامة لا ينتهي ، وهو شديد موجع ومحرق حيث يحرق الشيطان الذي يسترق السمع .

الكلمة الواحدة والأربعون : مناص من قوله تعالى :

---

(1) النكت والعيون للماوردي : ج5/ 39 .

(2) من سورة الأعراف : (الآية / 18) .

(3)من سورة الصافات 37 : (الآية / 9) .

(4) النكت والعيون للماوردي : ج5/ 39 .

(5) زاد المسير لابن الجوزي : ج7 / 47 .

﴿ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ ﴾[1] المناص : المفر والفرار ، فيكون معنى الآية: ليس حين فرار ، والمناص أيضا هو المنجى والفوز ، ويقال أيضا : ناص في البلاد أي ذهب فيها ، فيكون بمعنى ليس حين مطلب ولا مذهب .

(المـــناص هو الفرار ، قال الفراء[2] : النوص في كلام العرب : التأخر ، وقال أبو عبيدة : المناص مصدر ناص ينوص وهو المنجى والفوز)[3]

ومعنى الآية : أنهم حين عاينوا الموت لم يستطيعوا فرارا من العذاب ولا رجوعا إلى التوبة .

(ولات حيـــن مناص : أي وليس الحين حين فوت ، وفرار ، ونجاة لكونه حالة اليأس ، والمناص : الهرب والمنجى ، يقال : ناص ينوص إذا هرب طلبا للنجاة)[4]

وهكذا يتبين لنا أن كلمة مناص جمعت بين المعنيين الهرب والنجاة ، فهو هرب طلبا للنجاة ، وليس أي هرب .

ولذلك اختار الله كلمة مناص مع الكفار حين عاينوا العذاب ، لتصور رغبتهم في الهرب طلبا للنجاة ، ولكن أنى لهم ذلك ؟!

الكلمة الثانية والأربعون : مقرنين من قوله تعالى : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾[5]

(مقرنين : أي ضابطين مطيقين ، يقال فلان مقرن لفلان أي ضابط له . يقال : أقرنت لك أي صرت لك قرنا ، وقيل : مماثلين في الأيدي والقوة من قولهم : هو قرن فلان إذا كان مثله في القوة)[6]

---

(1) من سورة ص 38 : (الآية / 3) .

(2) الفراء : يحيى بن زياد ، وكان يكنى بأبي زكريا ، مات سنة 207هـ ، من آثاره : المصادر في القرآن ، آلة الكتاب . ينظر المعارف /303 ، ومعجم المؤلفين : 13/ 198 ، وبغية الوعاة : 333/2 ، وتهذيب الأسماء واللغات : 280/2.

(3) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي :ج7/ 101ـــــــــــ 102 .

(4) تنوير الأذهان من تفسير روح البيان للشيخ إسماعيل البروسوي : ج3/ 358 .

(5) من سورة الزخرف 43 : (الآية / 13) .

(6) غريب القرآن وتفسيره لعبد الله بن يحيى اليزيدي : 332 .

(مقرنين : أي مطيقين ، يقال : أنا مقرن لك أي مطيق لك ، ويقال هو من قولهم : أنا قرن لفلان : إذا كنت مثله في الشدة ، وقيل : مقرنين : أي ضابطين ، يقال : فلان مقرن لفلان أي ضابط له)[1]

وهذه العبارة : وما كنا له مقرنين ، جزء من دعاء ركوب الدابة ، فكأن الإنسان يقول : لم أكن يا رب لأطيق وأضبط هذه الدابة الكبيرة التي هي ليست مثلي في الشدة ، بل أنا إنسان ضعيف ، ولولا تسخيرك لي يا رب هذه الدابة لم أستفد منها ، و لم أركب عليها بدون أذية وضرر .

(مقرنين : مطيقين ، يقال : أقرن الشيء إذا أطاقه ، وحقيقة أقرنه : وجده قرينته وما يقرن به ، لأن الصعب لا يكون قرينة للضعيف)[2]

(مقرنين : أي مقاومين ، ولولا تسخير الله لنا هذا ما قدرنا عليه ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : مقرنين أي مطيقين)[3]

وهكذا كانت كلمات مقرنين تحمل المعنيين : مطيقين وضابطين أو مقاومين . ولولا تسخير الله لنا هذه الدواب لما استطعنا الركوب عليها .

(وما كنا له مقرنين : أي مطيقين بتذليلها يعني ليس عندنا من القوة والطاقة أن نقرن هذه الدابة والفلك ، وأن نضبطها فسبحان من سخر لها هذا بقدرته وحكمته ، وهذا من تمام ذكر نعمته تعالى ، إذ بدون اعتراف المنعم عليه بالعجز عن تحصيل النعمة لا يعرف قدرها ولا حق المنعم بها ، قال في القاموس : أقرن الأمر : أطاقه وقوي عليه)[4]

(وما كنا له مقرنين : أي مطيقين ، وقيل : ضابطين)[5]

(وفي أصله قولان :

أحدهما : أن أصله مأخوذ من الإقران ، يقال : أقرن فلان إذا أطاق .

الثاني : أن أصله مأخوذ من المقارنة ، وهو أن يقرن بعضها ببعض في السير .

---

(1) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي : ج7/ 304 .

(2) الكشاف للزمخشري : ج413/3 .

(3) تفسير القرآن العظيم لابن كثير : ج126/4 .

(4) تنوير الأذهان من تفسير روح البيان للشيخ إسماعيل البروسوي : ج7/4 .

(5) تفسير الخازن : ج4/ 102 .

وحكى سليمان بن يسار[1] أن قوما كانوا في ســـفر ، فكـــانوا إذا ركـــبوا قالوا : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ ، وكان فيهم رجل على ناقة له وهي لا تتحرك هزالا فقال : أما أنا فإني لهذه مقرن ، قال : فقصمت به فدقت عنقه)[2]

الكلمة الثالثة والأربعون : العابدين من قوله تعالى :

﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾[3]

(عبد : العين والباء والدال أصلان صحيحان كأهما متضادان ، الأول يدل على لين وذل ، والآخر على شدة وغلظ ، فالأول العبد وهو المملوك ، والأصل الآخر العبَدة وهي الـــقوة والصلابة ، ومن هذا القيـــــــــــــــــــــاس : العبَد مثل الأنف والحميَّة ، يقال : هو يعبَد لهذا الأمر ، وفسر قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴾ أي أول من غضب عن هذا وأنف من قوله)[4]

ومعنى الآية على هذا يحتمل الوجهين وهما :

1) فأنا أول العابدين ، ولكن لم يكن ولا ينبغي أن يكون له ولد .

2) إن كان للرحمن ولد فأنا أول الأنفين أن يكون له ولد .

---

(1) سليمان بن يسار : مولى ميمونة بنت الحارث الهلالية زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان ثقة عاليا رفيعا فقيها كثير الحديث ، مات سنة سبع ومائة وهو ابن ثلاث وسبعين سنة . ينظر الطبقات الكبرى /174ــ 175. بتصرف .

(2) النكت والعيون للماوردي : ج5 / 218 .

(3) من سورة الزخرف 43 : (الآية / 81) .

(4) معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ج4/ 206 ـــــــــــــ 207 .

(فأنا أول العابدين : أي الموحدين من أهل مكة على أنه لا ولد له ، وقال مجاهد : المعنى إن كان للرحمن ولد فأنا أول من عبده وحده ، على أنه لا ولد له ، وقيل : إن معنى العابدين : الأنفين، قال الجوهري : قوله تعالى : {فأنا أول العابدين } من الأنف والغضب)[1]

إذن اختار الله لفظة (العابدين) لتفيد المعنيين ، وكلاهما مقصود ، الأول : الموحدين لله تعالى، والثاني : الأنفين المستنكفين .

(واختلف المفسرون في قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴾ فقالت فرقة : العابدون هو من العبادة ، وقالت فرقة : العابدون في الآية من عبد الرجل إذا أنف وأنكر الشيء)[2]

(﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴾ معناه إن كان للرحمن ولد في قولكم وعلى زعمكم ، فأنا أول من عبد الرحمن فإنه لا شريك له ولا ولد له ، وقال ابن عباس : إن كان أي : ما كان للرحمن ولد فأنا أول من عبده بذلك ولكن لا ولد له ، وقيل : العابدين بمعنى الآنفين ، أي أنا أول الجاحدين المنكرين لما قلتم ، وأنا أول من غضب للرحمن أن يقال له ولد)[3]

(﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ ﴾ وصح ذلك وثبت ببرهان صحيح توردونه ، وحجة واضحة تدلون بها ﴿ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴾ فأنا أول من يعظم ذلك الولد ، وأسبقكم إلى طاعته والانقياد له، كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم أبيه ، وهذا كلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل لغرض ، وهو المبالغة في نفي الولد والإطناب فيه ، وأن لا يتـــرك الناطق به شبهة إلا مضمحلة مع الترجمة عن نفسه بثبات القدم في باب التوحيد ، وذلك أنه علق العبادة بكينونة الولد وهي محال في نفسها ، فكان المعلق بها محالا مثلها ، فهو في صورة إثبات الكينونة والعبادة ، وفي معنى نفيهما على أبلغ الوجوه وأقواها)[4]

---

(1) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج16/ 79 ـــــــــــــ 80 .

(2) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية : ج5/ 65 .

(3) تفسير الخازن : ج4/ 110 ـــــــــــــ 111 .

(4) الكشاف للزمخشري : ج426/3 ـــــــــ 427 .

وهكذا يتبين لنا أن كل التفاسير ذكرت هذين المعنيين لكلمة العابدين ، فسبحان الله العظيم .

الكلمة الرابعة والأربعون : رهوا من قوله تعالى : ﴿ وَٱتۡرُكِ ٱلۡبَحۡرَ رَهۡوًاۖ إِنَّهُمۡ جُندٞ مُّغۡرَقُونَ ٢٤ ﴾[1]

(رهو : الراء والهاء والحرف المعتل أصلان ، يدل أحدهما على دعة وخفض وسكون، والآخر على مكان قد ينخفض ويرتفع .

فالأول : الرهو يعني البحر الساكن ، ويقولون : عيشٌ راهٍ أي ساكن . وأما المكان فالرهو : المنخفض من الأرض ويقال المرتفع . قال القتيبي : الرهوة تكون المرتفع من الأرض وتكون المنخفض . وهو حرف من الأضداد)[2]

فالرهو كلمة تدل على السكون والانخفاض . فالله عز وجل أمر سيدنا موسى عليه السلام أن يتــــرك البحر ساكنا على حاله بعد أن مرَّ بنو إسرائيل على الطريق اليابس داخل البحر ، وحتما كان طريقا منخفضا لأنه داخل البحر .

(﴿ وَٱتۡرُكِ ٱلۡبَحۡرَ رَهۡوًاۖ ﴾ أي ساكنا ، وقيل سعة من الطريق وهو الصحيح ، ومنه الرهاء: للمفازة المستوية ، ويقال : لكل جوبة[3] مستوية يجتمع فيها الماء رهو)[4]

﴿ وَٱتۡرُكِ ٱلۡبَحۡرَ رَهۡوًاۖ ﴾ أي ساكنا على حاله بعد أن انفرق لك ، ولا تأمره أن يرجع كما كان حتى يدخله فرعون وجنوده ، والرهو : مشي في سكون .

(قال قتادة : لما قطع موسى عليه السلام البحر ، عطف يضرب البحر بعصاه ليلتئم ، وخـــــــــــــــــــاف أن يتبعه فرعون وجنوده ، فقيل له : ﴿ وَٱتۡرُكِ ٱلۡبَحۡرَ رَهۡوًاۖ ﴾ أي كما هو طريقا يابسا)[1]

---

(1) من سورة الدخان 44 : (الآية / 24) .

(2) معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ج2/ 446 ـــــــــ 447 .

(3) جوبة : حفرة .

(4) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني : 368 مادة رهو .

فالرهو في اللغة له معان عدة أهمها : الساكن والفجوة الواسعة .

(الرهو فيه وجهان أحدهما : أنه الساكن . أراد موسى لما جاوز البحر أن يضربه بعصاه فينطبق كما ضربه ، فانفلق فأمر بأن يتــركه ساكنا على هيئته ، قارا على حاله من انتصاب الماء وكون الطريق يبسا ، لا يضربه بعصاه ولا يغير منه شيئا ليدخله القبط ، فإذا حصلوا فيه أطبقه الله عليهم ، والثاني أن الرهو : الفجوة الواسعة ، أي اتركه على حاله منفرجا)[2]

وهكذا يتبين لنا أن الله جل جلاله أمر سيدنا موسى عليه السلام أن يتــرك البحر ساكنا فلا يضربه بعصاه ، ويتركه أيضا مفتوحا على حاله منفرجا .

(واترك البحر رهوا : أي بحر القلزم وهو الأظهر الأشهر أو النيل ، حال كونه رهوا أي ذا رهو أو راهيا مفتوحا على حاله منفرجا ، ولا تخف أن يتبعك فرعون وقومه ، أو ساكنا على هيئته بعدما جاوزته ، ولا تضربه بعصاك لينطبق ، ولا تغيره عن حاله ليدخله القبط ، فإذا دخلوا فيه أطبقه الله)[3]

فكانت لفظة رهوا تعطي هذين المعنيين ، أي اتركه على حاله ساكنا ، ولا تضربه إطلاقا لينطبق ، بل اتركه مفتوحا منفرجا ، لأن القبط لو رأوا أدنى تغيير لما دخلوا البحر، والله لحكمة عظيمة خفية أراد أن يهلكهم غرقا في البحر ، لأن فرعون كان يفتخر بالأنهار تجري من تحته ، فعاقبه الله من جنس ما تكبر به ، والجزاء من جنس العمل ، وإلا فالله قادر على أن يهلكهم في البر كما أهلك الأمم السابقة .

الكلمة الخامسة والأربعون : موسعون من قوله تعالى :

﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾[4]

(وسع : كلمة تدل على خلاف الضيق والعسر ، يقال : وسع الشيء واسَع ، والوسع : الغنى ، والله الواسع أي الغني ، والوسع : الجدة والطاقة)[1]

---

(1) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي : ج7/ 344 .

(2) الكشاف للزمخشري : ج432/3 .

(3) تنوير الأذهان من تفسير روح البيان للشيخ إسماعيل حقي البروسوي : ج4 / 31 .

(4) من سورة الذاريات 51 : (الآية / 47) .

فالوسع له معنيان : الاتساع والغنى والطاقة .

(﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ أي أنها مع سعتها سعة متزايدة مفرطة قوية فإن الأيد القوة ، وذلك أن من عادة الأجرام المنبسطة إذا تزايدت سعتها وامتدادها ضعفت وتداعت ، وما أحسن تلك السـعة مع السماوات والمهد مع الأرض ، حيث كانت السماوات بقدر الأرض مرارا خارجة عن الحصر والعد)[2]

ولذلك ورد في أقوال العلماء ما يؤيد هذين المعنيين :

(وإنا لموسعون : 1) لموسعون في الرزق بالمطر . 2) لموسعون السماء)[3]

فالقول الأول يؤيد معنى الغنى والطاقة ، والقول الثاني يؤيد معنى الاتساع .

(وإنا لموسعون : لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة ، والموسع القادر على الإنفاق ، أو لموسعون في السماء ، أي جاعلوها واسعة أو ما بينها وبين الأرض)[4]

وهكذا يتبين لنا أن كلمة : موسعون لها معنيان :

المعنى الأول : توسيع الأشياء قوة وقدرة ، والمعنى الثاني : أي جعلناها واسعة ، أي موسعون في بناء السماء .

(ومفعول موسعون محذوف أي موسعون بناءها ، ويجوز أن لا يقدر له مفعول ، لأن معناه: لقادرون ، من قولك : ما في وسعي كذا ، أي : ما في طاقتي وقوتي)[5]

(وإنا لموسعون : قيل هو من السعة ، أي أوسعنا السماء بحيث صارت الأرض وما يحيط بها من السماء والفضاء بالنسبة إلى سعة السماء كالحلقة الملقاة في الفلاة ، وقال ابن عباس : معناه قادرون على بنائها كذلك)[6]

---

(1) معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ج6 / 109 . مادة وسع .

(2) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للراغب الأصفهاني : 631 مادة وسع .

(3) النكت والعيون للماوردي : ج5 / 373 .

(4) تنوير الأذهان من تفسير روح البيان للشيخ إسماعيل البروسوي : ج153/4.

(5) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي : ج10/ 58 .

(6) تفسير الخازن : ج4/ 184 .

(وإنا لموسعون : لقادرون من الوسع وهو الطاقة ، والموسع القوي على الإنفاق ، وعن الحسن : لموسعون الرزق بالمطر ، وقيل : جعلنا بينها وبين الأرض سعة)[1]

(قال ابن عباس : لقادرون ، وقيل : أي وإنا لذو سعة ، وبخلقها وخلق غيرها لا يضيق علينا شيء نريده ، وقيل : وإنا لموسعون الرزق على خلقنا . عن ابن عباس أيضا ، الحسن : وإنا لمطيقون، وعنه أيضا : وإنا لموسعون الرزق بالمطر ، وقال الضحاك : أغنيناكم ، دليله : ﴿ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ ﴾[2] ، وقيل : جعلنا بينهما وبين الأرض سعة . الجوهري : وأوسع الرجل أي صار ذا سعة وغنى ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَـٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ أي أغنياء قادرون . فشمل جميع الأقوال)[3]

الكلمة السادسة والأربعون : الفؤاد من قوله تعالى :

﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ ﴾[4]

(الفؤاد كالقلب لكن يقال له فؤاد إذا اعتبر فيه معنى التفؤد ، أي التوقد ، يقال : فأدت اللحم : شويته ، ولحم فئيد : مشوي ، قال تعالى : ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ ﴾ وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ ﴾[5] ، وجمع الفؤاد أفئدة ، قال تعالى : ﴿ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴿٧﴾ ﴾[6] وتخصيص الأفئدة تنبيه على فرط تأثير له)[7]

---

(1) الكشاف للزمخشري : ج4/ 31 .

(2) من سورة البقرة 2 : (الآية / 236) .

(3) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج17/ 36 .

(4) من سورة النجم 53 : (الآية / 11) .

(5) من سورة الإسراء 17 : (الآية / 36) .

(6) من سورة الهمزة 104 : (الآيتان / 6 ـــــ 7) .

(7) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني : 646 مادة فاد .

(وخص بالذكر لأنه ألطف ما في البدن وأشده تألما بأدنى شيء من الأذى ، ولأنه منشأ العقائد الفاسدة ، ومعدن حب المال الذي هو منشأ الفساد والضلال ، وعنه تصدر الأفعال القبيحة)[1]

والفؤاد هو قطب الجسد وقوام الحياة ، قال الرسول صلى الله عليه وسلم : { ألا وإن في الجسد مضغة إذا صــــــــــــــــلحت صلح سائر الجسد ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب }[2]

فعندما يذكر الله كلمة الفؤاد يكون الموضع والمقام يحتاج إلى معنى التوقد والتيقظ والحضور ، مثل الموضع هنا في سورة النجم حيث كان الحبيب صلى الله عليه وسلم في رحلة علوية إلهية ، فكان في قمة التيقظ والنشاط والحضور . فأراد الله بكلمة الفؤاد هنا هذين المعنيين : الأول : القلب نفسه ، والثاني : معنى التوقد والتيقظ .

أما إذا ذكرت كلمة القلب وحدها فقد يكون القلب حاضرا وقد يكون غافلا بدليل قوله صلى الله عليه وسلم : { واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلبٍ غافلٍ لاهٍ}[3]

(فأد : الفاء والألف والدال أصل صحيح يدل على حمى وشدة حرارة ، من ذلك: فأدت اللحم شويته ، وهذا فئيد أي مشوي ، ومن ذلك الفؤاد سمي بذلك لحرارته . والفأد مصدر فأدته : إذا أصبت فؤاده)[4]

(والفؤاد قيل هو القلب الذي يراد به العقل لا العضو المعروف ، وقال بعضهم : الفؤاد كالقلب لكن يقال له فؤاد إذا اعتبر فيه معنى التفاؤد أي التوقد ، يقال : فأدت اللحم شويته ، ولحم فئيد بمعنى مفؤود ، وقوله تعالى : ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ ﴾ أي ما واطأ قلبه بصره ، والمعنى : أن الذي رآه حــــق يقين لا تخيـــيل ، قوله تعالى: ﴿ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ

---

(1) نظم الدرر للبرهان البقاعي : 22 / 248 .

(2) رواه البخاري : (كتاب الإيمان / باب فضل من استبرأ لدينه 39 ، رقم الحديث : 52 ، ج1/ ص126) ومسلم: (مساقاة / رقم الحديث107 ، ج11/ ص 26) .

(3) رواه الترمذي : كتاب الدعوات باب 66 ، رقم الحديث : 3479 ، ج5 / ص483 . قال الترمذي : حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وقال الألباني : حسن .

(4) معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ج4/ 469 .

﴿ ٧ ﴾ إنما خصـــها لأنها أرق شيء في البدن وأخفاه ، فإذا وصل إليها الشيء فقد تناهى إفراطه ، أعاذنا الله بكرمه من نفحاتها)[1]

الكلمة السابعة والأربعون : ضيزى من قوله تعالى :

﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ ﴾[2]

(أي ناقصة ، وقيل : جائرة ، يقال : ضازه يضيزه أي جار عليه في القسمة)[3]

(فالقسمة الضيزى : الناقصة ، يقال : ضزته حقه إذا منعته)[4]

فلفظة ضيزى لها معنيان : النقص والجور ، وكلاهما مقصودان في معنى الآية .

(قسمة ضيزى : أي جائرة عن العدل خارجة عن الصواب مائلة عن الحق ، يقال: ضاز في الحكم أي جار ، وضاز حقه يضيزه ضيزا أي نقصه وبخسه .

وقال الكسائي : يقال ضاز يضيز ضيزا وضاز يضوز ، وضأز يضأز ضأزا إذا ظلم وتعدى وبخس وانتقص)[5]

ولكلمة ضيزى قراءتان متواترتان حيث قرأ ابن كثير [6] كلمة ضئزى بالهمز ، وقرأ الباقون بدون همز : ضيزى .

وهكذا يتبين لنا أن الله اختار لفظة (ضيزى) لتحتمل المعنيين : النقص والجور ، منتهى النقص لحق الله ، حيث جعل الكفار الملائكة بنات الله ، وغاية الجور والظلم حيث جعلوا

---

(1) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي : 410 مادة فأد .

(2) من سورة النجم 53 : (الآية / 22) .

(3) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ / 315 مادة ضيز .

(4) معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ج3/ 380 مادة ضيز .

(5) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج67/17 .

(6) ابن كثير : عبد الله بن كثير بن عبد الله ، كان إماما في القراءة بمكة المكرمة ، ولد 45 هـــ توفي 120هـــ ، وأشهر تلامذته البزي وقنبل . ينظر القراءات وأثرها في العربية / 57 .

الذكور لهم والأنثى التي يكرهونها لله ، تعالى الله عن ذلك ، وهذا سببه الجهل والكبر والعناد ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ [1]

(ومعنى ضأزه يضأزه بالهمز : نقصه ظلما وجورا)[2]

﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ ﴾ هذه اللفظة فيها توبيخ شديد للكفار على قسمتهم الباطلة الظالمة الجائرة ، حيث فضلوا جانب أنفسهم على جنابه عز وجل حيث جعلوا له تعالى الإناث واختاروا لأنفسهم الذكور فعلا ﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ ﴾ (أي جائـــرة، حيث جعلتم له سبحانه ما تستنكفون منه . وقيل : منقوصة)[3]

(ضيزى : شديدة الضَّيْز ، وهذا وسم لهم بالجور زيادة على الكفر ، لأن التفكير في الجور كفعله ، فإن تخيلات الإنسان ومعتقداته عنوان على أفكاره وتصرفاته)[4]

(﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ ﴾ قسمتكم هذه قسمة جائرة غير مستوية ، ناقصة غير تامة ، لأنكم جعلتم لربكم من الولد ما تكرهون لأنفسكم ، وآثرتم أنفسكم بما ترضونه. والعرب تقول : ضِزته حقه بكسر الضاد ، وضُزته بضمها فأنا أضيزه وأضوزه ، وذلك إذا نقصته حقه ومنعته)[5]

الكلمة الثامنة والأربعون : سامدون من قوله تعالى :

﴿ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [6]

(سمد : السين الميم والدال أصل يدل على مضي قدما من غير تعريج . يقال : سمدت الإبل في سيرها ، إذا جدَّت ومضت على رؤوسها .

---

(1) من سورة الزمر 39 : (الآية / 67) .

(2) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي : ج10/96.

(3) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي : ج27/56 ــــــــــــــ 57.

(4) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج27/112 .

(5) تفسير الطبري : ج11/ 521 .

(6) من سورة النجم 53 : (الآية / 61) .

ومن الباب السمود الذي هو اللهو ، والسامد هو اللاهي ، ومنه قوله جل وعلا : ﴿ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ أي لاهون . وهو قياس الباب لأن اللاهي يمضي في أمره غير معرِّج ولا متمكت)[1]

إذن كلمة السمود ليس معناها فقط اللهو ، وإنما يضاف إليها معنى آخر وهو المضي قدما في اللهو من غير تعريج ولا ندم ولا رجوع إلى الصواب ، وهذا يعني الغفلة .

(﴿ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ أي لاهون ساهون ، سمد عن كذا أي سها عنه ، وعن ابن عباس: مستكبرون ، وقيل : خاضعون ذليلون ، وقيل : سامدون : رافعون رؤوسهم، فيحتمل أن يكون ذلك تكبرا وأن يكون غفلة ، وهذه الحالة تكون لهذين الشخصين)[2]

وهكذا لا يمنع أن يكون اللهو مع رفع الرأس من معاني السمود . فالسامد هو اللاهي الغافل الرافع رأسه ، إضافة إلى الاستمرارية في اللهو والغفلة .

وهكذا فعلا كان وصف الكفار ، حيث كانوا يضحكون ولا يبكون ، ولا يتأثرون بمواعظ القرآن إلا من أراد الله له الهداية ، وهم سامدون مستمرون في لهوهم وغفلتهم ، قال الله تعالى : ﴿ ۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ ﴾[3]، ومعنى ينغضون : يحركون رؤوسهم استهزاء . والاستهزاء له سببان : الغفلة والكبر . وهذا ما يؤيد معنى السمود : لهو وغفلة مع تحريك الرأس كبرا واستهزاء بالإضافة إلى الاستمرارية في اللهو والغفلة .

(﴿ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ أي لاهون معرضون ، عن ابن عباس . وقال عكرمة : هو الغناء ، يقال : سمِّد لنا أي غنِّ لنا ، فكانوا إذا سمعوا القرآن يتلى تغنوا ولعبوا حتى لا يسمعوا

---

(1) معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ج3/ 100 .

(2)عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 249 .

(3) من سورة الإسراء 17 : (الآيتان / 50 ـــــــ 51) .

، وقال الضحاك : سامدون : شامخون متكبرون ، وفي الصحاح : سمد سمودا رفع رأسه تكبرا ، وكل رافع رأسه فهو سامد .

والسمود : اللهو ، والسامد : اللاهي ، يقال للقينة : أسمدينا ، أي ألهينا بالغناء)[1]

والغناء أعظم أنواع اللهو ، ولذلك دخل من معاني السمود . فمعنى سامدون : متكبرون ، ولاهون غافلون مغنون . بالإضافة إلى رفع الرأس والعناد والإصرار على المعصية والخطأ (التكبر والغفلة) .

وهكذا اختار الله لفظة (سامدون) لتشمل هذين المعنيين المندرج تحتهما معان كثيرة، وكلها تنطبق على الكفار المعارضين للدين في كل زمان ومكان .

(﴿ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ أي لاهـــــــــون أو مستكبرون ، من سمـــد البعير إذا رفع رأسه، أو مغنون ، لتشغلوا الناس عن استماعه من السمود بمعنى الغناء)[2]

ومغنون داخلة في معنى لاهون ، فالغناء نوع من أنواع اللهو . والسامد : اللاهي الرافع رأسه المغني .

(سامـــدون : أي لاهون معرضون عن ابن عباس . وقال عكرمة : هو الغناء بلغة حمير ، يقال : سمِّد لنا أي غنِّ لنا ، فكانوا إذا سمعوا القرآن يتلى تغنوا ولعبوا حتى لا يسمعوا ، وقال الضحاك : سامدون : شامخون متكبرون ، وفي الصحاح : سمد سمودا : رفع رأسه تكبرا ، وكل رافع رأسه فهو سامد . والمعروف في اللغة : سمد يسمد سمودا : إذا لها وأعرض)[3]

من معاني كلمة سامدون : لاهون معرضون رافعو رؤوسهم ، شامخون متكبرون ، وفي لغة : مغنون .

(قـــال بعض أهل اللغة : الحزن والتحير ، اقتصر الفراء في معنى الكلمة بآية النجم على: لاهـــون ، وفي تأويل الطبري : وأنتم لاهون عما فيه من العبر والذكر معرضون عنه ، وبنحو ذلك قال أهل التأويل : وإن اختلفت ألفاظهم بالعبارة عنه ، ومما روى منها عن ابن عباس قال

---

(1) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج17/ 80 .

(2) تفسير أبي السعود : ج8/ 166.

(3)غريب القرآن وتفسيره لعبد الله بن يحيى اليزيدي / 357 .

هو الغناء وهي لغة أهل اليمن ، وعنه أيضا لاهون ، وعنه شامخون ، والسمود : اللهو ، والسامد : اللاهي والمغني والقائم والساكت والخاشع)[1]

من معاني كلمة ســـامدون أيضا من خلال هذا النص : قائمون ، ساكتون ، خاشعون ، حزينون، متحيرون .

(سامدون : أي لاهون ساهون ، سمد عن كذا أي سهى عنه ، وعن ابن عباس : مستكبرون، وقـــيل : خاضعون ذليلون ، أي لا تبكون في هذه الحالة بسبب التكبر والتجبر ، وقيل : سامدون رافعون رؤوسهم ، فيحتمل أن يكون ذلك تكبرا وأن يكون غفلة)[2]

من معاني كلمة سامدون : خاضعون ذليلون ، غافلون ساهون . وكل هذه المعاني تنطبق على الكفار حين كان القرآن يتلى عليهم ، فهم فعلا يضحكون ولا يبكون ، وهم خاضعون ذليلون ، ساكتون ليس لهم جواب ، شامخون رافعو رؤوسهم متكبرون ، غافلون ساهون .

(وأنتم سامدون : فيه خمسة أقوال :

أحدها : لاهون وبه قال الفراء والزجاج ، والثاني : معرضون قاله مجاهد ، والثالث : أنه الغناء رواه عكرمة عن ابن عباس ، والرابع : غافلون قاله قتادة ، والخامس : أشرون بطرون قاله الضحاك)[3]

وأنتم سامدون : أي وأنتم لاهون عما فيه من العبر والذكر ، معرضون عن آياته .

(والسمود قيل : الإعراض ، وقيل : اللهو ، وقيل : الجـــــــــــــمود ، وقيل : الاستكبار ، وقيل: الغناء)[4]

(وأنتم سامدون فيه تسعة تأويلات :

أحدها : شامخون ، والثاني : غافلون ، والثالث : معرضون ، والرابع : مستكبرون ، والخامـــس: لاهون لاعبون ، والسادس : هو الغناء كانوا إذا سمعوا القرآن تغنوا ، والسابع : أن يجلسوا غير مصلين ولا منتظرين ، والثامن : واقفون للصلاة قبل وقوف الإمام ، والتاسع : خامدون)[5]

---

(1) الإعجاز البياني للقرآن للدكتورة عائشة عبد الرحمن / 349 .

(2) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي : 249 مادة سمد .

(3) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي : ج8 /86 .

(4) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي : ج10/ 116ـــــــــــــــ 117.

(5) النكت والعيون للماوردي : ج5/ 407 .

(وسامدون من السمود وهو ما في المرء من الإعجاب بالنفس ، يقال : سمد البعير إذا رفع رأسه في سيره ، مُثِّل به حال المتكبر المعرض عن النصح ، المعجب بما هو فيه بحال البعير في نشاطه .

وقيل : السمود الغناء بلغة حمير ، والمعنى : فرحون بأنفسكم تتغنون بالأغاني لقلة الاكتراث بما تسمعون من القرآن كقوله : ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ﴾[1] على أحد تفسيرين ، وتقديم المجرور للقصر ، أي هذا الحديث ليس أهلا لأن تقابلوه بالضحك والاستهزاء والتكذيب ، ولا لأن لا يتوب سامعه ، أي لو قابلتم بفعلكم كلاما غيره لكان لكم شبهة في فعلكم ، فأما مقابلتكم هذا الحديث بما فعلتم فلا عذر لكم فيها)[2]

وهكذا يتبين لنا سعة معاني لفظة سامدون ، فما أجمل ألفاظ اللغة العربية وأوسع معانيها وأعظم دلالاتها في تفسير كتاب الله تعالى .

الكلمة التاسعة والأربعون : مهطعين من قوله تعالى :

﴿ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ﴾[3]

(هطع : الهاء والطاء والعين أصل يدل على إقبال على الشيء وانقياد ، يقال : هطع الرجل على الشيء ببصره : أقبل ، وأهطع البعير : صوَّب عنقه منقادا ، وأهطع : أسرع)[4]

(1) من سورة الأنفال 8 : (الآية / 35) .

(2) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج27/ 158 .

(3) من سورة القمر 54 : (الآية / 8) .

(4) معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ج6/ 56 مادة هطع .

كلمة هطع تدل على معنيين : إقبال على الشيء وإسراع وانقياد ، أي اتباع مع تصويب البصـــــــــــــــــــــــــر إلى هذا الشيء . قال الله تعالى : ﴿ مُهۡطِعِينَ مُقۡنِعِي رُءُوسِهِمۡ لَا يَرۡتَدُّ إِلَيۡهِمۡ طَرۡفُهُمۡ ﴾ [1]

(قوله تعالى : { مهطعين } أ ي مسرعين ، يقال : أهطع يهطع إهطاعا فهو مهطع ، أي سريع الإجابة لداعي رب العالمين ، والمهطع : الذي ينظر في ذل وخنوع لا يقلع بصره ، ويقال: هطع الرجل ببصره إذا صوَّب عنقه)[2]

فكلمة مهطعين لها معنيان : مسرعين ، مصوِّبين أنظارهم نحو الداعي ينتظرون أمره.

(هطع وأهطع : أقبل على الشيء ببصره فلم يرفعه عنه ، وهطع وأهطع : أقبل مسرعا خائفا ، وقيل : نظر بخضوع ، وقيل : مدَّ عنقه وصوّب رأسه ، وقال بعض المفسرين في قوله : مهطعين محمِّجين ، والتحميج إدامة النظر مع فتح العينين ، وقوله : مهطعين إلى الداع : فُسر بالوجهين جميعا)[3]

وهكذا تكون كلمة مهطعين جمعت بين المعنيين : الإسراع بخوف مع تصويب النظر وإدامته. وهذا ما تؤيده كتب اللغة العربية وكتب التفسير .

(مهـــطعين : الإهطاع النظر من غير أن يطرف الناظر ، عن ابن عباس : والإهطاع : الإسراع ، قاله قتادة)[4]

(مهطعين معناه : مسرعين ، يقال : هطع الرجل يهطع هطوعا إذا أقبل على الشيء ببصره لا يقلع عنه)[5]

فالإهطاع هو مد البصر مع الإسراع ، وقيل : مع النظر والتأمل .

(﴿ مُّهۡطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ﴾ مسرعين مادي أعناقهم إليه ، وقيل : ناظرين إليه لا يقلعون بأبصارهم)[1]

---

(1) من سورة إبراهيم 14 : (الآية / 43) .

(2) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 606 .

(3) لسان العرب لابن منظور : ج8/ 372 مادة هطع .

(4) زاد المسير لابن الجوزي : ج4/ 370 .

(5) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج17/85 .

(والمهطع : الـــماشي ســـريعا مادا عنقه ، وهي مشية مذعور غير ملتفت إلى شيء)[2]

(والإهطاع : الإسراع ، وقيل : الإسراع مع مد العنق أو النظر)[3]

(والمهطع : المسرع في مشيه نحو الشيء مع هز ورهق ومد بصر نحو المقصد إما لخوف أو طمع أو نحوه)[4]

وهكذا أغلب التفاسير تؤيد وجود المعنيين لكلمة : مهطعين ، وهي الإسراع مع مد البصر، فما أجمل ألفاظ القرآن وأدقها في وصف المعنى المطلوب .

الكلمة الخمسون : خصاصة من قوله تعالى : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾[5]

(خص : الخاء والصاد أصل مطرد منقاس ، وهو يدل على الفرجة والثلمة ، فالخصاص : الفُرج بين الأثافي ، ويقال للقمر : بدا من خصاصة السحاب ، والخصاصة: الإملاق والثلمة في الحال)[6]

(خصاصة : أي فقر ، وأصله من خصاص البيت وهو فرجة عن المفسدة ، فعُبِّر عن الفقر بالخصاصة ، كما عُبِّر عنه بالخلة ، والخصّ بيت من قصب أو شجر ، وذلك لما يرى منه من الخصاصة)[7]

فكلمة خصاصة لها معنيان : الحاجة والفقر ، والمعنى الثاني : الفرجة والثلمة ، فعبَّر الله عن الفقر الذي لم يُسدَّ بالخصاصة . وكأن الفقر الذي هم فيه هو فرجة وثلمة حيث استعاذ الرسول صلى الله عليه وسلم من الفقر .

---

(1) الكشاف للزمخشري : ج4/ 44 .
(2) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج27/ 172 .
(3) الدر المصون للسمين الحلبي : ج129/10 .
(4) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية : ج5/ 213 .
(5) من سورة الحشر 59 : (الآية / 9) .
(6) معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ج2/ 152 ـــــــــ 153.
(7) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ لابن فارس : 156.

وكلمة خصاصة مأخوذة من خصاص البيت ، وهو ما يبقى بين عيدانه من الفرج والفتوح .

(﴿ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ الخصاصة : الحاجة التي تختلّ بها الحال . وأصلها من الاختصاص وهو انفراد بالأمر ، فالخصاصة الانفراد بالحاجة ، أي ولو كان بهم فاقة وحاجة)[1]

(والخصاصة : الحاجة وأصلها من خصاص البيت ، وهي فروجه . وحال الفقير يتخللها النقص فاستعير لها ذلك)[2]

فحياة الفقير فيها حاجة وفرجة ، فالحاجة معروفة ، وبقيت الفرجة وهي النقص والخلل في حياة الفقير .

(﴿ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ أي حاجة وخلة ، وأصلها خصاص البيت وهي فُرَجه ، شبه حالة الفقر والحاجة ببيت ذي فرج في الاشتمال على مواضع الحاجة . قال الراغب : عبر عن الفقر الذي لا يسد بالخصاصة ، كما عبر عنه بالخلة والخص ببيت من قصب وشجر وذلك لما يرى منه من الخصاصة)[3] أي فتحات وفروج .

(والخصاصة : الفاقة والحاجة ، وهو مأخوذ من خصاص البيت ، وهو ما يبقى بين عيدانه من الفرج والفتوح ، فكأن حال الفقير هي كذلك يتخللها النقص والاحتياج)[4]

إذن اختار الله كلمة (خصاصة) لتناسب حال الفقير من ناحيتين : الحاجة والثلمة والنقص ، وهذين المعنيين متلائمين جدا مع حال الفقير .

فالله عز وجل قد مدح الأنصار الذين تبوؤوا الدار والإيمان من قبل المهاجرين أنهم يعطون المهاجرين أموالهم إيثارا لهم بها على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، أي حاجة شديدة وفقر كبير .

---

(1) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج18/ 20 .
(2) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي : ج10/ 287 .
(3) تنوير الأذهان من تفسير روح البيان للشيخ إسماعيل البروسوي :ج274/4 .
(4) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية : ج5/ 288 .

الكلمة الواحدة والخمسون : مرصوص من قوله تعالى : ﴿كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ ۝٤﴾ [1]

(مرصوص : لا يغادر منه شيء شيئا)[2]

أي الملتصق بعضه ببعض فلا يرى فيه خلل لإحكامه ، (﴿كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ ۝٤﴾ أي محكم كأنما بني بالرصاص ، ويقال : رصصته ورصَّصته وتراصُّوا في الصلاة أي تضايقوا فيها ، وترصيص المرأة : أن تشدد التنقب وذلك أبلغ من الترصص)[3]

(رصص : قوله تعالى : ﴿كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ ۝٤﴾ أي لاصق بعضه ببعض، وقيل : معـــناه كأنما بـــني من الرصـــاص يعـــني محكـــما ، وفي الحديث : { أقيموا صفوفكم وتراصوا فإني أراكم من وراء ظهري }[4] أي تلاصقوا ولا تدعوا فرجا)[5]

(﴿ بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ ۝٤﴾ أي بنيان لاصق بعضه ببعض . فاعلم أنه يجب من يثبت في الجهاد ويلزم مكانه كثبوت البنيان المرصوص ، ويجوز أن يكون عنى أن يستوي ثباقم في حرب عدوهم حتى يكونوا في اجتماع الكلمة كالبنيان المرصوص ، وللمفسرين في المراد بالمرصوص قولان :

أحدهما : أنه الملتصق بعضه ببعض فلا يرى فيه خلل لإحكامه .

والثاني : أنه المبني بالرصاص .

وكانوا يكرهون القتال على الخيل ، ويستحبون القتال على الأرض لهذه الآية)[6]

---

(1) من سورة الصف 61 : (الآية / 4) .

(2) غريب القرآن وتفسيره لعبد الله بن يحيى اليزيدي : 376 .

(3) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني : 355 .

(4) رواه البخاري : (كتاب الأذان باب 72 رقم الحديث 719 ، ج2/ 208) .

(5) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي : 204 .

(6) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي : ج8/ 251 ـــــــــــــــ 252 .

وهكذا لم يقل الله : بنيان محكم أو متقن ، وإنما قال : بنيان مرصوص ليدل على معنيين هما: ملتصق بعضه ببعض ، والثاني : من شدة التصاقه كأنما بُني بالرصاص ، والرصاص من أقوى المعادن .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٌ مَّرۡصُوصٌ ﴿٤﴾ ﴾

إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا مصـــطفا كأنهم في اصطفافهم هنالك بنيان قد رصَّ فأحكم وأتقن ، فلا يغادر منه شيئا ، وكان بعضهم يقول : بني بالرصاص .

(المرصوص : المصفوف المتضام ، وقيل : المعقود بالرصاص ، وهذا يحتمل أن يكون أصل اللفظة)[1]

(﴿ كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٌ مَّرۡصُوصٌ ﴿٤﴾ ﴾ والبنيان : الحائط ، والرصّ اتصال بعض البناء بالبعض واستحكامه ، والمعنى : حال كونهم مشبهين في تراصهم من غير فرجة وخلل ببنيان رُصَّ بعضه إلى بعض ورصف حتى صار شيئا واحدا ، وقال الراغب : بنيان مرصوص أي محكم كأنما بني بالرصاص وهو قول الفراء ، وتراصوا في الصلاة أي تضايقوا فيها .

وعن بعضهم فيه دليل على فضل القتال راجلا لأن الفرسان لا يصطفون على هذه الصفة كما في الكشاف .

والدليل على فضل الراكب على الراجل أن له سهمين من الغنيمة ، وإنما حث عليه الصلاة والسلام على التراص لأن المسلمين يومئذ كانوا راجلين غالبا و لم يجدوا راحلة ونحوها إلا قليلا .

قال سعيد بن جبير رضي الله عنه : هذا تعليم من الله للمؤمنين كيف يكونون عند قتال عدوهم ولذلك قالوا : لا يجوز الخروج من الصف إلا لحاجة تعرض للإنسان أو في رسالة يرسله الإمام ، أو منفعة تظهر في المقام المنـــتقل إليه كفرصة تنتهز ، ولا خلاف فيها وفي الخروج عن الصف للمبارزة خلاف لا بأس بذلك إرهابا للعدو وطلبا للشهادة وتحريضا على القتال . ففي الآية زجر عن التباطؤ وحث على التسارع ودلالة على فضيلة الجهاد)[2]

---

(1) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية : ج5/ 302 .

(2) تنوير الأذهان من تفسير روح البيان للشيخ إسماعيل حقي البروسوي : ج4/ 301ــــــــــــــــــــــ 302 .

(كأنهم : في تراصهم من غير فرجة ولا خلل ، بنيان : رص بعضه إلى بعض مرصف، وقيل: يجوز أن يريد استواء نياتهم في الثبات حتى يكونوا في اجتماع الكلمة كالبنيان المرصوص ، وعن بعضهم : فيه دليل على فضل القتال راجلا لأن الفرسان لا يصطفون على هذه الصفة)[1]

(المهدوي[2] : وذلك غير مستقيم لما جاء في فضل الفارس في الأجر والغنيمة ، ولا تخرج الفرسان عن معنى الآية لأن معناه الثبات)[3]

إذن كلمة المرصوص لها معنيان : المحكم ، والمعقود بالرصاص (قال المبرد [4] : رصصت البناء لاءمت بين أجزائه وقاربته حتى يصير كقطعة واحدة ، ومنه الرصيص وهو انضمام الأسنان، والظاهر أن المراد تشبيههم في التحام بعضهم ببعض بالبنيان المرصوص من حيث أنهم لا فرجة بينهم ولا خلل ، وقيل : المراد استواء نياتهم في الثبات حتى يكونوا في اجتماع الكلمة كالبنيان المرصوص والأكثرون على الأول ، وفي أحكام القرآن فيه : استحباب قيام المجاهدين في القتال صفوفا كصفوف الصلاة ، وأنه يستحب سد الفرج والخلل في الصفوف ، وإتمام الصف الأول فالأول ، وتسوية الصفوف عدم تقدم بعضهم على بعض فيها)[5]

(﴿كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أن المرصوص الملتصق بعضه إلى بعض ، لا ترى فيه كوة ولا ثقبا ، لأن ذلك أحكم في البناء من تفرقه وكذلك الصفوف .

---

(1) الكشاف للزمخشري : ج92/4 .

(2) المهدوي : محمد بن محمد شمس الدين المهدوي الأزهري المالكي نحوي من أهل مصر له التحفة الأنسية في شرح الأجرومية، والفوائد المهدوية في شرح الأجرومية توفي 1026هـ . ينظر الأعلام : ج62/7 .

(3) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج54/18 .

(4) المبرد : محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي أبو العباس المعروف بالمبرد ، إمام العربية ببغداد في زمنه ، وأحد أئمة الأدب والأخبار مولده بالبصرة ووفاته ببغداد ، من كتبه الكامل والمذكر والمؤنث والمقتضب والتعازي والمراثي توفي سنة 286هـ . ينظر الأعلام ج144/7.

(5) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي : ج84/28 .

والثاني : أن المرصوص المبني بالرصاص)[1]

الكلمة الثانية والخمسون : الشوى من قوله تعالى :

﴿ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴾[2]

(شوى : الشين والواو والياء يدل على الأمر الهين ، من ذلك الشوى وهو رذال المال ، ومن ذلك الشوى : جمع شواة وهي جلدة الرأس ، والشوى : الأطراف وكل ما ليس بمقتل ، وكل أمر هين شوى ، ويقال : رميت الصيد فأشويته إذا أصبت شواه وهي أطرافه ، والشوايا : بقية قوم هلكوا ، الواحد شوية ، وإنما سميت بذلك لقلتها وهونها ، ويقال : ما بقي من المال إلا شواية أي شـــيء يســـير ، والذي لا نشك فيه أن الشواء مشتق من هذا ، لأنه إذا شوي فكأنه قد أهين)[3]

(﴿ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴾ قيل : الشوى الأطراف كاليد ، والرجل الواحدة شواه ، ورماه فأشواه أي أصاب شواه ، ولم يصب مقتله ، ومنه قيل : للأمير الهين شوى . وقيل: الشوى جلود الرأس ، والجلدة شواه ، أي تنـــزع أطرافهم وجلود رؤوسهم)[4]

(والشوى : جمع شواة وهي جلدة الرأس ، وفي الصحاح : (والشوى جمع شواة وهي جلدة الرأس) والشوى : اليدان والرجلان والرأس من الآدميين وكل ما ليس مقتلا ، والشوى : هو الشيء الهين اليسير ، وقيل : ﴿ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴾ أي لمكارم وجهه ، وقيل : لمكارم خلقته وأطرافه ، وقال الضحاك : تفري اللحم والجلد عن العظم حتى لا تـــترك منه شيئا)[5]

---

(1) النكت والعيون للماوردي :ج5/ 528 .

(2) من سورة المعارج 70 : (الآية / 16) .

(3) معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ج224/3مادة شوى .

(4) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي : 281 مادة شوى .

(5) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج18/ 186 ـــــــــ 187 .

وهكذا كانت كلمة الشوى لها معنيان : جلدة الرأس ، والمعنى الثاني : الأمر الهين اليسير . فكأن جلدة الرأس لينة سهلة وهي ألين ما تكون حيث هي مغطاة بالشعر ، فيتم نزعها من قبل النار أجارنا الله وإياكم منها بلطفه وكرمه .

ولأن جلدة الرأس والوجه أكرم ما في الإنسان ، فإذا شويت فقد أهين هذا الإنسان غـــــــاية الإهــــــانة كما قال تعالى : ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ ﴾[1] ، وقال جل شأنه : ﴿ أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾[2] .

(﴿ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ ﴾ يعني الأطراف كاليدين والرجلين مما ليس بمقتل ، والمعنى أن النار تنـــزع الأطراف فلا تـــترك عليها لحما ولا جلدا . وقال ابن عباس : تنـــزع العصب والعقب، وقيل : تنـــزع اللحم دون العظام ، وقيل : تأكل الدماغ كله ثم يعود كما كان ثم تأكله فذلك دأبها ، وقيل : لمكارم خلقه ومحاسن وجهه وأطرافه)[3]

(والشوى : الأطراف جمع شواة كنوى ونواة ، وقيل : الشوى الأعضاء التي ليست بمقتل ، ومنه : رماه فأشواه أي لم يصب مقتله . وقيل : الشوى جمع شواة وهي جلدة الرأس ، وقيل : هو جلد الإنسان ، والشوى أيضا رذال المال والشيء اليسير)[4]

نخرج من هذا إلى أن الشوى لها معنيان : الدماغ أو جلد الرأس ، والشيء اليسير الهين .

(﴿ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ ﴾ نزع الشيء : جذبه من مقرّه وقلعه ، والشوى : الأطراف التي ليست بمقتل كالأيدي والأرجل ، أي أعني بلظى جذابة للأعضاء الواقعة في أطراف الجسد ، وقلاعة لها بقوة الإحراق لشدة الحرارة ، ثم تعود كما كانت وهكذا أبدا ، والشوى جمع شواة وهي جلدة الرأس ، يعني أن النار تنـــزع جلود وتقشرها عنه ، وذلك لأنهم كانوا

---

(1) من سورة القمر 54 : (الآية / 48) .

(2) من سورة الزمر 39 : (الآية / 24) .

(3) تفسير الخازن : ج4/ 308 .

(4) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي : ج10/ 458 .

يسعون بالأطراف للأذى والجفاء ، ويصرفون عن الحق الأعضاء الرئيسية التي يشتمل عليها الرأس خصوصا العقل الذي كانوا لا يعقلون به في الرأس)[1]

الكلمة الثالثة والخمسون : الرجز من قوله تعالى :

﴿ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ ﴾ [2]

(﴿ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ ﴾ أي عبادة الأوثان ، وأصل الرجز : العذاب ، والمعنى : اهجر ما يؤدي إلى الرجز ، والأمر وإن كان له في الصورة فهو لغيره في المعنى ، لأنه عليه السلام لم يزل هاجرا ذلك، والمعنى دم على ذلك ، وأصله الاضطراب)[3]

فيكون المعنى : اترك عبادة الأصنام المؤدية إلى الرجز .

(﴿ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ ﴾ قيل : هو صنم ، وقيل : هو كناية عن الذنب فماه بالمآل)[4]

فيكون للرجز معنيان : الصنم ، والإثم أو الذنب ، وكلا المعنيين يؤديان إلى العذاب ، وهذا أصل كلمة الرجز .

(قال الزجـــاج : الرجز في اللغة العذاب ، ومعنى الآية : اهجر ما يؤدي إلى عذاب الله)[5]

وفيها قراءتان : قرأها حفص[6] بضم الراء : الرُّجز ، والباقون بكسرها : الرِّجز .

(﴿ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ ﴾ قال قوم : هو صنم ، والرُّجز والرِّجز بالضم والكسر ، ومعناهما واحد، وهو العمل الذي يؤدي إلى العذاب ، وقال عز من قائل : ﴿ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ

---

(1) تنوير الأذهان من تفسير روح البيان للشيخ إسماعيل حقي البروسوي : ج4/ 405 ـــــــــــــ 406 .

(2) من سورة المدثر 74 : (الآية /5) .

(3) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي : 195 مادة رجز .

(4) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني : 342 مادة رجز .

(5) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي : ج402/8.

(6) حفص بن سليمان بن المغيرة الأسدي الكوفي ، ولد سنة 90 ه ، ويقال كان حفص أعلم الناس بقراءة عاصم ، توفي 180ه . الأعلام : ج264/2 .

﴿لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ ﴾[1] أي كشفت عنا العذاب ، ومعنى الرجز في القرآن هو العذاب المقلقل لشدته ، وله قلقلة شديدة متتابعة)[2]

(الرجز : يقال بكسر الراء وضمها ، وهما لغتان فيه ، والمعنى واحد عند جمهور أهل اللغة . وقيل : الرجز بالكسر : العذاب والنجاسة والمعصية ، وبالضم : الوثن ، ويحمل الرجز هنا على ما يشمل الأوثان وغيرها من أكل الميتة والدم)[3]

وهكذا يتبين لنا أن لفظة الرجز أراد الله لها المعنيين وهما : الأوثان وكل نجاسة ومعصية مثل أكل الميتة والدم ، والثاني : العذاب . أي اهجر كل ما يؤدي إلى العذاب .

(قال ابن عباس : الرجـــز السخط ، فالمعنى اهـــجر مـــا يؤدي إليه ويوجبه ، وقال الحسن[4] : كل معصية رجز .

وروى جابر[5] أن النبي صلى الله عليه وسلم فسر هذه الآية بالأوثان)[6]

أي ارفـــــــض عبـــــــــــادة

الأوثـــــــــــــــــــــــــــان ولا تقـــــربها ، كما قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام : ﴿ وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ ﴾[7] والمراد الدوام على الهجـــر ، لأنه كان بريئا من عبادة الأوثان ونحوها .

---

(1) من سورة الأعراف : (الآية / 134) .

(2) لسان العرب لابن منظور : 352 مادة رجز .

(3) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج29/ 277 .

(4) الحسن : الإمام المشهور المجمع على جلالته في كل فن ، أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار التابعي البصري الأنصاري ، وأمه اسمها خيرة مولاة لأم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها .توفي 110 ه ينظر تهذيب الأسماء واللغات : ج1/ 161.

(5) جابر : بن عبد الله بن حرام الأنصاري السلمي ، أحد المكثرين للرواية ، له ولأبيه صحبة ، وكان مع من شهد العقبة ، شهد مع الرسول صلى الله عليه وسلم تسع عشرة غزوة ، وكان له حلقة في المسجد النبوي يؤخذ عنه العلم ، توفي 78هـــ . ينظر الإصابة في تمييز الصحابة ج1/ 222.

(6) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية : ج5/ 393 .

(7) من سورة إبراهيم 14 : (الآية / 35) .

(والرجز بالضم وبالكسر وهما لغتان بمعنى ، وقال مجاهد : هو بالضم اسم صنم ، وبالكسر اسم للعذاب ، وعلى تقدير كونه العذاب فلا بد من حذف مضاف أي اهجر أسباب العذاب المؤدية إليه أو لإقامة المسبَّب مقام سببه وهو مجاز شائع)[1]

(الرجز : العذاب وأصله الاضطراب ، وقد أقيم مقام سببه المؤدي إليه من المآثم ، فكأنه قيل : اهجر المآثم والمعاصي المؤدية إلى العذاب ، أو الكلام بتقدير مضاف أي أسباب الرجز ، وقيل : الرجز السخط ، وقيل : المعصية ، وقيل : الإثم ، ولما كان المخاطب بهذا الأمر هو النبي صلى الله عليه وسلم وهو البريء عن ذلك ، كان من باب إياك أعني واسمعي ، أو المراد الدوام والثبات على هجر ذلك ، وقيل : الرجز اسم لصنمين إساف ونائلة، وقيل : للأصنام عموما ، وقيل : الرجز اسم للقبيح المستقذر ، والرجز فاهجر : كلام جامع في مكارم الأخلاق ، كأنه قيل : اهجر الجفاء والسفه وكل شيء يقبح ولا تتخلق بأخلاق هؤلاء المشركين ، وعليه يحتمل أن يكون هذا أمرا بالثبات على تطهير الباطن بعد الأمر بالثبات على تطهير الظاهر بقوله سبحانه : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ ﴾[2] . ومن كلام السادة أي الدنيا فاترك ، وهو مبني على أنه أريد بالرجز الصنم ، والدنيا من أعظم الأصنام التي حبها بين العبد وبين مولاه ، وعبدتها (أي الدنيا) أكثر من عبدتها (أي الأصنام) ، فإنها تعبد في البيع والكنائس والصوامع والمساجد وغير ذلك ، أو أريد بالرجز القبيح المستقذر ، والدنيا عند العارف في غاية القبح والقذارة .

ويقال : كل ما ألهى عن الله عز وجل فهو رجز يجب على طالب الله تعالى هجره ، إذ بهذا الهجر ينال الوصال ، وبذلك القطع يحصل الاتصال)[3]

إذن كلمة الرجز لها معنيان : المعنى الأول : الأوثان ، وسميت الأوثان رجزا لأنها تؤدي إلى العذاب ، والمعنى الثاني : العذاب . ويكون المعنى : وعمل الرجز فاهجر ، أو العمل المؤدي إلى العذاب فيكون على تقدير حذف المضاف .

وأصل الرجز العذاب ، قال الله تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾[4]

---

(1) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ج10/ 535 .

(2) من سورة المدثر 74 : (الآية / 4) .

(3) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي : ج29/ 119 .

(4) من سورة الأعراف 7 : (الآية / 162) .

الكلمة الرابعة والخمسون : قسورة من قوله تعالى :

﴿ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ ﴾ [1]

(قسر : القاف والسين والراء يدل على قهر وغلبة بشدة ، من ذلك القسر : الغلبة والقهر ، يقال : قسرته قسرا ، والقسورة : الأسد لقوته وغلبته)[2]

(القسورة : الأسد ، ووزنه فعولة اشتقاقا من القسر وهو القهر ، وقيل : القسورة الصيادون ، شبههم بحمر وحشية وهي أنفر الصيد ، ثم لم يكتف بذلك حتى وصفها بالفرار، ثم لم يكتف بذلك حتى بين سبب الفرار من أشـــــــــد الحيوان بأســـا وهـــــــــو الأســـــــــــــد . ويقال: قسرته واقتسرته أي غلبته وقهرته)[3]

(قسورة : الأسد ، وقيل : قناص الرماة ، وقيل : عصب الرجال)[4]

فالقسورة لها معنيان : إما الأسد ، وإما الصيادون والرماة ، ويجمع المعنيين : القوة والغلبة. فالأسد معروف بقوته وغلبته ، وكذلك الصيادون والرماة معروفون بمهارتهم وقوتهم وغلبتهم ، ولذلك جمعتهم كلمة (قسورة) لأن معناها لغة : القوة والغلبة .

(القسورة هم الرماة والصيادون ، وقيل : إنه الأسد من القسر بمعنى القهر ، أي أنه يقهر السباع، والحمر الوحشية تهرب من السباع ، وكل شديد عند العرب فهو قسورة وقسور)[5]

(قسورة : قيل هو اسم جمع قسْوَر وهو الرامي ، أو هو جمع على خلاف القياس ، إذ ليس قياس فعلل أن يجمع على فعللة ، وهذا تأويل جمهور المفسرين عن ابن عباس وغيره ، فيكون التشبيه جاريا على مراعاة الحالة المشهورة في كلام العرب .

---

(1) من سورة المدثر 74 : (الآية / 51) .

(2) معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ج5 / 88 .

(3) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي : 455 مادة قسور .

(4) غريب القرآن وتفسيره لعبد الله بن يحيى اليزيدي : ص 400 .

(5) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج19/ 58 .

وقيل : القسورة مفرد وهو الأسد ، وقيل : القسور الأسد ، والقسورة كذلك ، أنـــثوه كما قالوا : أسامة ، وعلى هذا فهو تشبيه مبتكر لحالة إعراض مخلوط برعب مما تضمنته قوارع القرآن فاجتمع في هذه الجملة تمثيلان .

وإيثار لفظ (قسورة) هنا لصلاحيته للتشبيهين مع الرعاية على الفاصلة)[1]

فالأسد يقهر السباع ويغلبها ، وكذلك الرماة والقناص يقهرون الصيد ويغلبونه ، وكلا المعنيين ينطبقان على كلمة : قسورة .

وفي هذه الآية شبه الله الكفار في إعراضهم عن القرآن واستماع ما فيه من المواعظ وشرادهم عنه ، بحمر جدَّت في نفارها مما أفزعها ، لأن الحمار الوحشي إذا عاين الأسد هرب أشد الهرب ، من القسر وهو القهر والغلبة لأنه يغلب السباع ويقهرها .

وفي تشبيههم بالحمر شهادة عليهم بالبلَه ، ولا ترى مثل نفار حمر الوحش إذا خافت من شيء.

(قسورة : قيل القسورة جماعة الرماة لا واحد له من لفظه ، وقيل : هي الأسد ، وذلك لأن الحمر الوحشية إذا عاينت الأسد هربت ، فكذلك هؤلاء المشركون إذا سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن هربوا منه ، شبههم بالحمر في البلادة والبله ، وذلك أنه لا يرى مثل نفار حمر الوحش إذا خافت من شيء)[2]

الكلمة الخامسة والخمسون : فاقرة من قوله تعالى :

﴿ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ ﴾[3]

(فاقرة : أي داهية عظيمة تكسر منها الفقار)[4]

(قال ابن قتيبة : إنه من فقارة الظهر كأنها تكسره ، يقال : فقرت الرجل إذا كسرت فقاره ، كما يقال : رأسته إذا ضربت رأسه ، وبطنته إذا ضربت بطنه)[1]

---

(1) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج29/ 307.

(2) تفسير الخازن : ج4/ 332 .

(3) من سورة القيامة 75 : (الآية / 25) .

(4) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي : 430 مادة فقر .

فكلمة فاقرة تعني المصيبة العظيمة والكبرى ، والمعنى الثاني : الشيء الذي يكسر فقرات الظهر.

فسميت المصـــيبة والداهية العظيمة بالفاقرة تشبيه لها بالشيء الذي يكسر فقرات الظهر، فكان ظهر صاحب المصيبة مكسور لا يستطيع رفع رأسه أبدا .

(وأصل الفقير هو المكسور الفقار ، يقال : فقرته فاقرة أي داهية تكسر الفقار)[2]

(فقر: الفاء والقاف والراء أصل صحيح يدل على انفراج في شيء ، من عضو أو غير ذلك ، من ذلك الفقار للظهر ، الواحدة فقارة ، سميت للحزوز والفصول التي بينها ، والفقير: المكسور فقار الظهر ، وقال أهل اللغة : منه اشتق اسم الفقير ، وكأنه مكسور فقار الظهر من ذلته ومسكنته ، ومن ذلك : فقرتهم الفاقرة وهي الداهية كأنها كاسرة لفقار الظهر)[3]

فكلمة فاقرة دلت على معنيين : الأول : الداهية والمصيبة العظيمة ، والثاني : تكسر فقار الظهر ، فمن شدة المصيبة وعظمتها كسرت فقار الظهر .

(فاقرة : داهية عظيمة تقصم فقار الظهر)[4]

(لأن المراد بالفاقرة ما لا يكتنه من العذاب ، فكل ما يفعل به من أشده استدل منه على آخر وتوقع أشد منه ، وإذا كان ظانا كان أشد عليه مما إذا كان عالما موطنا نفسه على الأمر)[5]

(فاقرة : هي الداهية العظيمة ، سميت بذلك لأنها تكسر فقار الظهر . ومنه سمي الفقير لانكسار فقاره من القُلِّ)[6]

وهكذا اختار الله كلـــمة فاقرة و لم يقل داهية أو مصيبة لتؤدي معنيين في كلمة واحدة ، وهذا من الإعجاز البياني .

---

(1) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي : ج8/423 .

(2) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني : 642 مادة فقر .

(3) معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ج4/443ـــــــــــــ 444.

(4) تفسير أبي السعود : ج9/ 68 .

(5) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي : ج29/ 146.

(6) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي : ج10/578 .

الكلمة السادسة والخمسون : أسرهم من قوله تعالى :

﴿ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ﴾[1]

(الأسر : الشد بالقيد من قولهم : أسرت القتب ، وسمي الأسير بذلك ثم قيل لكل مأخوذ ومقيد ، وإن لم يكن مشدودا ذلك)[2]

(أســـر : الهمزة والسين والراء أصل واحد وقياس مطرد ، وهو الحبس ، وهو الإمساك ، من ذلك الأسير ، وكانوا يشدونه بالقدِّ وهو الإسار ، فسمى كل أخيذ وإن لم يؤسر أسيرا .

والعرب تقول : أسر قتبه أي شـــده ، وقـــال الله تعالى : ﴿ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ﴾ يقال : أراد الخلق ، ويقال : بل أراد مجرى ما يخرج من السبيلين)[3]

فـــكلمة الأســـر لها معنيان هما : شدة الخلق ، والمعنى الثاني : مفاصلهم وأوصالهم . (يقال للفرس إذا كان شديد الخلق شديد الأسر ، وكل شيء شددته من قتب أو خيط فهو مأسور)[4]

(﴿ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ﴾ أي خلقهم ، قال ابن قتيبة : يقال : امرأة حسنة الأسر أي حسنة الخلق كأنها أُسرت ، أي شدت . وأصل هذا من الإسار وهو القدُّ الذي تشد به الأقتاب ، يقال: ما أحسن ما أسر قتبه ، أي ما أحسن ما شده بالقد ، وقيل : مفاصـــلهم، وقيل : أوصالهم بعضها إلى بعض بالعروق والعصب)[5]

وكل المعاني تدور حول الشد والإتقان والإحكام ، ولذلك قال الله : أسرهم ، و لم يقل : خلقهم أو مفاصلهم ، لأن الأسر يدل على الشد والإتقان .

---

(1) من سورة الإنسان 76 : (الآية / 28) .

(2) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني : 76 مادة أسر .

(3) معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ج1/ 107.

(4) غريب القرآن وتفسيره لعبد الله بن يحيى اليزيدي : 405 .

(5) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي : ج441/8 .

(ومعنى قوله : ﴿ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ﴾ ربطنا أوصالهم بعضها إلى بعض بالعروق والأعصاب، أو المراد بالأسر : عَجْب الذنب ، لأنه لا يتفتت في القبر)[1]

(﴿ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ﴾ أي قوينا خلقهم ، وسمى الخلق أسرا لشد بعضه بعضا ، وقيل : إشارة إلى حكمته في تركيب الأمور بتدبرها وتأملها في قـــوله تعالى : ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[2]

(أســـرهم : أي خلقهم ، والأسر : الخلق ، يقال : فرس شديد الأسر أي الخلق ، وقيل: شددنا مفاصلهم وأوصالهم بعضها إلى بعض بالعروق والعصب ، وقيل في تفسير الأسر : هو الشرج أي إذا خرج الغائط والبول تقبَّض الموضع .

واشتقاقه من الإسار وهو القدّ الذي يشد به الأقتاب ، يقال : أسرت القتب أسرا أي شددته وربطته ، ويقال : ما أحسن أسر قتبه أي شده وربطه ، ومنه قولهم : خذه بأسره إذا أرادوا أن يقولوا هو لك كله ، كأنهم أرادوا تعكيمه وشده لم يفتح و لم ينقص منه شيء ، ومنه الأسير لأنه كان يكتف بالإسار ، والكلام خرج مخرج الامتنان عليهم بالنعم حين قابلوها بالمعصية ، أي سويت خلقك وأحكمته بالقوى ثم أنت تكفر بي)[3]

فكلمة أسرهم توحي فعلا بأن هناك شيئا مربوطا مقيدا محكما متقنا من مفاصل وأوصال رُبط بالعروق والأعصاب هذا الربط والشد والإتقان والإحكام من أعلى الرأس إلى أخمـــص القدمين . فسبحـــان الله الخـــالق المبدع ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾[4]

الكلمة السابعة والخمسون : كفاتا من قوله تعالى :

---

(1) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن لشيخ الإسلام أبي يحيى زكريا الأنصاري ، تحقيق الشيخ محمد علي الصابوني ، دار القرآن الكريم ، بيروت ، ط ، 1403هـــ ص 593 .

(2) من سورة الذاريات 51 : (الآية / 21) .

(3) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج19/ 98 ـــــــــ 99 .

(4) من سورة المؤمنون 23 : (الآية / 14) .

﴿ أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ ﴾ [1]

(قال اللغويون : الكفت في اللغة الضم ، والمعنى أنها تضم أهلها أحياء على ظهرها وأمواتا في بطنها . قال ابن قتيبة : يقال : اكفت هذا إليك أي ضمه ، وكانوا يسمون بقيع الغرقد : كفتة لأنه مقبرة يضم الموتى)[2]

(قوله تعالى : ﴿ أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ ﴾ أي جامعة ، والكفت : الضم والجمع، وكل شيء كفته فقد جمعته)[3]

(كفاتا : أوعية ، وقال بعضهم : ظاهرها للأحياء وباطنها للموتى)[4]

تبين مما سبق أن الكفت في اللغة له معنيان : الأول الجمع ، فالأرض تجمع في باطنها الأموات وفي ظاهرها الأحياء ، والمعنى الثاني : الضم والجذب ، فهي تجذب الناس على ظهرها بفعل الجاذبية الأرضية وتضمهم إليها .

(الكفت : القبض والجمع ، أي تجمع الناس أحياءهم وأمواتهم ، وقيل : معناه تضم الأحياء التي هي الإنسان والحيوانات والنبات ، والأموات التي هي الجمادات من الأرض والماء وغير ذلك . والكفات قيل هو الطيران السريع ، وحقيقته : قبض الجناح للطيران كما قال تعالى : ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَ ﴾[5] فالقبض ههنا كالكفات هناك. والكفت : السوق الشديد ، واستعمال الكفت في سوق الإبل كاستعمال القبض فيه، كقولهم : قبض الراعي الإبل وكفت الله فلانا إلى نفسه كقولهم : قبضه)[6]

(﴿ أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحۡيَآءٗ وَأَمۡوَٰتٗا ﴿٢٦﴾ ﴾ [7] هما منصوبان حالين بمعنى يكفتكم في حياتكم ومماتكم ، ففي الحياة في بطون منازلكم ، وفي الممات في بطون قبوركم)[1]

---

(1) من سورة المرسلات 77 : (الآية / 25) .

(2) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي : ج8 / 449 .

(3) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي : 494 مادة كفت .

(4) غريب القرآن وتفسيره لعبد الله بن يحيى اليزيدي : 407 .

(5) من سورة الملك 67 : (الآية / 19) .

(6) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني : 714 مادة كفت .

(7) من سورة المرسلات 77 : (الآيتان / 25 ــــــــــ 26) .

فالأرض كفات للبشر فهي مجمع ووعاء ، وهي كنٌّ وغطاء ، وهي تجذب الناس وتضمهم إليها. فيا سبحان الله .

(والكِفات بالكسر : الموضع يكفت فيه الشيء أي يضم ويجمع ، والأرض كفات لنا)[2]

(الكفات : من كفت الشيء إذا ضمه وجمعه ، وهو اسم ما يكفت كقولهم الضمام والجماع لما يضم ويجمع ، يقال هذا الباب جماع الأبواب وبه انتصب (أحياء وأمواتا) كأنه قيل : كافتة أحياء وأمواتا ، أو بفعل مضمر يدل عليه وهو تكفت ، والمعنى : تكفت أحياء على ظهرها وأمواتا في بطنها ، وقد استدل بعض أصحاب الشافعي[3] رحمه الله على قطع النباش بأن الله تعالى جعل الأرض كفاتا للأموات فكان بطنها حرزا لهم ، فالنباش سارق من الحرز)[4]

ولأن الله أراد هـــــــذه المعـــــــاني من كلمـــــــة : كفاتا لم يقل : ألم نجعل الأرض جامعة أو ضامة (الكفات : الستر والوعاء الجامع للشيء بإجماع ، تقول : كفت الرجل شعره إذا جمعه بخرقة، فالأرض تكفت الأحياء على ظهرها ، وتكفت الأموات في بطنها . وقال بنان : خرجنا مع الشعبي[5] إلى جنازة فنظر إلى الجبانة فقال : هذه كفات الموتى ، ثم نظر إلى البيوت فقال : هذه كفات الأحياء ، وكانت العرب تسمي بقيع الغرقد : كفتة ، لأنها مقبرة تضم الموتى ، وفي الحديث: { خمروا الآنية وأوكوا الأسقية وأجيفوا الأبواب ، واكفئوا صبيانكم عند المساء فإن

---

(1) الروض الريان في أسئلة القرآن للشيخ شرف الـــدين الحســـين بن سليمان بن ريان تحقيق عبد الحليم بن محمد نصار، مكتبة العلوم والحكم ، ط ، 1415هــ ، ج543/2 .

(2) القاموس المحيط للفيروز أبادي : ج162/1، مادة كفت .

(3) الشافعي : محمد بن إدريس بن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قرشي ن ولد 150هــ وتوفي 204هــ ، وهو حجة في اللغة وكان فقيها بارعا ، وهو إمام في مذهبه ، له مصنفات كثيرة . ينظر تهذيب الأسماء واللغات ج44/1 .

(4) الكشاف للزمخشري : ج174/4 .

(5) الشعبي : عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار الشعبي الحميري ، راوية من التابعين ، يضرب المثل بحفظه ولد 19هــ توفي 103هــ كان فقيها شاعرا وهو من رجال الحديث الثقات . ينظر الأعلام ج251/3.

للجن انتشارا وخطفة } [1] ، ودفن ابن مسعود قملة في المسجد ثم قرأ : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ ﴾ ، ولما كان القبر كفاتا كالبيت قطع من سرق منه) [2]

فالأرض تضم الناس أحياء وأمواتا مثل الأم التي تضم أولادها إليها .

(كفات : اسم للشيء الذي يكفت فيه أي يجمع ويضم فيه ، فهو اسم جاء على صيغة الفعال من كفت إذا جمع ، ومنه سمي الوعاء كفاتا ، كما سمي ما يعي الشيء وعاء ، وما يضم الشيء : الضمام .

وفي الآية امتنان بجعل الأرض صالحة لدفن الأموات ، وقد ألهم الله لذلك ابن آدم حين قتل أخاه ، فيؤخذ من الآية وجوب الدفن في الأرض إلا إذا تعذر ذلك) [3]

(فالأرض تضم الأحياء إلى منازلهم ، والأموات في قبورهم ، وأيضا استقرار الناس على وجه الأرض ثم اضطجاعهم عليها ، انضمام منهم إليها ، وقيل : هي كفات للأحياء يعني دفن ما يخرج من الإنسان من الفضلات في الأرض ، إذ لا ضم في كون الناس عليها ، والضم يشير إلى الاحتفاف من جميع الوجوه) [4]

وهذا قول للعلماء ورأي في معنى الضم للأحياء يؤيده هذا القول : (الكفت : الجذب والضم. لقد جاء وصف الأرض بهذه الكلمة على قدر ما يمكن أن يفهمه الأعرابي في البادية ، فقد أدرك منها أن الأرض له كالوعاء ، تحفظ ما فيها وتحميها وتحرسها ، وهو إدراك صحيح ، فإن الأرض كذلك ، ثم جاء هذا الوصف ذاته على قدر فهم المختصين والمتعمقين في دراسات الأرض والأفلاك، أن الإنسان إنما يستقر على الأرض بقوة خفية تجذبه إليها ، وإلا لما أمكنه الاستقرار من فوقها ، وهو نفس القوة التي تسمى اليوم بالجاذبية) [5]

---

(1) رواه البخاري : كتاب بدء الخلق 59 باب 16رقم الحديث 3316 ج6/ 355 .

(2) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية : ج419/5 .

(3) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج29/ 399 ـــــــــ400 .

(4) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج10 /105 .

(5) منهج تربوي فريد في القرآن للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ، مؤسسة الرسالة مكتبة الفارابي ، ط ، 1405هـ/ 28 .

فكلمة كفاتا تعني الجمع والضم للأموات ، وتعني الجمع والجذب للأحياء بفعل الجاذبية، فكلمة واحدة أعطت هذه المعاني دليل الإعجاز البياني للقرآن الكريم .

والكلمة أيضا وافقت الحقائق العلمية مثل حقيقة الجاذبية ، حيث ثبت أن الإنسان يـــتعذر عيشه على كوكب آخر بسبب فقدان الجاذبية ، حيث يصبح لا وزن له مثل الريشة .

فما أروع هذا القرآن حين يعطي كل هذه المعاني في لفظة واحدة .

الكلمة الثامنة والخمسون : كبد من قوله تعالى :

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ ﴾[1]

(كبد : أي مشقة شديدة ، وأصل ذلك من قولهم : كبدته أكبده أي أصبت كبده فأصابه الكبد ، أي وجع وصل إلى الكبد .

ونبَّه تعالى بقوله : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ ﴾ أي على أنه تعالى خلقه على حالة لا ينفك من المشاق ما لم يقتحم العقبة ويستقر في دار القرار . كقوله تعالى : ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ ﴾[2] ، وكبد السماء وكبد القوس وسطهما تشبيها بكبد الإنسان لتوسطهما البدن وكبد كل شيء وسطه .

وقيل : في كبد أي خلق منتصبا غير منحن ، وما أبعد هذا لفظا ومعنى . وقيل : في كبد أي ضيق ، كأنه يشير لمحله من الرحم ، والإنسان في بطن أمه في ضيق ثم يكابد ما يكابد من أمر دنياه وآخرته ثـــــــــــــــــــم الموت إلى أن يستقر في جنة أو نار . وفلان يكابد معيشته أي يقاسي منها ضيقة وشدة)[3]

من هنا نصل إلى أن كلمة كبد لها معنيان : المشقة الشديدة ، والمعنى الثاني : وصلت إلى الكبد، وهذا دليل على أنها مشقة عظيمة جدا .

---

(1) من سورة البلد 90 : (الآية / 4) .

(2) من سورة الانشقاق 84 : (الآية / 19) .

(3)عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 477 ـــــــــ 478 مادة كبد .

وقـــد أراد الله أن يعلـــمنا أنه خلق الإنسان في ضيق ومشقة شديدة ، فذكر لنا لفظة (كبد) لتدل على هذين المعنيين .

وفعلا الإنسان في كبد مستمر في هذه الحياة (في مكابدة ومشقة وجهد وكفاح وكدح ... الخلية الأولى لا تستقر في الرحم حتى تبدأ في الكبد والكدح والنصب لتوفر لنفسها الظروف الملائمة للحياة والغذاء بإذن ربها ، وما تزال كذلك حتى تنتهي إلى المخرج ، فتذوق من المخاض إلى جانب ما تذوقه الوالدة ما تذوق ، وما يكاد الجنين يرى النور حتى يكون قد ضغط ودفع حتى كاد يختنق من مخرجه من الرحم ! ومنذ هذه اللحظة يبدأ الجهد الأشق والكبد الأمر !

وكل خطوة بعد ذلك كبد ، وكل حركة بعد ذلك كبد ... إن الكبد طبيعة الحياة الدنيا، تختلف أشكاله وأسبابه ، ولكنه هو الكبد في النهاية ، فأخسر الخاسرين هو من يعاني كبد الحياة الدنيا لينتهي إلى الكبد الأشق الأمرّ في الأخرى ، وأفلح الفالحين من يكدح في الطريق إلى ربه ليلقاه بمؤهلات تنهي كبد الحياة وتنـــتهي به إلى الراحـــة الكبرى)[1]

فالإنسان في كبد ومشـــقة شديدة من أول ما يكون في بطن أمه إلى أن يوضع في القبر ، فإما أن يكون في روضة من رياض الجنة ، وإما أن يكون في حفرة من حفر النار والعياذ بالله.

(كبد : وحيدة في القرآن صيغة ومادة ، وفي معاني القرآن للفراء : منتصبا معتدلا ، ويقال : خُلق في كبد يكابد أمر الدنيا والآخرة ، وهما روايتان عن ابن عباس ، ورواية ثالثة عنه : في شدة في معيشته وحمله وحياته ونبات أسنانه . وقال الطبري : في شدة يكابد الأمور ، لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب من معاني الكبد .

وأكثر المفسرين على أنه المكابدة والمشقة . وذلك غير معنى الاعتدال .

ودلالة المشقة أصل في المادة ، فالعربية استعملت الكبد في المعاناة من كبِدٍ مريضة ، ثم نقلتها إلى المكابدة المعنوية على سبيل المجاز فقيل : وقع في كبد ، في مشقة ، وتقول للخصماء : إنهم لفي كبد من أمرهم ، وبعضهم يكابد بعضا ، والمسافر يكابد الليل إذا ركب هوله وصعوبته .

---

(1) في ظلال القرآن لسيد قطب ، ج6/ 3909 ـــــــــــ 3910 .

وأطمئن إلى أنه في الآية الكريمة من المكابدة لتبعات التكليف ومخاطر اقتحام العقبة : ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ ﴾[1][2]

يقال في اللغة العربية : دمغه إذا أصاب دماغه ، ورأسه إذا أصاب رأسه ، وكَبَده إذا أصاب كبده ، أي كبد الإنسان المعروف ، ثم استعملت في الأمور المعنوية فيكون معناها أن الإنسان في مشقة شديدة وصلت كبده لشدتها .

(قال الحسن : يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة ، وعنه أيضا : يكابد الشكر على السراء، ويكابد الصبر على الضراء ، لأنه لا يخلو من أحدهما ، وقيل : لم يخلق الله خلقا يكابد ما يكابد ابن آدم ، وهو مع ذلك أضعف الخلق .

قال علماؤنا : أول ما يكابد قطع سرته ، ثم إذا قُمط قماطا وشدَّ رباطا يكابد الضيق والتعب ، ثم يكابد الارتضاع ، ولو فاته لضاع ، ثم يكابد نبت أسنانه وتحرك لسانه ، ثم يكابد الفطام الذي هو أشد من اللطام ، ثم يكابد الختان والأوجاع والأحزان ، ثم يكابد المعلم وصولته ، والمؤدب وسياسته ، والأستاذ وهيبته ، ثم يكابد شغل التزويج والتعجيل فيه ، ثم يكابد شغل الأولاد والخدم والأجناد ، ثم يكابد شغل الدور وبناء القصور ثم الكبر والهرم ، وضعف الركبة والقدم ، في مصائب يكثر تعدادها ، ونوائب يطول إيرادها من صداع الرأس ووجع الأضراس ورمد العين وغمِّ الدَّين ووجع السن وألم الأذن ، ويكابد محنا في المال والنفس مثل الضرب والحبس ، ولا يمضي عليه يوم إلا يقاسي فيه شدة ، ولا يكابد إلا مشقة ، ثم الموت بعد ذلك كله ثم مساءلة المَلَك وضغطة القبر وظلمته ، ثم البعث والعرض على الله ، إلى أن يستقر به القرار إما في الجنة وإما في النار ، فلو كان الأمر إليه لما اختار هذه الشدائد، ودلَّ هذا على أن له خالقا دبَّره وقضى عليه بهذه الأحوال فليمتثل أمره)[3]

---

(1) من سورة البلد 90 : (الآيات : 8 ـــــــ 12) .

(2) الإعجاز البياني للقرآن لعائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ ، 315 ـــــــ 316 .

(3) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج10/ 42 .

وعندما قال الله : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ ﴾ كأنه خلقه داخل الكبَد وهذا أبلغ في الوصف .

(والظرفية من قوله : في كبد ، مستعملة مجازا في الملازمة فكأنه مظروف في الكبَد ، ونظيره قوله: ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ، أَفَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[1]

فالمراد عذاب الدنيا ، وهو مشقة اضطراب البال في التكذيب واختلاق المعاذير والحيرة من الأمر على أحد التفسيرين لتلك الآية .

فالمعنى : أن الكبَد ملازم للمشرك من حين اتصافه بالإشراك ، وهو حين تقوم العقل وكمال الإدراك .

أي كما خلقناه أول مرة في نصب من أطوار الحياة ، كذلك نخلقه خلقا ثانيا في كبد من العذاب في الآخرة لكفره .

ومن الجائز أن يجعل قوله : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ ﴾ من قبيل القلب المقبول لتضمنه اعتبارا لطيفا وهو شدة تلبس الكبد بالإنسان المشرك حتى كأنه خلق في الكبد . والمعنى : لقد خلقنا الكبَد في الإنسان الكافر)[2]

الكلمة التاسعة والخمسون : التكاثر من قوله تعالى :

﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ ﴾[3]

لفظة التكاثر لها معنيان : الكثرة ، والمعنى الثاني : التنافس والمباهاة في تلك الكثرة ، حيث يريد الإنسان المتكاثر أن يصل إلى أعلى ما يمكن أن يصله إنسان في كثرة المال والولد من أجل

---

(1) من سورة سبأ : (الآيتان / 8 ـــــــــــ 9) .

(2) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج30/ 310 ـــــــــــ 311 .

(3) من سورة التكاثر 102 : (الآية / 1) .

التباهي والتفاخر فقط ، وهذا مثل الذي يريد أن يلبس لباسا لم يلبسه أحد من قبله ، فهذا يسمى لباس الشهرة وهو محرم في الإسلام ، ويدل على الكبر .

(والتكاثر : التباري في كثرة المال والعزّ)[1]

فكأن الناس أي أغلبهم في مباراة ومسابقة حقيقية في التكاثر في المال والولد ، ولكن الدنيا سراب خادع والآخرة خير وأبقى ، إلا لمن استغل المال والولد في طاعة الله فيخرج من الذم الموجود في الآية .

(التكاثر : المغالبة في الكثرة من الأشياء الدنيوية كما تتغالب الجاهلية بكثرة أموالها وأثاثها وقراها الضيفان وفكها العناة ، وإطعامها المجاويع وغيره على ما شهد بذلك أشعارهم وخطبهم ، والمعنى أنه شغلهم تكاثرهم بذلك حتى ماتوا فزاروا المقابر ، وقيل : إنهم تفاخروا بآبائهم حتى يعيّر الأحياء فذكروا الأموات)[2]

وقد حذّر الله المؤمنين من الانشغال بالأموال والأولاد عن طاعته سبحانه ، فكيف بالتكاثر بهما، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ۝٩ ﴾[3]

ولذلك لم يقل الله : ألــهتكم الكثرة ، وإنما قال : التكاثر ، ليدل على الكثرة المذمومة ، وهي التباهي والتفاخر بالعدد ، فقط للعدد ولحب الدنيا الزائد والتعلق بها لا لهدف آخر .

(التكاثر : تفاعل في الكثر ، أي التباري في الإكثار من شيء مرغوب في كثرته ، فمنه تكاثر في الأموال ، ومنه تكاثر في العدد من الأولاد والأحلاف للاعتزاز بهم ، وقد فسرت الآية بهما ، قال تعالى : ﴿ وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ۝٣٥ ﴾[4] ، (وعن عبد الله بن الشخير عن أبيه[5] قال : انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول : ﴿

([1]) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني : 703 مادة كثر .

([2]) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي : 483 مادة كثر .

([3]) من سورة المنافقون 63 : (الآية / 9) .

([4]) من سورة سبأ 34 : (الآية / 35) .

([5]) مطرف بن عبد الله بن الشخير : الحرشي العامري ، أبو عــــبد الله ، زاهد من كبار التابعين ثقة فيما رواه من الحديث ، له كلمات في الحكمة مأثورة ، توفي في البصرة 87هـــ . ينظر الأعلام ج7/ 250 .

﴿ أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ١ ﴾ قال : يقول ابن آدم مالي مالي ، وهل لك يا بن آدم مـــن مالك إلا ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأمضيت)[1]

فهذا جار مجرى التفسير لمعنى من معاني التكاثر ، اقتضاه حال الموعظة ساعتئذ وتحتمله الآية .

والخطاب للمشركين بقرينة غلظة الوعيد بقوله : ﴿ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٣ ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٤ كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ ٥ لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ ٦ ﴾[2] ، ولأن هذا ليس من خلق المسلمين يومئذ)[3]

وقد حذر الله المسلمين من الانشغال بالدنيا فقال : ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ﴾[4]

(التكاثر : التباري في الكثرة والتباهي بها ، وأن يقول : هؤلاء نحن أكثر وهؤلاء نحن أكثر ، روى أن بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا أيهم أكثر عددا ، فكثرهم بنو عبد مناف، فقالت بنو سهم : إن البغي أهلكنا في الجاهلية ، فعادّونا بالأحياء والأموات ، فكثرتهم بنو سهم .

والمعنى : أنكم تكاثرتم بالأحياء حتى إذا استوعبتم عددهم صرتم إلى المقابر فتكاثرتم بالأموات . عبر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة المقابر تهكما بهم ، وقيل : كانوا يزورون المقابر فيقولون : هذا قبر فلان وهذا قبر فلان عند تفاخرهم ، والمعنى ألهاكم ذلك وهو مما لا يعنيكم ولا يجدي عليكم في دنياكم وآخرتكم عما يعنيكم من أمر الدين الذي هو أهم وأعنى من كل مهم ، أو أراد : ألهاكم التكاثر بالأموال والأولاد إلى أن متم وقبرتم ، منفقين أعماركم في طلب الدنيا والاستباق إليها والتهالك عليها ، إلى أن أتاكم الموت ، لا همَّ لكم غيرها ، عما هو أولى بكم من السعي لعاقبتكم، والعمل لآخرتكم ، وزيارة القبور عبارة عن الموت)[5]

---

[1] رواه مسلم : كتاب الزهد رقم الحديث 3 ، ج18/ ص94 .
[2] من سورة التكاثر 102 : (الآيات / 3 ـــــــــ 6) .
[3] التحرير والتنوير لابن عاشور : ج30/ 457 .
[4] من سورة الحديد 57 : (الآية / 20) .
[5] الكشاف للزمخشري : ج4/ 230 ـــــــــ 231 .

فالحاصل أن كلمة التكاثر دلت على كثرة ومباهاة في تلك الكثرة ومباراة وتفاخر ، وهذه المعاني ولَّدتها كلمة التكاثر .

المبحث الثاني : ما يحتمل ثلاثة معاني

الكلمة الأولى : الصلاة من قوله تعالى : ﴿ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [1]

الصلاة في اللغة : الدعاء ، وفي الشريعة : أفعال وأقوال على صفات مخصوصة (وفي تسميتها بالصلاة ثلاثة أقوال :

أحدها : أنها سميت بذلك لرفع الصَّلا ، وهو مغرز الذنَب من الفرس .

والثاني : أنها من صليت العود إذا لينته ، فالمصلي يلين ويخشع .

والثالث : أنها مبنية على السؤال والدعاء .)[2]

وهذه المعاني الثلاث كلها متوفرة في كلمة الصلاة ومقصودة منها .

(والصلاة : الدعاء والاستغفار ، وقال الزجاج : الأصل في الصلاة اللزوم ، يقال : قد صلي واصطلى إذا لزم ، ومن هذا من يُصلى في النار ، أي يُلزم النار . وقال أهل اللغة في الصلاة : إنها من الصلوين وهما مكتنفا الذنب من الناقة وغيرها ، وأول موصل الفخذين من الإنسان ، فكأنهما في الحقيقة مكتنفا العصعص .

وقيل : أصلها في اللغة التعظيم ، وسميت الصلاة المخصوصة صلاة لما فيها من تعظيم الرب تعالى وتقدس)[3]

من هنا تتبين معاني الصلاة لغة : الدعاء واللزوم والتعظيم والتمجيد والتبريك ، ومأخوذة من الصّلى .

(والصلاة : قال كثير من أهل اللغة : هي الدعاء والتبريك والتمجيد ، قال صلى الله عليه وسلـــــــــــــــــــــــــــــــــــتم: { إذا دعي أحدكم إلى طعام فليجب ، فإن كان مفطرا فليأكل ، وإن كان صائما فليصل }[4] أي ليدع لأهله .

([1]) من سورة البقرة 2 : (الآية / 3) .

([2]) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي : ج1/ 25 .

([3]) لسان العرب لابن منظور : ج14/ 464 ـــــــ 465 مادة صلا .

([4]) رواه مسلم : كتاب النكاح ، باب الأمر بإجابة الداعي ، رقم الحديث 1431 .

والصلاة التي هي العبادة المخصوصة أصلها الدعاء ، وسميت هذه العبادة بها كتسمية الشيء باسم بعض ما يتضمنه ، والصلاة من العبادات التي لم تنفكُّ شريعة منها ، وإن اختلفت صورها بحسب شرع فشرع ، ولذلك قال : ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ﴿١٠٣﴾﴾[1]

وقال بعضهم : أصل الصلاة من الصَّلى ، قال : ومعنى صلى الرجل : أي أنه ذاد وأزال عن نفسه بهذه العبادة الصَّلى الذي هو نار الله الموقدة ، وبناء صلَّى كبناء مرَّض لإزالة المرض)[2]

وهكذا نجد أن من معاني الصلاة الدعاء ، والصلاة أغلبها ذكر ودعاء . ويتبع الدعاء ويدخل من معانيه : التبريك والتمجيد أي الدعاء بالبركة والثناء والمدح ، ومن معاني الصلاة: اللزوم ، فلا يقال عن رجل مصلٍّ إلا إذا كان ملازما للصلاة .

ومن معاني الصلاة الرحمة والمغفرة ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﴾[3] ، وقال : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ ﴾[4] ، وقال : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞ ﴾[5] أي مغفرة .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : { اللهم صل على آل أبي أوفى } [6] يريد ارحمهم واغفر لهم .

والصلاة : الدين ، قال تعالى حكاية عن قوم شعيب : ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ ﴾[7] ويقال : قراءتك)[1]

([1]) من سورة النساء 4 : (الآية / 103) .

([2]) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني : 490 ــــــــــ 491 مادة صلا .

([3]) من سورة الأحزاب 33 : (الآية / 56) .

([4]) من سورة الأحزاب 33 : (الآية / 43) .

([5]) من سورة البقرة 2 : (الآية / 157) .

([6]) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة باب صلاة الإمام ودعائه لصاحب الصدقة : ج361/3 رقم الحديث : 1497.

([7]) من سورة هود 11 : (الآية / 87) .

أحيانا يكون معنى الصلاة : الرحمة والمغفرة ، وأحيانا يكون معناها : الدين ، وهذا ليس على إطلاقه .

(والصلاة فعلة من صلى إذا دعا ، كالزكاة من زكى ، وإنما كتبتا بالواو مراعاة للفظ المفخم ، وإنما سمي الفعل المخصوص بها لاشتماله على الدعاء)[2]

(وقـــال قوم : هي مأخوذة من الصلا ، وهو عرق في وسط الظهر ويفترق عند العـــجب ، ومنه أخذ المصلي في سبق الخيل ، لأنه يأتي في الحلبة ورأسه عند صلوى السابق ، فاشتقت منه الصلاة ، لأنها ثانية للإيمان فشبهت بالمصلى من الخيل ، وإما لأن الراكع يثني صلويه ، والصلاة مغرز الذنب من الفرس ، والاثنان صلوان والمصلى تالي السبق ، لأن رأسه عند صلوه)[3]

وهذا معنى من معاني الصلاة لغة ، لأنه في التسابق يوجد أولا السابق ويليه المصلي أي الثاني في السبق ، ولذلك ســـمى الله الصلاة بهذا الاسم حيث هي تالية للإيمان أي بعد الإيمان ، وقد تكون الإيمان كله لأهميتها ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ﴾[4] أي صلاتكم .

وهكذا نجد توسعا كبيرا في معاني كلمة الصلاة ، لكن بعض معانيها يندرج تحت المعاني الرئيسة الثلاث وهي :

1 ــ سميت بذلك لرفع الصلا ، وهو مغرز الذنب من الفرس .

2 ــ مأخوذة من الدعاء والتعظيم والتمجيد والتبريك والدين .

3 ــ مأخوذة من صليت العود إذا لينـــته وألزمته وأحرقته ، فالمصلي يلين ويخشع ، وإذا خشع واستشعر طعم الصلاة لزمها وجعلت قرة عينه ، وبذلك يلزمها ولا يتركها ، فيبعده الله من الصلى الذي هو نار الله الموقدة .

---

(1) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ، شرحه السيد أحمد صقر ، المكتبة العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 3 ، 1401هـ ، 1981م، ص 460 ــــــــ 461 .

(2) حاشية الجمل على الجلالين للشيخ سليمان بن عمر العجيلي الشهير بالجمل ، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي : ج 1/ 12.

(3) فتح القدير لمحمد بن علي الشوكاني ، دار الوفاء المنــصورة ، ط2 ، 1418هـ 1997م ، ج1/ 113 ــــــ 114 .

(4) من سورة البقرة 2 : (الآية / 143) .

(والصلاة المفروضة سميت صلاة لأن المصلي متعرض لاستنجاح طلبته من ثواب الله بعـــمله ، مع ما يسأل ربه من حاجاته ، تعرض الداعي بدعائه ربه استنجاح حاجاته وسؤله)[1]

وهذا معنى من معاني الصلاة وهو الدعاء .

الكلمة الثانية : الشيطان من قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ ﴾[2]

كلمة الشيطان لها ثلاثة معانٍ : بعيد ، هالك ، محترق ، وكلها تنطبق على الشيطان .

(فأما الشيطان ففي اشتقاقه ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه فيعال من شطن أي بعُد ، ومنه قولهم : نوى شطون أي بعيدة ، وشطنت داره أي بعدت فسمي شيطانا إما لبعده عن الخير ، وإما لبعد مذهبه في الشر فعلى هذا النون أصلية .

والقول الثاني : أنه مشتق من شاط يشيط ، أي هلك يهلك ، والقول الفاصل : أنه فعلان من الشيط وهو الاحتراق ، كأنه سمي بما يؤول إليه حاله)[3]

وهذه المعاني الثلاثة تنطبق على الشيطان ، فالشيطان بعيد عن رحمة الله لمخالفته أمره ، ومحترق بنار الآخرة لعصيانه ربه وعدم سجوده لآدم عليه السلام ، فهو إذا هالك وفيه معنى القبح كما قال تعالى : ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ ﴾[4] ، أراد في القبح الذي يتصوره في ذهنه كل سامع هذا اللفظ ، والعرب تتصور الشيطان بأقبح صورة والمَلَك بأحسنها .

والشيطان مخلوق من النار ، كما دلَّ عليه قوله تعالى : ﴿ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ ﴾[5] ، (وسمي كل خلق ذميم للإنسـان شيطانا فقـال علـيه السلام : {الحسد شيطان والغضب شيطان }[1])[2]

([1]) تفسير الطبري : ج1/ 137 .

([2]) من سورة البقرة 2 : (الآية / 14) .

([3]) النكت والعيون للماوردي : ج1/ 76 ــــــــــــ 77 .

([4]) من سورة الصافات 37 : (الآية / 65) .

([5]) من سورة الرحمن 55 : (الآية / 15) .

وقال الـــــــــرســــــــــــــــــــــول صـــــــــــــــــــلى الله علـــــــــــــــــــــــــــــــيه وسلم : { إن الغضب من الشيطان ، وإن الشيطان خلق
من النار ، وإنما تطفأ النار بالماء ، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ }[3]

ويتضح جمال اللغة العربية بتعدد المعاني للفظة الواحدة ، فكلمة شيطان لها عدة معان : (الشيطان واحد الشياطين ، لأنه من شطن إذا بعد عن الخير وشطنت داره أي بعدت ، وبئر شطون أي بعيدة القعر ، والشطن : الحبل سمي به لبعد طرفيه وامتداده ، وسمي الشيطان شيطانا لبعده عن الحق وتمرده ، وذلك أن كل عات متمرد من الجن والإنس والدواب شيطان. وقيل : إن شيطانا مأخوذ من شاط يشيط إذا هلك ، وشاط إذا احترق ، وشيطت اللحم إذا دخنته و لم تنضجه ، واشتاط الرجل إذا احتد غضبا)[4]

الكلمة الثالثة : الرعد من قوله تعالى : ﴿ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعۡدٌ وَبَرۡقٌ ﴾[5]

(الراء والعين والدال أصل واحد يدل على حركة واضطراب)[6]

فكلمة رعد ليس معناها فقط الحركة وإنما حركة واضطراب . (الرعد : اسم ملك موكل بالسحاب سمي صوته باسمه رعدا ، وقيل : ريح تختنق تحت السحاب ، وقيل : صوت اصطكاك أجرام السحاب)[7]

([1]) رواه الإمام أحمد : 4/ 226 بلفظ : (إن الغضب من الشيطان) ، رقم الحديث 18148 .

([2]) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني : 455 مادة شطن .

([3]) رواه أبو داود : رقم الحديث / 4784 . قال شعيب الأرنؤوط : إسناده ضعيف ، ورواه أحمد : 18014(4/ 226) ، وقال الألباني في تعليقه على أبي داود ضعيف .

([4]) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج1/ 64 .

([5]) من سورة البقرة 2 : (الآية / 19) .

([6]) معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ج411/1 .

([7]) غرائب التفسير وعجائب التأويل لمحمود بن حمزة الكرماني : ج1/ 123 .

فكلمة تختنق توحي بالاضطراب ، وكذلك كلمة اصطكاك تؤدي معنى الاضطراب ، فكلمة رعد تعطي معنى الاضطراب المخيف ، ولذلك يستحب قول : سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته . عند سماع صوت الرعد .

(وفي الرعد ثلاثة أوجه :

1) أنـــه ملك ينعق بالغيث كما ينعق الراعي بغنمه ، فسمي الصوت رعدا باسم ذلك الملك .

2) أنه ريح تختنق تحت السحاب فتصوب ذلك الصوت .

3) أنه صوت اصطكاك الأجرام .)[1]

ومما يؤكد أن في الرعد معنى الخوف ما جاء في المفردات :

(الرعد صوت السحاب ، وروي أنه ملك يسوق السحاب[2] ، وقيل : رعدت السماء وبرقت ، وأرعدت وأبرقت ويكنى بهما عن التهدد . وقيل : أرعدت فرائصه خوفا)[3]

(وقوله تعالى : ﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ ﴾[4] ، قال الزجاج : جاء في التفسير أنه ملك يزجر السحاب ، قال : وجائز أن يكون صوت الرعد تسبيحه ، لأن صوت الرعد من عظيم الأشياء ، وقال ابن عباس : الرعد ملك يسوق السحاب كما يسوق الحادي الإبل بحدائه ، وقيل : الرعد صوت السحاب ، والبرق ضوء ونور يكونان مع السحاب. قالوا : وذكر الملائكة بعد الرعد في قوله عز وجل : ﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ ﴾ يدل على أن الرعد ليس بملك، وقال الذين قالوا الرعد ملك : ذكر الملائكة بعد الرعد وهو مـــن الملائـــكة كما يذكر الجنس بعد النوع)[5]

([1]) النكت والعيون للماوردي : ج1/ 82 .

([2]) أخرجه أحمد : 274/1 .

([3]) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني : 357 مادة رعد .

([4]) من سورة الرعد 13 : (الآية / 13) .

([5]) لسان العرب لابن منظور : ج3/ 179 مادة رعد .

يترجح لديَّ أن الرعد هو صوت السحاب المتحرك المضطرب حيث يصدر هذا الصوت المخيف المفزع فنقول : { اللهم لا تقتلنا بغضبك ، ولا تهلكنا بعذابك ، وعافنا قبل ذلك }[1]

والرعد أصـــوات تنشأ في السحاب ، والبرق لامع ناري مضيء يظهر في السحاب ، والرعد والبرق ينشآن في السحاب من أثر كهربائي يكون في السحاب ، فإذا تكاثفت سحابتان في الجو إحداهما كهرباؤها أقوى من كهرباء الأخرى وتحاكّتا جذبت الأقوى منهما الأضعف ، فحدث بذلك انشقاق في الهواء بشدة وسرعة ، فحدث صوت قوي هو المسمى الرعد ، وهو فرقعة هوائية من فعل الكهرباء ، ويحصل عند ذلك التقاء الكهرباءين وذلك يسبب انقداح البرق .

(ويقال : أصل الرعد من الحركة ، ومنه الرعديد للجبان ، وارتعد : اضطرب ، والبرق : أصله من البريق والضوء ، ورعدت السماء من الرعد وبرقت من البرق ، ورعدت المرأة وبرقت : تحـــــــسنت وتزيـــــــنت ، ورعـــــــــــــد الرجل وبرق : تهدد وأوعد ، وأرعد القوم وأبرقوا : أصابهم رعد وبرق)[2]

وهكذا يتبين لنا في كل اشتقاقات الكلمة أن الرعد يعني : شدة الحركة إضافة إلى الاضطراب والخوف .

أما البرق : (فالباء والراء والقاف أصلان تتفرع الفروع منهما : أحدهما لمعان الشيء، والآخر اجتماع السواد والبياض في الشيء .

والإنسان إذا بقي كالمتحير قيل : برق بصره برقا ، فهو برق فزع مبهوت ، وكذلك تفسير من قرأها ﴿ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ ﴾[3] ، فأما من قرأ : بَرَق البصر فإنه يقول : تراه يلمع من شدة شخوصه تراه لا يطيق)[1]

---

(1) رواه الترمذي : كتاب الدعوات / باب 50 ما يقول إذا سمع الرعد رقم الحديث : 3450 . وقال حديث غريب، وقال الألباني ضعيف ، ورواه أحمد : 5763(2/ 100) قال شعيب الأرنؤوط : إسناده ضعيف ، ورواه أبو يعلى : 5507 (9/ 380) وقال حسين سليم أسد : إسناده ضعيف ، ورواه الحاكم 7772(318/4) وقال صحيح الإسناد و لم يخرجاه .

(2) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج152/1 .

(3) من سورة القيامة 75 : (الآية / 7) .

إذن كلمة البرق تعني ثلاثة معاني : البرق واللمعان ، والمعنى الثاني : اجتماع السواد والبياض في الشيء ، والمعنى الثالث : الخوف والفزع وهو المعنى الثالث أيضا لكلمة الرعد، ولذلك اجتمـــــــــــعت الكلمتان في كثير من السياقات مثل : رعد الرجل وبرق أي هدد وأوعد . ومثل : ﴿ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعۡدٌ وَبَرۡقٌ ﴾ في سياق المطر والعواصف . فيا سبحان الله !

الكلمة الرابعة : بارئكم من قوله تعالى : ﴿ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ ﴾[2]

(أصل البرء والبراء والتبري : التقصي مما يكره مجاورته ، ولذلك قيل : برأت من المرض وبرئت من فلان ، والبـــاري خصَّ بوصـــف الله تعالى : نـــحو قوله : ﴿ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُ ﴾[3] ، وقوله تعالى : ﴿ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ ﴾[1] والـــبرية : الخلق ، وقيل : أصله الهمز فـــترك ، وقيل بل ذلك من قـــــــولهم : بريت العود ، وسميـــت بـــرية لكونهـــا مبرية من البرى أي التراب ، بدلالة قوله تعالى: ﴿ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ﴾[4])[5]

(وقوله تعالى : ﴿ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُ ﴾[2] فالخالق هو القادر الموجد من العدم ، والباري أخص بوصف الله تعالى ، فإنه اخص من الخالق لأنه خلق بترتيب مسوٌّ ثم التصوير بعد ذلك ، فلذلك جاءت عدة الصفات متتالية على أبدع سياق ، وقوله تعالى : ﴿ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ ﴾[1] تنبيه على أخص الصفتين ، فلذلك قال : بارئكم دون خالقكم لأنه أبعث لهم على التوبة)[6]

([1]) معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ج1/ 223 ـــــــ 224 .

([2]) من سورة البقرة 2 : (الآية / 54) .

([3]) من سورة الحشر 59 : (الآية / 24) .

([4]) من سورة غافر 40 : (الآية / 67) .

([5]) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني : 121ـــــــــ 122 مادة برأ .

([6]) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي : 43 مادة برأ .

نخلص من هذا إلى أن البارئ لها ثلاث معان ، أولها : الخالق ، وثانيها : التساوي والترتيب والتناسب ، وثالثها : التباعد من الشيء والتمايز .

(برأ : الباء والراء والهمزة فأصلان ، أحدهما : الخلق ، يقال : برأ الله الخلق يبرؤهم برءا ، والبارئ الله جل ثناؤه ، والأصل الآخر : التباعد من الشيء ومزايلته من ذلك البرء وهو السلامة من السقم)[1]

(واختلفوا في هذه التسمية على أقاويل :

أحدها : أنها مأخوذة من برأ الله الخلق يبرؤهم برءا .

والثاني : أنها فعيلة من البرء وهو التراب .

والثالث : أنها مأخوذة من برئ الشيء وهو انفصاله عنه ، ومنه البراءة من الدين لانفصاله عنه ، وأبرأه الله من المرض إذا أزاله عنه)[2]

(البارئ هو الذي خلق الخلق بريا من التفاوت وعدم تناسب الأعضاء وتلاؤم الأجزاء بأن تكون إحدى اليدين في غاية الصغر والرقة ، والأخرى بخلافه ، ومتميزا بعضه عن بعض بالخواص والأشكال والحسن والقبح فهو أخص من الخالق ، وأصل التركيب لخلوص الشيء وانفصاله عن غيره ، إما على سبيل التفصي ــ كبرء المريض ــ أو الإنشاء كبرأ الله تعالى آدم ، أي خلقه ابتداء متميزا عن لوث الطين ، وفي ذكره في هذا المقام تقريع بما كان منهم من ترك عبادة العالم الحكيم الذي برأهم بلطيف حكمته حتى عرضوا أنفسهم لسخط الله ونزول أمره بأن يفك ما ركبه من خلقهم ، وينـــثر ما نظم من صورهم وأشكالهم حين لم يشكروا النعمة في ذلك ، وغمطوها بعبادة من لا يقدر على شيء منها)[3]

﴿ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُ ﴾ وإنما ذكرت هذه الصفات متتابعة لأن من مجموعها يحصل تصور الإبداع الإلهي للإنسان ، فابتدئ بالخلق الذي هو الإيجاد الأصلي ثم بالبرء الذي هو تكوين جسم الإنسان ثم بالتصور الذي هو إعطاء الصورة الحسنة ، كما أشار إليه قوله

---

(1) معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ج1/ 236 مادة برأ .

(2) النكت والعيون للماوردي : ج1/ 122 .

(3) روح المعاني للألوسي : ج1/ 259 ــــــــــــ 260 .

تعالى : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨ ﴾ [1] ،

وقـــــوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ [2]

إذن كلمة البارئ أعطت معنى إضافيا عن الخلق ، وهو التناسق والتركيب البديع للخلق ، فالله جل جلاله خالق ، لكنه خالق خلقا بريئا من التفاوت وعدم تناسب الأعضاء وتلاؤم الأجزاء . وخالق خلقا متميزا عن لوث الطين : ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ۝١٤ ﴾ [3] ، وأصل برأ من تبري الشيء من الشـــيء وهو انفصاله منه ، فالخلق قد فصلوا من العدم إلى الوجود. وهذا هو المعنى الثالث لكلمة البارئ .

والبارئ : الخالق وبينهما فرق ، وذلك أن البارئ هو المبدع المحدث ، والخالق هو المقدر الناقل من حال إلى حال .

الكلمة الخامسة : الرجز من قوله تعالى :

﴿ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [4]

(أصل الرجز : الاضطراب ، ومنه قيل : رجز البعير رجزا فهو أرجز ، وناقة رجزاء: إذا تقارب خطوها واضطرب لضعف فيها ، وشُبِّه الرَّجَز به لتقارب أجزائه ، وتصور رجَز في اللسان عند إنشاده .

وقوله : ﴿ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ۝٥ ﴾ [5] ، فالرجز ههنا كالزلزلة ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [6]) [7]

---

(1) من سورة الانفطار 82 : (الآيتان / 7ـــــــــ8) .

(2) من سورة آل عمران 3 : (الآية / 6) .

(3) من سورة المؤمنون 23 : (الآية / 14) .

(4) من سورة البقرة 2 : (الآية / 59) .

(5) من سورة سبأ 34 : (الآية / 5) .

(6) من سورة العنكبوت 29 : (الآية / 34) .

(7) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني : 341 .

إذن من معاني الرجز : الاضطراب . والرَّجز : داء يصيب الإبل في أعجازها ، فإذا ثارت ارتعشت أفخاذها .

فالذين ينـــزل عليهم الرجز يضطربون اضطرابا نفسيا ومعنويا وجسديا .

(وأصل الرجز : العذاب ، وأصله الاضطراب ، ومنه رجز البعير يرجز رجزا فهو أرجز، ورجز: تقارب خطوه واضطرب فيه ، وشبه به بحر الرجز لتقارب أجزائه في التقطيع ، وقوله تعالى: ﴿ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ ﴾ أي مزلزل مزعج)[1]

فمن معاني الرجز : العذاب ، لكنه ليس أي عذاب ، فهو عذاب مزلزل مزعج مرعب فيه معنى الاضطراب ، وقد تعددت أوصاف العذاب في القرآن الكريم (أليم ، عظيم ، شديد ، مهين ، رجز) وكل وصف يناسب السياق ، ويناسب أيضا نوع الذنب والخطيئة .

(وفي الرجز ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه العذاب وهو قول ابن عباس .

والثاني : أنه الغضب وهو قول أبي العالية[2] .

والثالث : أنه الطاعون بعثه الله عليهم فأهلكهم وهو قول ابن زيد)[3]

(فأما الرجز فهو العذاب ، وفي ماهية هذا العذاب ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه ظلمة وموت مات منهم في ساعة واحدة أربعة وعشرون ألفا وهلك سبعون ألفا عقوبة ، قاله ابن عباس .

والثاني : أنه أصابهم الطاعون ، عذبوا به أربعين ليلة ثم ماتوا ، قاله وهب بن منبه[4] .

والثالث : أنه الثلج : هلك به منهم سبعون ألفا ، قاله سعيد بن جبير)[1]

([1]) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي : 195 ـــــــــ 196 مادة رجز .

([2]) أبو العالية : رفيع بن مهران الإمام المقرئ الحافظ المفسر ، أبو العالية الرياحي البصري ، أحد الأعلام ، أدرك زمان النبي صلى الله عليه وسلم وهو شاب ، وأسلم في خلافة أبي بكر الصديق ، حفظ القرآن . توفي 90 ه ، سير أعلام النبلاء : ج4/ 207 ـــــــــ 213 .

([3]) النكت والعيون للماوردي : ج1/ 127 .

([4]) وهب بن منبه : الأبناوي الصنعاني الذماري ، أبو عبد الله مؤرخ كثير الإخبار عن الكتب القديمة ، عالم بأساطير الأولين ، يعد في التابعين ، ولد ومات بصنعاء وولاه عمر بن عبد العزيز قضاءها ، له (قصص الأنبياء) و (قصص الأخيار) ينظر الأعلام : ج125/8ـــــــــ 126 .

فمن معاني الرجز : شدة العذاب ، فقد يكون الغضب ، وإذا غضب الله أنزل أشد العقوبات مثل الطاعون أو الثلج .

(فإن فسر بالثلج كان كونه من السماء ظاهرا ، وإن بغيره فهو إشارة إلى الجهة التي يكون منها القضاء أو مبالغة في علوه بالقهر والاستيلاء)[2]

وهكذا يتبين لنا أن كلمة الرجز لها عدة معان : الاضطراب والعذاب ، مع الدمار والهلاك .

الكلمة السادسة : النبي من قوله تعالى :

﴿ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾[3]

(وفيما أخذ منه اسم النبي ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه مأخوذ من النبأ وهو الخبر ، لأنه ينبئ عن الله أي يخبر ، ومنه قوله تعالى :

﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ ﴾[4]

والثاني : أن أصل النبي هو الطريق ، فسمي رسول الله صلى الله عليه وسلم نبيا لأنه الطريق إليه.

والثالث : أنه مأخوذ من النبوة ، لأن منــــزلة الأنبياء رفيعة)[5]

فكلمة النبيين جمعت بين ثلاثة معاني : الرفعة ، ومنــــزلة الأنبياء رفيعة ، والمعنى الثاني: الطريق، فالأنبياء هم الطريق إلى الله وهو الطريق إلى جنات النعيم ، والمعنى الثالث : النبأ وهو الخبر ، فالأنبياء كلهم يخبرون عن الله الوحي والرسالة .

(واشتقاق النبي من نبأ وأنبأ أي أخبر ، ويجوز أن يكون من نبا ينبو إذا ارتفع ، فيكون بغير همز : فعيلا من الرفعة)[1]

([1]) زاد المسير لابن الجوزي :ج1/ 86 .

([2]) روح المعاني للألوسي : ج1/ 267 .

([3]) من سورة البقرة 2 : (الآية / 61) .

([4]) من سورة النجم 53 : (الآية / 36) .

([5]) النكت والعيون للماوردي : ج1/ 131 .

جاء في كتاب عمدة الحفاظ : (أنه من النبأ مهموز ، والثاني : أنه من نبا ينبو أي ارتفع ، قال بعضهم : هو من النبوة أي الرفعة سمي نبيا لرفعة محله عن سائر الناس المدلول عليها بقوله تعالى : ﴿ وَرَفَعْنَـٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ ﴾ [2] ، والنبوة الارتفاع ، يقال له نباوة ونبوة أي رفعة وشرف، وقال غيره : النبي ما ارتفع من الأرض واحدودب ، وسميت رسل الله أنبياء لكونهم طرقا إلى الله)[3]

قرأ نافع كلمة النبيين بالهمز : النبيئين ، والباقون بدون همز .

وهكذا يتبين لنا جمال اللغة العربية وسعة معانيها ، حيث كلمة النبي لها ثلاثة معاني رائعة تنطبق على النبي : من النـــبأ وهو الخبر ، والارتفاع حيث أن منـــزلة الأنبياء عالية ، والمعنى الثالث: الطريق ، فالأنبياء طريق الناس إلى الله وإلى جنات النعيم .

الكلمة السابعة : الصابئين من قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ ﴾ [4]

(واختلف في المأخوذ منه هذا الاسم على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه مأخوذ من الطلوع والظهور من قولهم : صبأ ناب البعير إذا طلع .

والثاني : أن الصابئ الخارج من شيء إلى شيء ، فسمي الصابئون بهذا الاسم لخروجهم من اليهودية والنصرانية .

والثالث : أنه مأخوذ من قولهم : صبا يصبو إذا إلى الشيء وأحبه)[5]

(صبا إلى الشيء يصبو إذا مال قلبه إليه ، والاسم الصَّبوة ، والثاني : ريح الصبا وهي التي تستقبل القبلة ، يقال : صبت تصبو ، والثالث : قول العرب : صابيت الرمح.

---

(1) زاد المسير لابن الجوزي : ج90/1 .

(2) من سورة مريم 19 : (الآية / 57) .

(3) للشيخ السمين الحلبي : 561 مادة نبو .

(4) من سورة البقرة 2 : (الآية / 62) .

(5) النكت والعيون للماوردي : ج132/1 ـــــــــــ 133 .

فأما المهموز فهو يدل على خروج وبروز ، يقال : صبا من دين إلى دين ، أي خرج، وهو قولهم : صبا ناب البعير إذا طلع ، والخارج من دين إلى دين صايء والجمع صابئون وصبَّاء)[1]

كلمة صبأ لها عدة معاني منها : الخروج من دين إلى دين ، والظهور والطلوع ، ومحبة الشيء والميل إليه .

فالصابئ في اللغة : من خرج ومال من دين إلى دين ، ولهذا كانت العرب تقول لمن أسلم قد صبأ ، فالصابئون قد خرجوا من دين أهل الكتاب . وأحبوا الدين الذي اختاروه ومالوا إليه ، وظهر أمرهم وطلع لغرابة دينهم ، وهكذا كانت كلمة الصابئ جامعة لكل المعـــاني الثلاث . قال قتادة : هم قوم تركب دينهم بين اليهودية والمجوسية ، وقيل : هم قوم يعبدون الملائكة ويصلون إلى القبلة ويقرؤون الزبور ويصلون الخمس . وهم قوم يعظمون النجوم كما تعظم الكعبة ، وقيل: هم قوم موحدون يعتقدون تأثير النجوم ويقرون ببعض الأنبياء .

(والصابئون : قوم عبدوا الملائكة ، وقيل : الكواكب . والجمهور على همزه ، وقرأه نافع غير مهموز . فمن همزه جعله من صبأ ناب البعير أي خرج ، وصبأت النجوم : طلعت ، فالصابئ التارك لدينه كالصابئ الطارئ على القوم فإنه تارك لأرضه ومنـــتقل عنها)[2]

من هنا تبين لنا معنيان لكلمة صابئ : خارج وظاهر ، والمعنى الثاني : تارك لدينه ، والثالث : مائل إلى الدين الذي اختاره .

وفعلا الصابئ تنطبق عليه المعاني الثلاث فهو ترك دينه وانتقل إلى دين آخر رغبة وحبا فيه ، فظهر أمره وطلع . فما أكثر فصاحة القرآن لا تنحصر وجوهها ولا تنتهي .

الكلمة الثامنة : السبت من قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعۡتَدَوۡاْ مِنكُمۡ فِي ٱلسَّبۡتِ ﴾[1]

([1]) معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ج2/ 332 .

([2]) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي : ج1/ 407 .

(سبت : قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ ﴾[2] أي قطعا لأعمالكم التي تزاولونها نهارا ، والمعنى : جعلناه راحة لكم ، أو لأنه ينقطع فيه حركاتكم فتسكنون، والسبات : السكون ، ومنه يوم السبت لأنه يقال : قطع فيه بعض خلق الأرض ، أو لأنه حرِّم على اليهود فيه العمل ، يقال : أسبت إذا دخل في السبت ، وسبت يسبُت إذا عظمه ، ومنه قــوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ﴾[3] أي لا يفعلون ما يجب في شرعهم في هذا اليوم)[4]

تنطبق كل هذه المعاني الثلاث على كلمة السبت : القطع والسكون والتعظيم .

(أنه سمي بذلك لأنه سبت خلق كل شيء أي قطع وفرغ منه ، وقيل : أنه سمي بذلك لأن اليهود يسبتون فيه أي يقطعون فيه الأعمال .

وقيل : أن أصل السبت الهدوء والسكون في راحة ودعة ، ولذلك قيل : للنائم مــسبوت لاستراحته وسكون جسده ، كما قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴾ فسمي به اليوم لاستراحة اليهود فيه)[5]

فالسبت لغة له ثلاثة معاني : القطع والفراغ من العمل ، والسكون والهدوء ، والراحة.

(سبت : السين والباء والتاء أصل واحد يدل على راحة وسكون ، يقال للسير السهل اللين : سبت ، وأما السبت بعد الجمعة فيقال : إنه سمي بذلك لأن الخلق فرغ منه يوم الجمعة وأكمل ، فلم يكن اليوم الذي بعد الجمعة يوما خلق فيه شيء والله أعلم بذلك)[6]

(والسبت مأخوذ إما من : السبوت الذي هو الراحة والدعة ، وإما من السبت وهو القطع، لأن الأشياء فيه سبتت وتمت خلقتها)[7]

([1]) من سورة البقرة 2 : (الآية / 65) .

([2]) من سورة النبأ 78 : (الآية / 9) .

([3]) من سورة الأعراف 7 : (الآية / 163) .

([4]) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ : 228 مادة سبت .

([5]) النكت والعيون للماوردي : ج135/1 .

([6]) معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ج124/2ــــــــــــ 125مادة سبت .

([7]) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية : ج159/1ــــــــــــ 160 .

فمعنى السبت في كلام العرب : القطع ، يقال : قد سبت رأسه إذا حلقه وقطع الشعر منه، ويقال نعل سبتية : إذا كانت مدبوغة محلوقة الشعر ، فسمي السبت سبتا لأن الله تعالى ابتدأ الخلق فيه وقطع فيه بعض خلق الأرض ، أو لأن الله تعالى أمر بني إسرائيل فيه بقطع الأعمال وتركها .

(وأصل السبت القطع لأن اليهود أمروا بأن يقطعوا الأعمال ويشتغلوا بعبادة الله ، ويسمى النوم سباتا لأنه يقطع الحركات الاختيارية)[1]

(والسبت اسم لليوم المعروف ، وهو مأخوذ من السبت الذي هو القطع لأنه سبت فيه خلق كل شيء وعمله ، وقيل من السبوت وهو الراحة والدعة ، وقيل : المراد بالسبت هنا مصدر سبتت اليهود إذا عظمت يوم السبت)[2]

وهكذا يتبين لنا أن كلمة السبت لها ثلاثة معاني : القطع ، والسكون والراحة ، والتعظيم والاحترام . وهذه المعاني كلها تنطبق على كلمة السبت ، فما أفصح ألفاظ القرآن الكريم !.

الكلمة التاسعة : نكالا من قوله تعالى :

﴿ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾[3]

(نكالا لها ثلاثة تأويلات :

أحدها : عقوبة وهو قول ابن عباس .

والثاني : عبرة ينكل بها من رآها .

والثالث : أن النكال الاشتهار بالفضيحة)[4]

كلمة النكال لها ثلاثة معاني : العقوبة والعذاب ، عذاب شديد جدا بحيث يمنع غيره من الوقوع في نفس الفعل (منع الغير) هذا هو المعنى الثاني لكلمة النكال ، والمعنى الثالث :

---

(1) تنوير الأذهان من تفسير روح البيان للشيخ إسماعيل البروسوي : ج1/ 70 .

(2) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي : ج1/ 282 .

(3) من سورة البقرة 2 : (الآية / 66) .

(4) النكت والعيون للماوردي : ج1/ 136 .

الفضيحة حيث لا يتأتى معنى الاعتبار ومنع الغير إلا بالفضيحة كما قال تعالى: ﴿ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴾[1]

(وأصل ذلك من نكل أي منع ، لأن القيد يمنع عن الشيء ، ومنه نكلت به أي فعلت فعلا يمنع غيره من الوقوع في فعله ، والنكول عن اليمين : الامتناع منه ، والنكل أيضا : اللجام لأنه يمنع الدابة عن الجماح ، وقوله تعالى : ﴿ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا ﴾ أي فجعلنا العقوبة أو القرية المعاقبة أو الطائفة منعا لمن تقدمها أو تأخر عنها أن يرتكبوا مثل ما ارتكبوا ، والنكال : العذاب ، قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴾[2] ، أي تعذيبا عذابا يمنع الغير من الذنب)[3]

(نكل : أصل صحيح يدل على منع وامتناع ، وإليه يرجع فروعه ، ونكل عنه نكــولا ينكل، وأصل ذلك النِّكل : القيد وجمعه أنكال ، لأنه ينكُل أي يمنع ، والنكل : حديدة اللجام ، وهو ناكل عن الأمور : ضعيف عنها ، ومن الباب نكَّلت به تنكيلا ، ونكَّلت به نكالا ، ومعناه أنه فعل به ما يمنعه من المعاودة ويمنع غيره من إتيان مثل صنيعه)[4]

فالنكال هو العقوبة الشديدة المضعفة العاجزة المانعة من العمل ، (يقال : نكل عن الشيء: ضعف وعجز ، ونكلته : قيدته ، والنِّكل : قيد الدابة وحديدة اللجام لكونـــهما مانعين، والجمع الأنكال ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴾[5]، ونكّلت به: إذا فعلت به ما ينكّل به غيره ، واسم ذلك الفعل نكال ، قال تعالى: ﴿ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا ﴾ وقال : ﴿ جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ﴾[6])[1]

([1]) من سورة النور 24 : (الآية / 2) .
([2]) من سورة النساء 4 : (الآية / 84) .
([3]) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي : 593 ــــــــــــ594 .
([4]) معجم مقاييس اللغة : ج3/ 473 مادة نكل .
([5]) من سورة المزمل 73 : (الآية / 12) .
([6]) من سورة المائدة 5 : (الآية / 38) .

(والنكال : المنع ، ومنه النِّكل اسم للقيد من الحديد واللجام لأنه يمنع به ، وسمي العقاب نكالا لأنه يمنع به غير المعاقب أن يفعل فعله ، ويمنع المعاقب أن يعود إلى فعله الأول ، والتنكيل: إصابة الغير بالنكال ليُردع غيره ، ونكل عن كذا ينكل نكولا امتنع)[2]

إذن من معاني النكال في اللغة العربية المنع ، والعقاب ، والمعنى الثالث : الاشتهار بالفضيحة حيث هذا المعنى الثالث يجمع المعنيين : الأول والثاني أي العقوبة الشديدة المانعة من معاودة الذنب مرة أخرى للفاعل نفسه ولغيره من الناس . فهي العقوبة الرادعة والعبرة .

الكلمة العاشرة : وسطا من قوله تعالى :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾[3]

(وسط : الواو والسين والطاء بناء صحيح يدل على العدل والنصف ، وأعدل الشيء أوسطه ووسطه . قال الله عز وجل : ﴿ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ ، ويقولون : ضربت وسط رأسه بفتح السين ، ووسْط القوم بسكونها . وهو أوسطهم حسبا إذا كان في واسطة قومه وأرفعهم محلا)[4]

فكلمة الوسط تدل على النصف أي التوسط في الأمور ، وتدل على العدل أي عدم الزيادة والنقصان ، وتدل أيضا على الرفعة في الحسب والأفضلية .

(قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : يعني خيارا ، من قولهم فلان وسط الحسب في قومه إذا أرادوا بذلك الرفيع في حسبه .

---

(1) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني : 824 ــــــــــ 825 مادة نكل .

(2) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي : ج1/ 415 .

(3) من سورة البقرة 2 : (الآية / 143) .

(4) معجم مقاييس اللغة :ج3/ 108 مادة وسط .

والثاني : أن الوسط من التوسط في الأمور ، لأن المسلمين توسطوا في الدين ، فلا هم أهل غلوٍّ فيه ، ولا هم أهل تقصير فيه ، كاليهود الذين بدلوا كتاب الله وقتلوا أنبياءهم وكذبوا على ربهم ، فوصفهم الله تعالى بأنهم وسط ، لأن أحب الأمور إليه أوسطها .

والثالث : يريد بالوسط عدلا لأن العدل وسط بين الزيادة والنقصان ، وقد روى أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ أي عدلا)[1]

وهكذا يتبين لنا معاني كلمة الوسط التي أراد الله منها كل هذه المعاني ، ولهذا قال :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ يقال : هذا أوسطهم حسبا . والأمة المحمدية هي أفضل الأمم على الإطلاق فهي أوسطهم حسبا حيث نبيها ورسولها هو أفضل الأنبياء حسبا ونسبا .
وهذا هو المعنى الأول لكلمة الوسط (وهو الخيار والنفاسة والعزة) ، وأراد الله لهذه الأمة الوسط وهو العدل أي الوسط بين الزيادة والنقصان . فهي أمة عادلة في كل شؤونها ولا تحب الظلم ولا ترضى به . وهذا هو المعنى الثاني .

والمعنى الثالث : التوسط في الأمور ، في كل الأمور ، فلديها حسٌّ الموازنات والأولويات الفقهية، فلا هي من أهل الغلوّ مثل النصارى ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾[2] ، ولا هي من أهل التقصير مثل اليهود الذين بدلوا كتاب الله وقتلوا أنبياءهم وكذبوا على ربهم .

وهكذا نجد أن كل المعاني الثلاثة تنطبق وتندرج تحت كلمة الوسط ، ولهذا قال الله : ﴿ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ .

(وسط الشيء : ما له طرفان متساويا القدر ، والوسط تارة يقال فيما له طرفان مذمومان ، يقال : هذا أوسطهم حسبا ، إذا كان في واسطة قومه وأرفعهم محلا ، وكالجود الذي هو بين

([1]) النكت والعيون للماوردي : ج198/1 ـــــــ 199 .
([2]) من سورة الحديد 57 : (الآية / 27) .

البخل والسرف ، فيستعمل استعمال القصد المصون عن الإفراط والتفريط ، فيمدح به نحو السواء والعدل والنصفة نحو ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾)[1]

والوسط : العدل . ومنه قوله تعالى : ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ ﴾ [2] أي أعـــدلهم وخيرهم (وأصل ذلك أن خير الأشياء أوساطها ، والغلو والتقصير مذمومان ، وذكر ابن جرير الطبري أنه من التوسط في الفعل ، فإن المسلمين لم يقصروا في دينهم كاليهود فإنهم قتلوا الأنبياء وبدلوا كتاب الله ، و لم يغلوا كالنصارى فإنهم زعموا أن عيسى ابن الله)[3]

وهذه الوسطية هي ميزة وأفضلية للأمة المحمدية ، ولما كان الوسط مجانبا للغلو والتقصير كان محمودا ، أي هذه الأمة لم تغلُ غلو النصارى في أنبيائهم ، ولا قصروا تقصير اليهود في أنبيائهم . ووسط الوادي : خير موضع فيه وأكثره كلأ وماء ، وفلان من أوسط قومه ، وإنه لواسطة قومه ووسط قومه أي من خيارهم وأهل الحسب منهم ، وفي الحـــديث : { خير الأمور أوساطها }[4] ، والوسط اسم للمكان الواقع بين أمكنة تحيط به ، أو للشيء الواقع بين أشياء محيطة به ليس هو إلى بعضها أقرب منه إلى بعض ، ولما كان الوصول إليه لا يقع إلا بعد اختراق ما يحيط به أخذ معنى الصيانة والعزة . كوسط الوادي لا تصل إليه الرعاة والدواب إلا بعد أكل ما في الجوانب فيبقى كثير العشب والكلأ ، لأن المكان الوسط لا يصل إليه العدو بسهولة ، وكواسطة العقد لأنفس لؤلؤة فيه، فمن أجل ذلك صار معنى النفاسة والعزة والخيار من لوازم معنى الوسط فأطلقوه على الخيار النفيس.

(فالوسط في هذه الآية فسر بالخيار لقوله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾[5] ، وفسر بالعدول ، والجمع في التفسيرين هو الوجه ، والآية ثناء على المسلمين بأن الله قد ادخر لهم الفضل وجعلهم وسطا بما هيأ لهم من أسبابه في بيان الشريعة)[6]

([1]) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني / 869 مادة وسط .

([2]) من سورة القلم 68 : (الآية / 28) .

([3]) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي : ج1/154 .

([4]) مصنف ابن أبي شيبة : ج8/ 246 ، وشعب الإيمان للبيهقي : ج14/113 .

([5]) من سورة آل عمران 3 : (الآية / 110) .

([6]) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج2/ 18ـــــــــــ 19 .

فما أجمل ألفاظ القرآن الكريم وما أفصحها ! .

الكلمة الحادية عشرة : العفو من قوله تعالى :

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ﴾ [1]

(العفو : خيار كل شيء وأجوده)[2]

قال الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ﴾ [3]

فالله عز وجل أمر بإنفاق العفو الذي هو خيار كل شيء وأجوده ، والله طيب لا يقبل إلا طيبا، فمن معاني العفو : خيار الشيء وأجوده .

(العفو : القصد لتناول الشيء ، وقوله : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ﴾ أي ما يسهل إنفاقه ، وعفوت عنه : قصدت إزالة ذنبه صارفا عنه ، فالعفو هو التجافي عن الذنب ، قال

تعالى : ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ ﴾ [4])[5]

ومن معاني العفو : سهولة الإنفاق . (وفي قوله تعالى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ﴾ تأويلات منها :

أحدها : بما فضل عن الأهل .

والثاني : أنه الوسط في النفقة ، ما لم يكن إسرافا أو إقتارا)[1]

([1]) من سورة البقرة 2 : (الآية / 219) .

([2]) المعجم الوسيط /612 لإبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات مادة عفو .

([3]) من سورة البقرة 2 : (الآية / 267) .

([4]) من سورة الشورى 42 : (الآية / 40) .

([5]) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني : 574 مادة عفو .

فالله عز وجل أراد هذه المعاني الثلاث كلها في كلمة واحدة هي العفو ، فالدين يسر والله عز وجل قال : أنفقوا ما تيسر إنفاقه حيث يكون ما فضل وزاد عن نفقة الأهل الواجبة ثم ينـــفق ما تيسر ، والإنفاق يكون من أجود الشيء وأفضله وهذا من معاني العفو ، ويكون الإنفاق وسطا لا إسراف ولا تقتير . قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾[2] ، وقال جل شأنه : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴾[3]

فمن معاني العفو : الشيء الجيد ، والزيادة وما تيسر إنفاقه ، والاعتدال والوسط والاقتصاد في الإنفاق .

(والعفو هو ما ينفقه المرء دون أن يجهد نفسه وماله . ونحو هذا هي عبارة المفسرين ، وهو مأخوذ من عفا الشيء إذا كثر ، فالمعنى أنفقوا ما فضل من حوائجكم و لم تؤذوا فيه أنفسكم فتكونوا عالة ، روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : { ابدأ بنفسك فتصدق عليها ، فإن فضل شيء فلأهلك ، فإن فضل شيء عن أهلك فلذي قرابتك ، فإن فضل عن ذي قرابتك شيء فهكذا وهكذا }[4])[5]

ومن هذا التفسير نجد معنى من معاني العفو ، وهو الفضل والزيادة عن الحاجة وما تيسر إنفاقه وسهل دون أن يجهد نفسه وأهله لأنه فضل عن حاجته .

(والعفو مصدر عفا يعفو إذا زاد ونمى ، قال تعالى : ﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ ﴾[6] ، وهو هنا ما زاد على حاجة المرء من المال ، أي فضل بعد نفقته ونفقة عياله بمعتاد أمثاله ، فالمعنى أن المرء ليس مطالبا بارتكاب المآثم لينفق على المحاويج ، وإنما ينفق عليه مما

([1]) النكت والعيون للماوردي : ج278/1 .

([2]) من سورة الإسراء 17 : (الآية / 29) .

([3]) من سورة الفرقان 25 : (الآية / 67) .

([4]) رواه مسلم كتاب الزكاة باب الابتداء في النفقة رقم 997 ، ورواه النسائي : ج8/ 317 .

([5]) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية : ج1/ 295 .

([6]) من سورة الأعراف 7 : (الآية / 95) .

استفضله من ماله ، وهذا أمر بإنفاق لا يشق عليهم ، وهذا أفضل الإنفاق ، لأن مقصد الشريعة من الإنفاق إقامة مصالح ضعفاء المسلمين ، ولا يحصل منه مقدار له بال إلا بتعميمه ودوامه لتستمر منه مقادير متماثلة في سائر الأوقات ، وإنما يحصل التعميم والدوام بالإنفاق من الفاضل عن حاجات المنفقين ، فحينئذ لا يشق عليهم ، فلا يتـــركه واحد منهم ولا يخلون به في وقت من أوقاتهم، وهذه حكمة بالغة وأصل اقتصادي عمراني ، وفي الحـــديث : { خير الصدقة عن ظهر غنى، واليد العليا خير من اليد السفلى ، وابدأ بمن تعول } [1] ، وجعل الله العفو كله منفقا ترغيبا في الإنفاق ، وهذا دليل على أن المراد من الإنفاق هنا الإنفاق المتطوع به)[2]

وهنا معنيان من معاني العفو : ما زاد عن الحاجة وفضل عنها ، والتوسط في الإنفاق والاقتصاد فيه وعدم الإسراف ، ليستمر الإنفاق ولا يتوقف فسبحان الحكيم العليم .

(العفو : نقيض الجهد ، وهو أن ينفق ما لا يبلغ إنفاقه منه الجهد واستفراغ الوسع ، ويقال للأرض السهلة العفو { عن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلا أتاه ببيضة من ذهب أصابها في بعض المغازي فقال : خذها مني صدقة فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتاه من الجانب الأيمن فقال مثله فأعرض عنه ، ثم أتاه من الجانب الأيسر فأعرض عنه ، فقال : هاتها مغضبا ، فأخذها فخذفه بها خذفا لو أصابه لشجه أو عقره ، ثم قال : يجيء أحدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس ، إنما الصدقة عن ظهر غنى}[3])[4]

فالعفو من المال ما يسهل إنفاقه ، والجهد من المال ما يعسر إنفاقه ، والقدر المنفق إنما يكـــون إنفاقه سهلا إذا كان فاضلا عن حاجة نفسه وعياله ومن عليه مؤونته ، فيكون معنى : ﴿ قُلِ ٱلْعَفْوَ ﴾ أي أنفقوا العفو وهو نقيض الجهد وهو المشقة .

([1]) رواه مسلم باب الزكاة رقم الحديث :95 ، ج3/ 125 .

([2]) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج2/ 333 ــــــــــــ 334 .

([3]) رواه الدارمي : باب الزكاة /25 ، قال حسين سليم أسد في تعليقه على الدارمي : رجاله ثقات غير أن ابن إسحاق قد عنعن وهو مدلس ، ومسند أبي يعلى الموصلي : ج 5/ 138 ، وقال حسين سليم أسد : رجاله ثقات ، ورواه ابن خزيمة 2441(98/4) وقال الألباني : إسناده ضعيف ، ورواه ابن حبان 3372 (65/8) وقال شعيب الأرنؤوط : رجاله ثقات إلا أن فيه تدليس ابن إسحاق .

([4]) الكشاف للزمخشري : ج1/ 133 .

الكلمة الثانية عشرة : قانتين من قوله تعالى :﴿ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴾ [1]

(القنوت : لزوم الطاعة مع الخضـــوع ، وفـــسر بكل واحد منهما في قوله تعالى :

﴿ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ ﴾ [2] قيل : خاضعون ، وقيل : طائعون ، وقيل: ساكتون ، و لم يُعن به كل السكوت وإنما عني به ما قال عليه الصلاة والســـلام : { إن هذه الصلاة لا يصح فيها شيء من كلام الآدميين ، إنما هي قرآن وتسبيح } [3] ، وعلى هذا قيل: { أي الصلاة أفضل ؟ فقال : طول القنوت } [4] أي الاشتغال بالعبادة ورفض كل ما سواه)[5]

(واختلف في أصل القنوت على ثلاثة أوجه :

أحـــدها : أن أصله الدوام على أمر واحد ، والثاني : أصله الطاعة ، والثالث : أصله الدعاء)[6]

فمن معاني القنوت : الدوام على أصل واحد وهو طول القيام ، ومن معانيه الطاعة والخضوع ، ومن معانيه : الدعاء ، وكلها تنطبق على كلمة قانتين وكلها مرادة من الله في هذه الآية : ﴿ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴾ (﴿ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴾ أي طائعـــين ، فهو عبارة عن إكمال الطاعة وإتمامها، والاحتراز عن إيقاع الخلل في أركانها وسننها ، قيل : لكل أهل دين صلاة يقومون فيها عاصين ، فقوموا أنتم لله في صلاتكم طائعين ، وقيل : القنوت هو الدعاء والذكر ، بدليل : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ﴾[7] ، ولما أمر بالمحافظة على الصلوات وجب أن يحمل هذا القنوت على ما فيها من الذكر والدعاء ، فمعنى الآية : وقوموا لله داعين ذاكرين ، وقيل : إنما خص القنوت بصلاة الصبح والوتر لهذا المعنى ، وقيل : القنوت هو السكوت عما لا يجوز التكلم

([1]) من سورة البقرة 2 : (الآية / 238) .

([2]) من سورة الروم 30 : (الآية / 26) .

([3]) أخرجه مسلم : رقم الحديث /537 .

([4]) أخرجه مسلم : رقم الحديث / 756 .

([5]) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني : 684 ـــــــــــــ685مادة قنت .

([6]) النكت والعيون للماوردي : ج1/ 310 .

([7]) من سورة الزمر 39 : (الآية / 9) .

به في الصلاة ، ويدل على ذلك { ما روي عن زيد بن أرقم [1] قال : كنا نتكلم في الصلاة يكلم الرجل صاحبه وهو إلى جنبه في الصلاة حتى نزلـــت: ﴿ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴾ فأمرنا بالســـكوت ونهـــينا عن الكلام }[2] ، وقيل : القنوت: هو طول القيام في الصلاة)[3]

وهكذا يتبين لنا من هذا التفسير بعضا من معاني القنوت في اللغة العربية : مثل الطاعة والخضوع ، والذكر والدعاء وطول القيام في الصلاة مع السكوت ، لأن الكلام يبطل الصلاة، وهذا كان جائزا في بداية الأمر ثم حرمه الله وجعله من مبطلات الصلاة .

فالقنوت لله هو طاعة الله والخشوع وخفض الجناح وإطالة القيام والدعاء ، والعبد بكل ذلك لله مطيع وهو لربه فيه قانت ، والقنوت : أصله الطاعة لله .

فيكون معنى : ﴿ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴾ (وقوموا لله فيها مطيعين ، يترك بعضكم فيها كلام بعض وغير ذلك من معاني الكلام ، سوى قراءة القرآن فيها أو ذكر الله بالذي هو أهله أو دعائه فيها ، غير عاصين لله فيها بتضييع حدودها والتفريط في الواجب لله عليكم فيها وفي غيرها من فرائض الله)[4]

وهكذا يتبين لنا أن من معاني القنوت : الطاعة والخضوع ، والدعاء ، والقيام والدوام على شيء واحد .

(قانتين : قال الشعبي : طائعين ، وقال الضحاك : كل قنوت في القرآن فإنما يعني به الطاعة ، وقال مجاهد : معنى قانتين : خاشعين ، والقنوت : طول الركوع والخشوع وغض البصر وخفض الجناح . وقال الربيع[5] : القنوت طول القيام ، وروي عن ابن عباس : قانتين داعين ،

([1]) زيد بن أرقم : بن زيد بن قيس الأنصاري الخزرجي المدني ، غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع عشرة غزوة، توفي سنة 56 هـــ وله مناقب . ينظر تهذيب الأسماء واللغات : ج1/ 199 .

([2]) رواه البخاري : كتاب العمل في الصلاة 3 ، رقم الحديث : 1200 ، ج73/3 .

([3]) تفسير الخازن لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي : ج1/ 170 .

([4]) تفسير الطبري : ج2/ 587 .

([5]) الربيع بن خثيم الثوري يكنى أبا يزيد ، قال عبد الله للربيع بن خثيم : لو رآك رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحبك ، عن علقمة بن مرثد قال : انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين منهم الربيع بن خثيم .توفي 63 ه . ينظر صفة الصفوة : ج 3/ 40 .

وقال السدي[1] : قانتين : ساكتين ، وقيل : إن أصل القنوت في اللغة : الدوام على الشيء ، ومن حيث كان أصل القنوت في اللغة : الدوام على الشيء جاز أن يسمى مديم الطاعة قانتا ، وكذلك من أطال القيام والقراءة والدعاء في الصلاة أو أطال الخشوع والسكوت كل هؤلاء فاعلون للقنوت)[2]

الكلمة الثالثة عشرة : صرٌّ من قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ ﴾[3]

(وريـــــــــح صـــــــــرٌّ وصرصر شديـــــــــدة الصـــــــــوت أو البرد)[4] ، فمن معاني كلمة { صرّ } : الصوت الشديد والبرد كما قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ ﴾[5]

(والصرُّ : البرد والحر ، يقال : أصاب النبت صرٌّ إذا أصابه برد يضرُّ به ، والصرُّ صرُّ الريح الباردة ، وربما جعلوا في هذا الموضع الحرّ ، ومن معاني الصر: الصوت ، من ذلك الصرة: شدة الصياح)[6] ، قال تعالى : ﴿ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا ﴾[7] صرة أي صيحة .

(وفي الصر تأويلان : أحدهما : هو البرد الشديد ، والثاني : أنه صوت لهب النار التي تكون في الريح ، وأصل الصر صوت من الصرير)[8]

([1]) السدي : إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة ، الإمام المفسر أبو محمد الحجازي ثم الكوفي ، قال النسائي : صالح الحديث، وقال أحمد بن حنبل : ثقة ، توفي 127 . ينظر سير أعلام النبلاء :ج5/ 264ـــ 265 .

([2]) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج2/ 140ـــــــــ 141 .

([3]) من سورة آل عمران 3 : (الآية / 117) .

([4]) القاموس المحيط للفيروز أبادي : ج2/ 71 .

([5]) من سورة الحاقة 69 : (الآية /6) .

([6]) معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ج3/ 283 ـــــــــ 284 .

([7]) من سورة الذاريات 51 : (الآية / 29) .

([8]) النكت والعيون للماوردي : ج1 / 418 .

يظهر لنا معنـــى ثالثا من معاني الصر وهو لهب النار بالإضافة إلى الصوت الشديد والبرد.

وكلمة ريح في القرآن الكريم كله تدل على العذاب ما عدا مرة واحدة في القرآن من سورة يونس من قوله تعالى : ﴿ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾[1] ، لأن الله قيدها بقوله : ﴿ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾ ، أما كلمة الرياح في القرآن فهي مبشرة بالأمطار والخيرات ، وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : { اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا }[2]

(يبدو أن الشدة ملحوظة في الصرّ ، كما هي ملحوظة في الإصرار أي التشدد في التمسك بالشيء ، والصرة : الشدة من الكرب والحرب ، والصيحة من شدة الألم والكرب ، والصرير عزيف الريح وأشد الصياح .

ولعل أصـــل استعماله في الصِّرار : الرباط يشد على ضرع الناقة ليحبس لبنها فيجتمع ، وفي الصُّرة تشد على الدراهم وشبهها ، وحس الانكماش والتقبض ملازم لشدة البرد)[3]

إذن من دلالات كلمة الصر : الشدة بل شدة الألم والصوت والبرد والعذاب ، ومن دلالات الكلمة أيضا : معنى الانكماش والتقبض .

ولفظة { صر } وحيدة الصيغة في القرآن ، أما المضاعف منها { صرصر } ورد ثلاث مرات في القــــــــرآن صفـــــــة للريح التي أهلكت عادا ، أحد المواضع في سورة الحاقة المتقدم ذكرها ، والثاني : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ ﴾[4] ، والثالث : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴾[5] .

(وفي الصر ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه البرد ، قاله الأكثرون .

([1]) من سورة يونس 10 : (الآية / 22) .

([2]) المعجم الكبير للطبراني : ج9 /414 ، ورواه أبو يعلى : 2456 (341/4) قال حسين سليم أسد : إسناده ضعيف .

([3]) الإعجاز البياني للقرآن للدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ /590 .

([4]) من سورة فصلت 41 : (الآية / 16) .

([5]) من سورة القمر 54 : (الآية / 19) .

والثاني : أنه النار ، قاله ابن عباس . قال ابن الأنباري : وإنما وصفت النار بأنها صر لتصويتها عند الالتهاب .

والثالث : أن الصر : التصويت والحركة من الحصى والحجارة ، ومنه : صرير النعل ، ذكره ابن الأنباري)[1]

وهكذا كانت كلمة الصر لها ثلاثة معاني : البرد والتصويت والنار ، فالريح موصوفة بالآية بثلاثة أوصاف ، فهي ريح باردة ذات صوت شديد وفيها نار ، وقد وصف الله النار في القرآن الكريم بأن لها صوت شديد مثل قوله تعالى : ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾[2]، وقوله تعالى : ﴿ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ ﴾[3]

(قوله : ﴿ رِيحًا صَرْصَرًا ﴾ لفظه من الصر ، وذلك يرجـــــــع إلى الشـــــــد لما في البرودة من التعقـــــد)[4]

(قوله تعالى : ﴿ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ ﴾ أي شديدة البرودة ، هي من الصر وهو العقد المحكم ، ومنه الإصرار على الذنب لأنه تعقد في الذنب وشدَّ عليه وامتنع من الإقلاع عنه ، وأصله من الصر وهو الشد)[5]

فالشد والعقد المحكم نتيجة البرودة الشديدة ، وهي من معاني كلمة الصر .

({ فيها صرٌّ } الجمهور على أنه برد ، وقيل : صر صوت لهيب النار في تلك الريح)[6]

(والصرّ : البرد الشديد ، المحرق لكل ما يهب عليه وهو معروف ، قال ابن عباس وجمهور المفسرين : الصر البرد ، وتسميه العرب : الضريب ، وذهب الزجاج وغيره إلى أن اللفظة من

([1]) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي : ج445/1 .

([2]) من سورة الفرقان 25 : (الآية / 12) .

([3]) من سورة الملك 67 : (الآيتان / 7 ـــــــــــ 8) .

([4]) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني : 482 .

([5]) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي : 292 مادة صرر .

([6]) غرائب التفسير وعجائب التأويل لمحمود بن حمزة الكرماني : ج1/ 266 .

التصويت من قولهم : صرَّ الشيء ومنه الريح الصرصر ، قال الزجاج : فالصر صوت النار التي في الريح . قال القاضي : الصر هو نفس جهنم الذي في الزمهرير يحرق نحوا مما تحرق النار)[1]

وهكذا يتبين لنا جمال اللغة العربية ، وجمال القرآن الكريم حيث يكون للفظة الواحدة عدة معاني كلها مقصودة ومرادة من الله عز وجل .

الكلمة الرابعة عشرة : بعلها من قوله تعالى :

﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا ﴾[2]

كلمة بعل في اللغة لها ثلاثة معاني :

(فالأول : الصاحب ، يقال للزوج بعل ، وكانوا يسمون بعض الأصنام بعلا ، ومن ذلك البعال وه وملاعبة الرجل أهله ، والأصل الثاني : جنس من الحيرة والدهش ، يقال : بعِل الرجل إذا دهش، ولعل من هذا قولهم : امرأة بعِلة إذا كانت لا تحسن لبس الثياب .

والأصل الثالث : البعل من الأرض : المرتفعة التي لا يصيبها المطر في السنة إلا مرة واحدة)[3]

وهكذا تتوفر هذه المعاني الثلاث في الآية الكريمة حيث كلمة بعل تعني الصاحب وهو الزوج ، والزوج له درجة القوامة فهو مرتفع بتلك الدرجة ، وخوف المرأة من زوجها النشوز والإعراض يعني الحيرة والدهش .

والبعل هو السيد ، وسمي الزوج بعلا لأنه سيد المرأة . (والبعل : اسم زوج المرأة ، وأصل البعل في كلامهم السيد ، وقد سمى الكنعانيون معبودهم بعلا ، قال تعالى : ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[4] وسمي به الزوج لأنه ملك أمر عصمة زوجه ، ولان

([1]) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية : ج495/1 .

([2]) من سورة النساء 4 : (الآية / 128) .

([3]) معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ج1/ 264 ــــــــــ 265 .

([4]) من سورة الصافات 37 : (الآية / 125) .

الزوج كان يعتبر مالكا للمرأة وسيدا لها ، فكـــان حقيقا بهذا الاســـم ، وقد عـــبر القرآن بهذا الاسم في أغلب المواضع ، كقوله تعالى : ﴿ وَهَـٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًا ﴾[1]

وقيل : البعل الذكر ، وتسمية المعبود بعلا لأنه رمز إلى قوة الذكورة ، ولذلك سمي الشجر الذي لا يسقى بعلا)[2]

(البعل : الزوج ، والبعل أيضا : مالك الشيء وسيده ، وذلك أنهم تصوروا من بعل المرأة لما كان مستوليا عليها ومستعليا أنه مالكها ، سموا ربّ الشيء بعله ، يقال : هذا بعل هذه الدار ، قوله تعالى : ﴿ أَتَدۡعُونَ بَعۡلٗا ﴾ يعني إلها سوى الله ، وذلك لما تقدم م نتصورهم استعظام البعل بالنسبة إلى المرأة فسموا معبودهم المتقرب به إلى الله كما زعموا بعلا ، وســـماه بما كانوا يقولون : إنه سيدهم وعظيمهم ، قيل : كان صنما من ذهب وفضة ، وقيل : البعل من تجب طاعته وهو من معنى الزوج أيضا ، والبعل : الكلُّ على أهله ، وذلك لأن الكلَّ على غيره يستبعل عليه أمره ونهيه ، فسمي بعلا لذلك ، ولتصور الاستعلاء سموا الأرض العالية على غيرها بعلا ، والنخل الذي يشرب بعروقه بعلا ، ويصوَّر من البعل الذي هو النخل قيامه وثبوته في مكانه ، فقيل : بعل فلان بأمره إذا دهش وثبت في مكانه ثبوت النخل في مقره)[3]

فكلمة البعل تعطي معان كثيرة منها : الملك والسيادة والاستعلاء على الشيء والثبات في المكان .

وهكذا أراد الله للزوج أن تنطبق عليه هذه المعاني فهو سيد الأسرة ومالكها ، ومستعليا على المرأة بدرجة القوامة وثابتا في مكانه ، بمعنى أنه يحكّم عقله في الامور لا عاطفته .

(ولما تصور من الرجل الاستعلاء على المرأة فجعل سائسها والقائم عليها كما قـــــــــــــــــال تعالى: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ ﴾[4] سمي باسمه كل مستعلٍ على غيره ، فسمى العرب معبودهم الذي يتقربون به إلى الله بعلا لاعتقادهم ذلك فيه

([1]) من سورة هود 11 : (الآية / 72) .

([2]) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج2/ 374 .

([3]) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي /56 مادة بعل .

([4]) من سورة النساء 4 : (الآية / 34) .

في نحو قوله تعالى : ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[1] ويقـــال : أتانا بعل هذه الدابة أي المستعلي عليها ، وقيل للأرض المستعلية على غيرها بعل ، ولفحل النخل بعل تشبيها بالبعل من الرجال ، ولما عظم حتى يشرب بعروقه بعل لاستعلائه ، ولما كانت وطأة العالي على المستولى عليه مستثقلة في النفس ، قيل: أصبح فلان بعلا على أهله أي ثقيلا لعلوه عليهم ، وتصوِّر من البعل الذي هو النخل قيام هفي مكانه ، فقيل : بعل فلان بأمره : إذا أدهش وثبت مكانه ثبوت النخل في مقره وذلك كقولهم : ما هو إلا شجر فيمن لا يبرح)[2]

إذن سمي الزوج بعلا لعدة أسباب ومعان في اللغة العربية : منها الاستعلاء والارتفاع والاستثقال، وكذلك الدهشة والثبات في المكان .

(البعل : الأرض المرتفعة التي لا يصيبها مطر إلا مرة واحدة في السنة ، وقيل : البعل كل شجر أو زرع لا يسقى ، وقيل : البعل ما شرب بعروقه من الأرض بغير سقي من سماء ولا غيرها ، والبعل: المالك والرئيس ، وإنما زوج المرأة بعلا لأنه سيدها ومالكها . وتبعلت المرأة : أطاعت بعلها . وتبعّلت له : تزينت ، والبعل : صنم سمي بذلك لعبادتهم إياه كأنه ربهم ، والبعَل : الدهش عند الروع ، والبعْل : الكلُّ ، يقال : صــــــــــــــــار فلان بعلا عــــــلى قــــــــومه أي ثقلا وعيالا ، وبعَل على الرجل : أبى عليه)[3]

وهكذا تعددت معاني كلمة البعل : الزوج لأنه المالك والرئيس والمستعلي والمستثقل في النفس ، لأن النفوس لا تحب السيادة عليها .

الكلمة الخامسة عشرة : إمرا من قوله تعالى : ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ ﴾[4]

([1]) من سورة الصافات 37 : (الآية / 125) .

([2]) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني : 135 مادة بعل .

([3]) لسان العرب لابن منظور : ج11/ 57 ــــــــــــ 59 .

([4]) من سورة الكهف 18 : (الآية /71) .

(أمِرَ الأمرُ أي كبُر وكثُر نحو استفحل الأمر ، والائتمار المتشاور ، وأصله أن الائتمار قبول الأمر ، وذلك أن المتشاورين يقبلون أمر بعض بعضا ، ومنه : ﴿ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ﴾[1]

(والإمر بكـــسر الهمزة هو العظيم المفظع ، يقال : أمر كفرح إمرا ، إذا كثر في نوعه ، ولذلك فسره الراغب بالمنكر . لأن المقام دال على شيء ضار ، ومقام الأنبياء في تغيير المنكر مقام شدة وصراحة ، ولم يجعله نكرا كما في الآية بعدها لأن العمل الذي عمله الخضر ذريعة للغرق ولم يقع الغرق بالفعل)[2]

(والإمـــر في كلام العرب : الداهية ، وأصله كل شيء شديد كثير ، يقال : أمر القوم ، إذا كثروا واشتد أمرهم)[3]

(أمِر مأخوذ من الإمر وهو الفاسد الذي يحتاج إلى الصلاح ، ومنه رجل إمر إذا كان ضعيف الرأي لأنه يحتاج أن يؤمر حتى يقوي رأيه ، ومنه أمِر القوم إذا كثروا لأنهم يحتاجون إلى من يأمرهم وينهاهم)[4]

وهكذا نجد أن لفظة (إمرا) تعني ثلاثة دلالات : كبيرا وكثيرا ، والدلالة الثانية منكرا عظيما وفاسدا يحتاج إلى صلاح ، والدلالة الثالثة : عجبا .

(﴿ لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ ﴾ يقول : لقد جئت شيئا عظيما ، وفعلت فعلا منكرا)[5]

(وإمرا معناه : عجبا ، وقيل : منكرا ، وقيل : الداهية العظيمة)[6]

---

(1) من سورة القصص 28 : (الآية / 20) .

(2) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج15/ 111 .

(3) الكشـــف والبيان لأبي إسحاق أحمد بن محمد النيسابوري ، دار النشر ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان ، 1422هـــ2002م ، ج183/6تحقيق أبي محمد بن عاشور .

(4) النكت والعيون للماوردي : ج326/3 .

(5) تفسير الطبري : ج8 / 256 .

(6) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج11/ 15.

(﴿ لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ ﴾ وفيه ثلاثة أقوال : أحدهما منكرا قاله مــجاهد ، وقال الزجـــــــاج: عظيمــــــــا مــــــــــــــن المنكر ، والثاني : عجبا قاله قتادة وابن قتيبة ، والثالث : داهية قاله أبو عبيدة)[1]

فما أجمل ألفاظ القرآن الكريم وما أفصحها وما أكثر إعجازها ! .

الكلمة السادسة عشرة : معاجزين من قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾[2]

كلمة معاجزين لها ثلاثة معاني : (أحدها : مسابقين ، والثاني : معاندين ، والثالث : مراغمين مشاقين)[3]

(يقال : عاجزته وأعجزته جعلته عاجزا ، وقيل : معاجزين معناه : ظانين مقدرين أنهم يعجزوننا لأنهم حسبوا لا بعث ولا نشور فيكون ثواب وعقاب ، وهو في المعنى كقوله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ﴾[4] ، وقــيل : معاجزين للأنبياء وأولياء الله تعالى يمانعونهم ويقاتلونهم ليصدوهم عن أمر الله تعالى ، وقيل : معناه معاندين ، وقيل : سابقين أي يظنون أنهم يفوتوننا)[5]

من هنا يتبين أن كلمة معاجزين لها ثلاثة معاني : سابقين يظنون أنهم يفوتوننا ويعجزوننا لأنهم حسبوا لا بعث ولا نشور فيكون ثواب وعقاب ، المعنى الثاني : معاجزين للأنبياء وأولياء الله يمانعوهم ويقاتلونهم ليصدوهم عن أمر الله ، أما المعنى الثالث ك معاندين .

والكلمة فيها قراءتان : معجّزين وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو ، وهي اسم فاعل من عجّزه أي قاصدين التعجيز، ومعاجزين وهي قراءة جميع القراء ماعدا ابن كثير وأبي عمرو ، وهي اسم

---

[1] زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي : ج5/ 171 .

[2] من سورة سبأ 34 : (الآية / 5) .

[3] النكت والعيون للماوردي : ج4/ 433 .

[4] من سورة العنكبوت 29 : (الآية / 4) .

[5] عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ : 343 مادة عجز .

فاعل من عاجزه فأعجزه وعجزه إذا سابقه فسبقه ، لأن كلا من الفريقين يبطل إبطال حجج الخصم .

(معاجزين : معناه محاولين تعجيز قدرة الله فيهم)[1]

معناه يظنون أنهم يفوتون الله ويعجزونه فلا يحاسبهم وينتقم منهم ، سبحانه وتعالى عما يصفون.

(معاجزين : مســـابقين يحسبون أنهم يفوتوننا ، وأن الله لا يقدر على بعثهم في الآخرة ، وظنوا أنا نهملهم ، يقال: عاجزه وأعجزه إذا غالبه وسبقه)[2]

(قال ابن زيد في قول الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ سَعَوْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ ﴾ قال : جاهدين ليحبطوها أو يبطلوها ، قال : وهم المشركون وقرأ : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ٢٦ ﴾[3])[4]

(معاجزين : مبالغة في معجزين ، وهو تمثيل شبهت حالهم في مكرهم بالنبي صلى الله عليه وسلم بحال من يمشي مشيا سريعا ليسبق غيره ويعجزه)[5]

إذن معاجزين صيغة مبالغة ، فهم يجاهدون ويسابقون ويعاندون ويفعلون المستحيل لإطفاء نور الله ولكن هيهات . قال الله تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨ ﴾[6]

(والمعاجز : المسابق الطالب عجز مسايره عن الوصول إلى غايته وعن اللحاق به ، فصيغ له المفاعلة لأن كل واحد يطلب عجز الآخر عن لحاقه ، والمعنى أنهم بعملهم يغالبون رسول الله

---

(1) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية : ج4/ 405 .

(2) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج7 /167ـــــــــــ 168 .

(3) من سورة فصلت 41 : (الآية / 26) .

(4) تفسير الطبري : ج10/ 347 .

(5) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج22/ 15 .

(6) من سورة الصف 61 : (الآية / 8) .

صلى الله عليه وسلم وهم لا يشعرون أنهم يحاولون أن يغلبوا الله وقد ظنوا أنهم نالوا مرادهم في الدنيا ، و لم يعلموا مالهم من سوء العاقبة)[1] .

الكلمة السابعة عشرة : كظيم من قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾[2]

كظم الغيظ حبسه ، قال الله تعالى : ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ ﴾[3] ، والكظيم مبالغة للكاظم، والكظم: الإمساك النفساني ، أي كاظم للحزن لا يظهره بين الناس ، ويبكي في خلوته .

(كظـــم فلان غيظه : إذا تجرعه وهو قادر على الإيقاع بعدوه فأمسك عنه ، والكـــظم : مخرج النفس ، يقال : أخذ بكظمه إذا أخذ بحلقه ، والكُظوم : احتباس النـــفس ، ويعبر به عن السكوت، كما يعبرون عنه بقولهم : { حُبِس نفسه } ، قوله تعـــالى : ﴿ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ ﴾[4] ، أي مملوء كربا ، وقيل : بمنـــزلة من حبس نفسه ، قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾[5] ، أي ممسك على غيظ ، وكظم فلان خصمه إذا أجابه بجواب مسكت فأفحمه، ﴿ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ﴾[6] أي ممسكين على غيظ قد ملأ قلوبهم مع زوالها عن مقرها حتى صارت قريبة من أفواههم ، وقيل : كاظمين على قلوبهم خـــوف أن تخرج لأنها بلغت حد الخروج)[7]

(وهو كظيم أي حزين)

([1]) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج17/ 213 .
([2]) من سورة الزخرف 43 : (الآية / 17) .
([3]) من سورة آل عمران 3 : (الآية / 134) .
([4]) من سورة القلم 68 : (الآية / 48) .
([5]) من سورة الزخرف 43 : (الآية / 17) .
([6]) من سورة غافر 40 : (الآية / 18) .
([7]) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي : 492 مادة كظم .

(والكظيم : الممتلئ غيظا الذي قد رد غيظه إلى جوفه ، فهو يتجرعه ويروم رده ، وهذا محسوس عند الغيظ)[1]

فمن معاني كلمة كظيم : مملوء من الكرب والكآبة والحزن ، يقال : رجل كظيم ومكظوم : أي مكروب ، ومن معانيها : مملوء غيظا ، والمعنى الثالث : زوال القلب من مكانه من شدة امتلائه بالغيظ والغضب والسكوت .

(كظيم : أي حزين ، وقيل : مكروب ، وقيل : ساكت)[2]

والكظيم : الممسك عن الكلام كربا وحزنا ، إذن من معاني كلمة الكظيم : الساكت من شدة امتلائه بالحزن والكرب والغيظ والكآبة .

فما أجمل ألفاظ القرآن الكريم حيث يكون للفظة الواحدة عدة معاني مثل كلمة كظيم تعني : شدة الحزن والكرب والكآبة والامتلاء غيظا وغضبا ، والسكوت وزوال القلب من مكانه من شدة امتلائه بالغيظ .

الكلمة الثامنة عشرة : النجم من قوله تعالى : ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾ [3]

من معاني النجم في اللغة العربية ما يلي : (أحدها : أنها نجوم القرآن إذا نزلت لأنه كان ينـــزل نجوما .

والثاني : أنها النجوم المنقضة . وسببه أن الله تعالى لما أراد بعث محمد صلى الله عليه وسلم رسولا كثر انقضاض الكواكب قبل مولده ، فذعر أكثر العرب منها ، وفزعوا إلى كاهن لهم ضرير كان يخبرهم بالحوادث ، فسألوه عنها فقال : انظروا البروج الاثني عشر فإن انقض منها شيء فهو ذهاب الدنيا ، وإن لم ينقض منها شيء فسيحدث في الدنيا أمر عظيم ، فاستشعروا ذلك فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كان هو الأمر العظيم الذي استشعروه ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾ أي ذلك النجم الذي هوى ، هو لهذه النبوة التي حدثت)[4] .

---

(1) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية : ج5/ 49 .

(2) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج8/ 48 .

(3) من سورة النجم 53 : (الآية / 1) .

(4) النكت والعيون للماوردي : ج5/ 389 ــــــــــ 390 .

فالمعنى الأول لكلمة النجم : أي الجزء الذي ينـــزل على الرسول صلى الله عليه وســـلم من القرآن فهذا يسمى نجم وجمعه نجوم ، والمعنى الثاني : النجم المعروف في السماء .

﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾ (كان القرآن ينـــزل نجوما فأقسم الله بالنجم منه إذا نزل ، وقيل: أقسم بالنجم إذا سقط في الغور)[1]

(قيل : النجم ما لا ساق له كاليقطين والقثاء والبطيخ ، والشجر ما له ساق ، قوله تعالى :

﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾ قيل : أراد به جنس الكوكب ، فدل بالواحد على الجمع ، وقيل: أراد كوكبا بعينه وهو الثريا .

قيل : وإنما نص الله على هويه دون طلوعه ، لأن الطلوع قد فهم من نفس مادة النجم، يقال : نجم قرن الشاة أي طلع ، وقيل : أراد به القرآن ، وبهويّه نزوله على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأن القرآن نـــزل نجـــوما أي مفـــــــــرقا كقوله تعالى : ﴿ وَقُرۡءَانًا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ ﴾[2] ، وكذا لفظ النجوم يطلق على جمع النجم تارة وعلى المصدر أخرى ، ثم شبه طلوع النبات والرأي بطلوع الكوكب ، فقيل : نجم النبات ، والنبات نفسه نجم كما مر ، وإن اختص بنوع من النبات مما لا ساق له)[3]

تبين أن النجم له ثلاثة معاني : الكواكب والنجوم المعروفة ، والمعنى الثاني : القدر المنـــزل من القرآن ، والمعنى الثالث : النبات الذي لا ساق له .

(قيل : النجم الثريا ، قال عليه السلام : { إذا طلع النجم ارتفعت العاهات }[4] يعني الثريا ، والعرب تقول : إذا طلع النجم عشاء ، ابتغى الراعي كساء ، وقيل : هو نجوم القرآن إذا نزلت ، العجيب : هو نجم النبات إذا يبس ، وقيل : إذا علا ونما ، قال الشيخ : ويحتمل العالم إذا مات والمصلي إذا سجد ، والمجاهد إذا قتل ، فإنهم نجوم الأرض على ما جاء في الأخبار)[5]

---

(1) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة / 427 .

(2) من سورة الإسراء 17 : (الآية / 106) .

(3) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي /563 .

(4) رواه الإمام أحمد : ج341/2 . قال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط البخاري .

(5) غرائب التفسير وعجائب التأويل للشيخ محمود بن حمزة الكرماني : ج2/ 1151 ـــــــــ 1152 .

أضاف هذا الاقتباس أن النجم قد يكون بشرا صالحا فهو نجم مضيء ضمنا ومعنى .

(﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾ قال ابن عباس : يعني الثريا إذا سقطت وغابت ، والعـــرب تسمي الثريا نجما ، ومنه قولهم : إذا طلع النجم عشاء ابتغى الراعي كساء ، وقيل : هي نجوم السماء كلها وهويها غروبها ، فعلى هذا لفظه واحد ومعناه الجمع ، وروي عن ابن عباس : أنه الرجوم من النجوم وهي ما ترمى به الشياطين عند استراق السمع ، وقيل هي النجوم إذا انتثرت يوم القيامة ، وقيل : أراد بالنجم القرآن سمي نجما لأنه نزل نجوما متفرقة في عشرين سنة ، وهو قول ابن عباس أيضا ، وقيل : النجم هو النبت الذي لا ساق له ، وهويه سقوطه على الأرض ، وقيل : النجم هو محمد صلى الله عليه وسلم وهويه نزوله ليلة المعراج من السماء)[1]

فالأقوال الأربعة الأولى تدل على النجوم والكواكب ، ثم القول الذي بعده يدل على أن النجم هو القرآن ، والقول الذي بعده يدل على النبات الذي لا ساق له .

(﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾ قال ابن عباس ومجاهد : معنى ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾ والثريا إذا سقطت مع الفجر ، والعرب تسمي الثريا نجما ، وإن كانت في العدد نجوما ، وعن مجاهد أيضا أن المعنى والقرآن إذا نزل لأنه كان ينـــزل نجوما ، وعنه أيضا : يعني نجوم السماء كلها حين تغرب ، وهو قول الحسن قال : أقسم الله بالنجوم إذا غابت ، وليس يمتنع أن يعبر عنها بلفظ واحد ومعناه جمع ، وقال الحسن أيضا : المراد بالنجم النجوم إذا سقطت يوم القيامة ، وقيل : الجم هنا هو النبت الذي ليس له ساق ، وهوى أي سقط على الأرض)[2]

وهكذا تبين لنا أن أغلب التفاسير تدور على المعاني الثلاث لكلمة النجم : فهي غما النجم المعروف ، وإما الجزء المنجم من القرآن الكريم ، وإما النبات الذي ليس له ساق ، ولا تعارض بين هذه المعاني بل كلها مرادة من الله عز وجل في هذه اللفظة ، ولله الحمد والمنة .

الكلمة التاسعة عشرة : المقوين من قوله تعالى :

﴿ نَحۡنُ جَعَلۡنَٰهَا تَذۡكِرَةٗ وَمَتَٰعٗا لِّلۡمُقۡوِينَ ٧٣ ﴾[3]

---

(1) تفسير الخازن : ج4/190 .

(2) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج9/ 55ـ ـــــــــــ 56 .

(3) من سورة الواقعة 56 : (الآية / 73) .

(فإن مقوين التي هي جمع مقوٍ تأتي بمعنى النازل في القواء ، أي الصحراء ، وتأتي بمعنى الجائع ، وتأتي بمعنى المستمتع ، فالأعرابي الذي يعيش في البيداء فيتبادر إلى ذهنه المعنى الأول، ذلك أن النار تعتبر متعة كبرى للمقيمين في الصحراء ، إذ بها تتعارف منازلهم ، ويضيئون ما حولهم ، ومن حولها يتكامل ناديهم .

وأما الرجل العادي من أهل المدينة فيتبادر إلى فكره المعنى الثاني ، إذ إن أعظم فوائدها عندهم يتمثل في كونها وسيلة لا بد منها لإنضاج الطعام وتحضيره ، فهي متاع ضروري هام للمقوين أي الجائعين ، وأما المعنى الثالث فهو عبارة عن بطاقة مفتوحة مع تطورات العصور والأزمنة ، فما من لون من ألوان المتعة والفائدة التي تهتدي إليها المدنية أو العلم من النار وخصائصها إلا ويستوعبه قوله تعالى في وصفها : ﴿ وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴾ وهذا المعنى الثالث مما يمكن أن يفهمه الرجل العصري للآية دون أي تكلف في فهمها ولا تأويل)[1]

فكلمة المقوين لها ثلاثة معاني : المسافرين والجائعين والمستمتعين .

(﴿ وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴾ فيها أقاويل :

أحدها : منفعة للمسافرين ، قال الفراء : إنما يقال للمسافرين إذا نزلوا القيَّ وهي الأرض القفر التي لا شيء فيها .

الثاني : المستمتعين من حاضر ومسافر . قاله مجاهد .

الثالث : للجائعين في إصلاح طعامهم . قاله ابن زيد .

الرابع : الضعفاء والمساكين ، مأخوذ من قولهم : قد أقوت الدار إذا خلت من أهلها ، والعرب تقول: قد أقوى الرجل إذا ذهب ماله .

الخامس : أن المقوي الكثير المال مأخوذ من القوة فيستمتع بها الغني والفقير)[2]

فالقول الرابع داخل في الثالث ، فالضعفاء والمساكين هم جائعون ، والقول الخامس : داخل في الثاني المستمتعين من حاضر ومسافر وغني وفقير .

---

(1) منهج تربوي فريد للدكتور سعيد رمضان البوطي :30 ـــــــ 31 .

(2) النكت والعيون للماوردي : ج5/ 461 ـــــــ 462 .

(قوله تعالى : ﴿ تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ هم الذين فنى زادهم ، وحقيقتهم النازلون بالأرض القواء وهي القفر من الأرض ، يقال : أقوى الرجل أي صار في قوا كأترب إذا صار في التراب ، وقيل : إنما قيل لهم مقوون لأن من نزل بالقفر حصل له فقر ، وفي عبارة بعضهم : ويصور من حال الحاصل في القفر الفقر وه وتجانس بديع ، واقتويته أي استخدمته ، يقال : بيني وبين فلان ثوب فتقاويناه أي أعطيته به ثمنا أو أعطاني هو فأخذه أحدنا ، وقد اقتويت منه الغلام الذي كان بيننا أي اشتريت منه حصته)[1]

من هنا نصـــل إلى معنى من معاني كلمة المقوين وهو : الفقراء وهم الضعفاء والجائعون .

(للمقوين : للذين ينـــزلون القواء وهي القفر ، أو للذين خلت بطونهم أو مزاودهم من الطعام ، يقال : أقويت من أيام أي لم آكل شيئا)[2]

وفي هذا النص معنيان لكلمة المقوين : الأول : المسافرون ، والثاني : الجائعون الفقراء الذين خلت بطونهم .

(للمقوين : للذين ينـــزلون القواء وهي القفر من أقوى دخل القواء ، كأصحر دخل الصحراء ، وتخصيص المقوين بذلك لأنهم أحوج إليها ، فإن المقيمين أو النازلين بقرب منهم ليسوا بمضطرين إلى الاقتداح بالزناد .

وقيل : للمقوين أي المسافرين ، وقيل : للمقوين للفقراء يستضيئون بها في الظلمة ويصطلون من البرد ، كأنه تصور من حال الحاصل في القفر الفقر ، فقيل : أقوى فلان أي افتقر كقولهم أترب وأرمل ، وقيل للجائعين لأنهم أقوت أي خلت بطونهم ومزاودهم من الطعام فهم يحتاجون إليها لطبخ ما يأكلون . وقال عكرمة ومجاهد : المقوين : المستمتعين بها من الناس أجمعين (المسافرين والحاضرين) يستضيئون بها ويصطلون من البرد وينتفعون بها في الطبخ والخبز .

وعلى هذا القول : المقوي من الأضداد ، يقال للفقير : مقوٍ لخلوه من المال ، وللغني : مقوٍ لقوته على ما يريد ، يقال : أقوى الرجل إذا صار إلى حال القوة ، والمعنى : متاعا للأغنياء والفقراء لأنه لا غنى لأحد عنها)[3]

---

(1) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ : 476مادة قوو .

(2) الكشاف للزمخشري : ج61/4 .

(3) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي : ج27/ 150 .

وهكذا نخلص إلى معاني كلمة المقوين : المسافرون ، الجائعون الفقراء ، المستمتعون بها من جميع الفئات من الناس .

فما أبدع ألفاظ القرآن الكريم حيث للفظة الواحدة عدة معاني يريدها النص القرآني .

الكلمة العشرون : المهل من قوله تعالى :

﴿ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ۝٨ ﴾[1]

(والمهل : دردي الزيت وعكره ، في قول ابن عباس وغيره ، وقال ابن مسعود: ما أذيب من الرصاص والنحاس والفضة ، وقال مجاهد : كالمهل : كقيح من دم وصديد)[2]

(والمهل : عكر الزيت ، فالسماء لسوادها وانكدار أنوارها تشبه ذلك ، والمهل أيضا ماء أذيب من فضة ونحوها فيجيء له ألوان وتميع مختلط ، والسماء أيضا للأهوال التي تدركها تصير مثل ذلك)[3]

(قوله تعالى : ﴿ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ ﴾[4] قيل : هو ماء أذيب من الجواهر المعدنية كالنحاس والرصاص وغير ذلك ، وقيل : هو دردي الزيت ، وقيل : هو صديد جلود أهل النار . وفي التفسير يبتلون بعطش فيستغيثون فيؤتون بالمهل فإذا قرّبه إلى فيه سقطت فروة وجهه ، نسأل الله العظيم الإجارة من نار الجحيم ، ودلت الآية الأخرى على أنهم يشربونه وهو قوله تعالى: ﴿ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ۝٤٥ ﴾[5] فقد حصل في بطون القوم ويا بئس ما حصل)[6]

تبين مما سبق ثلاثة معاني لكلمة المهل : الأول : دردي الزيت وعكره ، والثاني : ما صهر وأذيب من الرصاص والنحاس والفضة ، والثالث : صديد جلود أهل النار .

---

(1) من سورة المعارج 70 : (الآية / 8) .

(2) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج9/185.

(3) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية : ج5 / 366 .

(4) من سورة الكهف 18 : (الآية / 29) .

(5) من سورة الدخان 44 : (الآية / 45) .

(6) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي : 554 مادة مهل .

وهكذا ألفاظ القرآن الكريم تؤدي معاني كثيرة ، وتخدم النص القرآني على أكمل وجه ، فما أعظم إعجاز القرآن الكريم .

المبحث الثالث : ما يحتمل أكثر من ثلاثة معاني

الكلمة الأولى : ويل من قوله تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾[1]

(1) من سورة البقرة 2 : (الآية / 79) .

للويل معان كثيرة منها : أنه العذاب والحزن والخزي والهوان والتقبيح وواد في جهنم والتحسر .

(ومن قال : ويل واد في جهنم فإنه لم يرد أن ويلا في اللغة هو موضوع لهذا ، وإنما أراد من قال الله تعالى ذلك فيه فقد استحق مقرا من النار وثبت ذلك له . قال عز وجل : ﴿ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾[1]، ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧ ﴾[1] ، ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾[2] ، ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ﴾[3])[4]

(الويل : القبوح والتعس ، وقد يستعمل على التحسر ، وويل استصغار ، ويل : تقال لمن يقع في هلكة يستحقها ولا تتـــرحم عليه ، والويل : الحزن والمكروه : والويل : المشقة من العذاب)[5]

إذن لكلمة الويل دلالات كثيرة منها : الاستصغار والمكروه وشدة العذاب ومشقته .

(الويل كلمة تقولها العرب لكل من وقع في هلكة ، وأصلها في اللغة : العذاب والهلاك، وقال ابن عباس : الويل : شدة العذاب)[6]

فالويل : المشقة من العذاب وشدة الشر والحزن ، والتفجع وأصله الهلكة ، وكل من وقع في هلكة دعـــا بالويـــل ، ومنه قوله تعالى :﴿ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ ﴾[7]

(قال الفراء : الأصل في الويل { وي } أي حزن ، كما تقول : وي لفلان أي حزن له)[8]

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ويل واد في جهنم ، يهوي فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ إلى قعره)[1]

---

(1) من سورة الجاثية 45 : (الآية / 7) .

(2) من سورة المطففين 83 : (الآية /1) .

(3) من سورة الهمزة 104 : (الآية / 1) .

(4) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني / 88 مادة ويل .

(5) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي : 646 مادة ويل .

(6) تفسير الخازن : ج1/ 62 .

(7) من سورة الكهف 18 : (الآية / 49) .

(8) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج8/2 .

الكلمة الثانية : لباس من قوله تعالى : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾ [2]

لفظة لباس لها معان كثيرة منها :

1) يستر العورة والمعايب ، وكذلك الزوجان يستر كل واحد منهما الآخر ، فلا يفشي أسراره ولا معايبه .

2) زينة ، وكذلك الزوجان كل واحد يكمل صاحبه ويزينه وهي سنة الحياة .

3) السكن والطمأنينة ، لأن كل واحد من الزوجين يسكن للآخر . قال الله تعالى :

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [3] ، وقال تعـــالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ ﴾ [4]

(وجُعل اللباسُ لكل ما يغطي من الإنسان عن قبيح ، فجُعل الزوج لزوجه لباسا من حيث إنه يمنعها ويصدها عن تعاطي قبيح ، قال تعالى : ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾ فسماهن لباسا .

وجعل التقوى لباسا على طريق التمثيل والتشبيه ، قال تعالى : ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ [5]) [6]

---

(1) رواه الترمذي : كتاب التفسير باب 22سورة الأنبياء ، ج5/300 ، رقم الحديث : 3164 ، ورواه أحمد:11730 (3/ 75) قال شعيب الأرنؤوط : إسناده ضعيف ، وابن حبان : 7467 (508/16) ، ورواه الحاكم : 8764 (4/ 639) وقال حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه .

(2) من سورة البقرة 2 : (الآية / 187) .

(3) من سورة الروم 30 : (الآية / 21) .

(4) من سورة النبأ 78 : (الآية / 10) .

(5) من سورة الأعراف 7 : (الآية / 26) .

(6) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني : 734 ـــــــــــــ 735 مادة لبس .

(وأصل اللبس الستـــر ، وكل شيء ستر شيئا فهو لباس له ، وقوله تعالى : ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ ﴾ نبَّه بذلك على شدة المخالطة وأن كلا من الزوجين بمنـــزلة اللباس للآخر ، وقريب منه قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾[1])[1]

فمن معاني اللباس الستر والتغطية ، فجعل الله كلا من الزوجين لباسا ، لانضمام الجسدين وامتزاجهما وتلازمهما تشبيها بالثوب ، وجائز أن يكون كل واحد منهما سترا لصاحبه عما لا يحل .

(فإن قال قائل : وكيف يكون نساؤنا لباسا لنا ونحن لهن لباسا ، واللباس إنما هو ما لبس ؟ قيل : لذلك وجهان من المعاني :

أحـــدهما : أن يكون كل واحد منهما جعل لصاحبه لباسا ، لتجردهما عند النوم ، واجتماعهما في ثوب واحد ، وانضمام جسد كل واحد منهما لصاحبه بمنـــزلة ما يلبسه على جسده من ثيابه ، فقيل لكل واحد منهما : هو لباس لصاحبه .

والوجـــه الآخر : أن يكون جعل كل واحد منهما لصاحبه لباسا لأنه سكن له ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴾[2] يعني بذلك سكنا تسكنون فيه ، وكذلك زوجة الرجل سكنه يسكن إليها ، كما قال تعالى ذكره : ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾[3] فيكون كل واحد منهما لباسا لصاحبه ، بمعنى سكونه إليه .

وقد يقال لما ستر الشيء وواراه عن أبصار الناظرين إليه هو لباسه وغشاؤه ، فجائز أن يكون قيل : ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾[4] بمعنى أن كل واحد منكم ستـــر لصاحبه عن أبصار سائر الناس)[5]

---

(1) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي : مادة لبس / 512 .

(2) من سورة الفرقان 25 : (الآية / 47) .

(3) من سورة الأعراف 7 : (الآية / 189) .

(4) من سورة البقرة 2 : (الآية / 187) .

(5) تفسير الطبري : ج2/ 168ـــــــــــــــ 169 .

يتبين لنا مما سبق ثلاثة معاني لكلمة اللباس : الاجتماع والانضمام حيث يكون اللباس مجتمعا ومنضما على صاحبه تماما ، والمعنى الثاني : السكن والراحة والطمأنينة ، وكذلك الزوجان ، والمعنى الثالث : الستر والحماية وحجب المعايب عن أبصار الناس .

(قوله : ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾ نزلهن مع الرجال منـــزلة اللباس لما بينهما من الاجتماع والتضام .

الغريب : هن لباس لكم أي سكن من قوله : ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾[1] ، ثم سمـــاها لباســـا ، كما ســـمى اللـــيل سكنا في قوله : ﴿ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا ﴾[2] ، ثم سماه لباسا فقال : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ ﴾[3])[4]

وهكذا جعل الله كلا من الرجل والمرأة لباسا للآخر لتجردهما عند النوم واعتناقهما واشتمال كل منهما على الآخر ، أو لأن كلا منهما يستر صاحبه ويمنعه من الفجور ، أو المعنى هن سكن لكم وأنتم سكن لهن كما قال تعالى : ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ ولا يسكن شيء إلى شيء كسكون أحد الزوجين إلى الآخر .

<u>الكلمة الثالثة :</u> حسنة من قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾[5]

(حسنة : فيها أربعة تأويلات :

أحدها : العافية في الدنيا والآخرة . وهو قول قتادة .

والثاني : أنها نعم الدنيا ونعم الآخرة وهو قول أكثر أهل العلم .

---

(1) من سورة الأعراف 7 : (الآية / 189) .

(2) من سورة الأنعام 6 : (الآية / 96) .

(3) من سورة النبأ 78 : (الآية / 10) .

(4) غرائب التفسير وعجائب التأويل للشيخ محمود بن حمزة الكرماني : ج200/1 .

(5) من سورة البقرة 2 : (الآية / 201) .

والثالث : أن الحسنة في الدنيا العلم والعبادة ، وفي الآخرة الجنة ، وهو قول الحسن والثوري.
والرابع : أن الحسنة في الدنيا المال ، وفي الآخرة الجنة ، وهو قول ابن زيد والسدي)[1]

من هنا نصل إلى أن الحسنة لها دلالات كثيرة منها : العافية والنعم والعلم والعبادة والمال.

قال الحافظ ابن كثير : (جمعت هذه الدعوة كل خير في الدنيا وصرفت كل شر ، فإن الحسنة في الدنيا تشمل كل مطلوب دنيوي من عافية ودار رحبة وزوجة حسنة ورزق واسع وعلم نافع وعمل صالح ومركب هين وثناء جميل إلى غير ذلك مما اشتملت عليه عبارات المفسرين ، ولا منافاة بينها فإنها كلها مندرجة في الحسنة في الدنيا ، وأما الحسنة في الآخرة فأعلى ذلك دخول الجنة وتوابعه من الأمن من الفزع الأكبر في العرصات وتيسير الحساب وغير ذلك من أمور الآخرة الصالحة)[2]

ولذلك ورد في السيرة النبوية أن أكثر دعاءين كان يدعو بهما النبي صلى الله عليه وسلم:

أ) ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾[3]

ب) {يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك }[4]

(والحسنة يعبر عنها عن كل ما يسر من نعمة تنال الإنسان في نفسه وبدنه وأحواله)[5]

ولأن كلمة حسنة نكرة جمعت معان أكثر ، فالنكرة تدل على العموم ، (روي عن علي ابن أبي طالب أن الحسنة في الدنيا المرأة الحسناء وفي الآخرة الحور العين ، وقال قتادة : حسنة الدنيا

---

(1) النكت والعيون للماوردي : ج1/ 263 .

(2) تفسير القرآن العظيم لابن كثير : ج243/1 ــــــــــــ 244 .

(3) من سورة البقرة 2 : (الآية / 201) .

(4) رواه الترمذي كتاب القدر باب 7 ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن ، ج 4/ 390 رقم الحديث 2140 . وقال حديث حسن وقال الألباني صحيح ، ورواه البخاري في الأدب المفرد 683 (237) قال الألباني صحيح ، ورواه أحمد : 17667 (4/ 82) قال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين ، ورواه أبو يعلى : 2318 (207/4) قال حسين سليم أسد : إسناده صحيح على شرط مسلم ، ورواه ابن حبان : 943 (222/3) قال شعيب : إسناده صحيح .

(5) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني /235 .

العافية في الصحة وكفاف المال ، وقال الحسن : حسنة الدنيا العلم والعبادة ، والذي عليه أكثر أهل العلم أن المراد بالحسنتين نعم الدنيا والآخرة وهذا هو الصحيح ، فإن اللفظ يقتضي هذا كله ، فإن حسنة نكرة في سياق الدعاء فهو محتمل لكل حسنة من الحسنات على البدل ، وحسنة الآخرة : الجنة بإجماع ، وقيل : لم يرد حسنة واحدة بل أراد : أعطنا في الدنيا عطية حسنة)[1]

فسبحان الله لفظة واحدة (حسنة) تقتضي كل هذه المعاني وجميع محابّ الدنيا .

فالحسنة هي العلم والعبادة ، والعافية وكفاف المال والعلم والعبادة والتوفيق للخير ، والنعم كلها تندرج تحتها . والحسنة جامعة لكل الخيرات في الدارين (قال أبو القاسم الحكيم [2] : حسنة الدنيا عيش على سعادة ، وموت على شهادة ، وحسنة الآخرة بعث من القبر على بشارة ، وجواز على الصراط على سلامة)[3]

الكلمة الرابعة : حرث من قوله تعالى : ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ ﴾ [4]

(الحرث : إلقاء البذر في الأرض وتهيؤها للزرع ويسمى المحروث حرثا ، قال الله تعالى : ﴿ أَنِ ٱغْدُواْ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [5] وتصوّر منه معنى العمارة التي تحصل عنه في قوله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ ﴾[6] وتصور معنى الكسب منه ، وتصور معنى التهيج من حرث الأرض ، فقيل : حرثت النار ، ولما تهيج به النار محرث،

---

(1) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج2/ 286 .

(2) أبو القاسم الحكيم : إسحاق بن محمد بن إسماعيل السمرقندي ، قاض حنفي ، من كتبه الصحائف الإلهية ، والسواد الأعظم في التوحيد ، توفي 345هـ . ينظر الأعلام للزركلي : ج296/1 .

(3) تنوير الأذهان من تفسير روح البيان للشيخ إسماعيل البروسوي : ج1/ 157 .

(4) من سورة البقرة 2 : (الآية / 223) .

(5) من سورة القلم 68 : (الآية / 22) .

(6) من سورة الشورى 42 : (الآية / 20) .

ويقال : احرث القرآن أي أكثر تلاوته ، وقال عز وجل : ﴿ نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡ ﴾[1] وذلك على سبيل التشبيه فبالنساء زرع ما فيه بقاء نوع الإنسان ، كما أن بالأرض زرع ما به بقاء أشخاصهم ، وقوله عز وجل : ﴿ وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَ ﴾[2] يتناول الحرثين)[3]

فكلمة الحرث في اللغة العربية لها عدة دلالات منها : إلقاء البذر في الأرض ، وهذه هي الدلالة المشهورة والمعروفة لكلمة الحرث وهي الزراعة ، والعمارة ، أي عمارة الأرض بالأعمال الصالحة ، والكسب كما يقال : احرث دنياك لآخرتك فالدنيا مزرعة الآخرة ، والتهيج يقال: حرثت النار أي أثرتها وهيجتها .

(حرث : الحرث الإثارة والتفتيش ، ومنه حرث الأرض وهو إثارتها ، وقيل : الحرث إلقاء البذر في الأرض وتهيئتها للزراعة ، ويطلق على نفس المحروث ، وتصور منه العمارة التي تحصل عنه في قوله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا ﴾[4] فسمى ما يكدح له الإنسان من الأعمال الموصلة إلى الثواب والعقاب حرثا لأن نتيجته عمارة ما قصد به الحارث ، ويعبر به عن الكسب ، لأن كل أحد لا بد أن يحرث أي يكتسب ، إما لأمر دنياه أو لأمر آخرته ، وكل أحد لا بد أن يهمَّ إما بخير أو بشر ، وقوله تعالى : ﴿ نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ ﴾[1] سماهن حرثا على الاستعارة البليغة فإنهن بمنزلة الأرض المبتغى منها طلوع البذر ونموه ، وجعل النطف الملقاة من أصلاب الرجال في أرحامهن بمنزلة البذر ، وهذا في غاية الفصاحة والبلاغة ، وتصور من الحرث معنى التهيج ، فقيل : حرثت النار)[5]

---

(1) من سورة البقرة 2 : (الآية / 223) .

(2) من سورة البقرة 2 : (الآية / 205) .

(3) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني / 226 مادة حرث .

(4) من سورة الشورى 42 : (الآية / 20) .

(5) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 115 ، مادة حرث .

يضاف إلى معاني الحرث السابقة معنى إضافيا وهو : الإثارة والتفتيش ، وفي عملية الحرث لا بد من إثارة الأرض لحراثتها وإلقاء البذر فيها .

(والحرث : العمل للدنيا والآخرة ، والحرث : كسب المال وجمعه ، والحرث : الثواب والنصيب ، والحرث : التفتيش)[1]

قال الطبري في تفسيره : (﴿ نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ ﴾ نساؤكم مزدرع أولادكم ، فأتوا مزدرعكم كيف شئتم وأين شئتم .

وإنما عنى بالحرث المزدرع ، والحرث هو الزرع ، ولكنهن لما كن من أسباب الحرث جعلن حرثا)[2]

(وتشبيه النساء بالحرث تشبيه لطيف كما شبه النسل بالزرع في قول أبي طالب في خطبته خديجة للنبي صلى الله عليه وسلم : " الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل ")[3]

(﴿ نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ ﴾ أي موضع حرث ، وهذا تشبيه شبه اجتماع الزوجين بالزراعة ، والنطفة بالبذرة ، والرحم بالأرض ، والولد بالنبات)[4]

وهكذا تكون كلمة الحرث شاملة لكل المعاني المذكورة ، فالمرأة حرث بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى فهي مكان لإلقاء البذور في رحمها ، بعد إثارة وتهيج ثم الحرث يعني الكسب والجمع والعمل ، حيث أن الجنين يجمع خلقه في رحم المرأة ، وبعدها تبدأ المرأة في العمل والكسب ثم تكون العمارة بهذا النسل الصالح ، والمرأة حرث فهي خير متاع الدنيا ، والدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة .

والمرأة حرث أي نصيب حيث أن هؤلاء الأولاد رزق من الله ونصيب ، وقد لا يكون أولاد بعد هذا الحرث ، قال الله تعالى : ﴿ لِّلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن

---

(1) لسان العرب لابن منظور : مادة حرث / 134ـــــــ 135 .

(2) تفسير الطبري : ج2/ 404 .

(3) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج2/ 353 .

(4) غرائب التفسير وعجائب التأويل لمحمود بن حمزة الكرماني : ج214/1 .

﴿ يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ٤٩ أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانٗا وَإِنَٰثٗاۖ وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٞ قَدِيرٞ ٥٠ ﴾[1] كما أن الإنسان يحرث أي يلقي البذور في الأرض وقد تنبت أو لا تنبت ، كما قال الله عز وجل : ﴿ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَحۡرُثُونَ ٦٣ ءَأَنتُمۡ تَزۡرَعُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ٦٤ ﴾[2] .

الكلمة الخامسة : مراغما من قوله تعالى :

﴿ ۞ وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗۚ ﴾[3]

مراغما : سعة ومذهبا ومنفسحا (المراغَم والمهاجَر واحد ، تقول : راغمت وهاجرت قومي ، وأصله أن الرجل كان إذا أسلم خرج عن قومه مراغما لهم ، أي مغاضبا ومهاجرا أي مقاطعا من الهجران ، فقيل للمذهب مراغم ، وللمصير إلى النبي صلى الله عليه وسلم هجرة لأنها كانت هجرة الرجل قومه)[4]

فالرجل كان إذا أسلم ثم هاجر أوجد الله له مراغما أي مكانا وسعة يعبد الله فيها . بل أكثر من مكان ، فأرض الله واسعة ، قال الله تعالى : ﴿ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ ﴾[5] ، وكذلك من معاني المراغم أن المهاجر أرغم قومه أي جعلهم يضعون أنوفهم في الرغام أي التراب قهرا وذلا وهوانا ، حيث فاتهم هذا المهاجر وهرب منهم و لم يستطيعوا إمساكه أو تعذيبه لأنهم لا يريدون للإسلام أن ينتشر حقدا وحسدا .

---

(1) من سورة الشورى 42 : (الآيتان / 49 ـــــــــ 50) .
(2) من سورة الواقعة 56 : (الآيتان / 63 ـــــــــ 64) .
(3) من سورة النساء 4 : (الآية / 100) .
(4) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة : 134 .
(5) من سورة النساء 3 : (الآية / 97) .

(الرَّغام : التراب الدقيق ، ورغم أنف فلان رغما : وقع في الرَّغام ، وأرغمه غيره ، ويعبر بذلك عن السخط ، وعلى هذا قيل : أرغم الله أنفه وأرغمه أسخطه وراغمه ساخطه ، وتجاهدا على أن يُرغم أحدهما الآخر ، ثم تستعار المراغمة للمنازعة ، قال الله تعالى : ﴿ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾[1] أي مذهبا يذهب إليه إذا رأى منكرا يلزمه أن يغضب منه كقولك : غضبت إلى فلان من كذا ورغمت إليه)[2]

فمن معاني الرغام : التـــراب الدقيق ، والسخط والغضب بسبب الكفر والمعاصي والمنكرات ، والمنازعة والمخاصمة ، والإجبار والإكراه .

(مراغما كثيرا : أي مذهبا ومضطربا ، وأصله من الرغام وهو التراب الدقيق ، ومنه رغم أنف فلان أي وقع في الرغام ، يكنى بذلك عن الإذعان والذلة)[3]

فمن معاني الرغام أيضا : الإذعان والذلة والانقياد . (مراغما : مهاجرا وطريقا يراغم بسلوكه قومه أي يفارقهم على رغم أنوفهم ، والرغم : الذل والهوان ، وأصله لصوق الأنف بالرغام وهو التراب ، يقال : راغمت الرجل إذا فارقته ، وهو يكره مفارقتك لمذلة تلحقه بذلك)[4]

فالمراغم : يفارق قومه رغم أنوفهم أي غصبا عنهم وبدون رضاهم بل على كره منهم .

(مراغما كثيرا : أي متحولا يتحول إليه ومهاجرا ، وإنما عبر عنه بذلك تأكيدا للترغيب إلى ما يكون سببا لرغم أنف قومه الذين هاجرهم ، والرغم : الذل والهوان ، وأصله لصوق الأنف بالرغام وهو التراب ، ولما كان الأنف من جملة الأعضاء في غاية العزة والتـــراب في غاية الذلة ، جعل قولهم : رغم أنفه كناية عن الذلة)[5]

وهكذا أدت لفظة (مراغما) معان كثيرة ودلالات متعددة .

---

(1) من سورة النساء 3 : (الآية / 100) .

(2) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني / 359 مادة رغم .

(3) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 206 .

(4) الكشاف للزمخشري : ج1/ 292 .

(5) تنوير الأذهان من تفسير روح البيان للشيخ إسماعيل حقي البروسوي :ج1/ 369 .

الكلمة السادسة : فاكهون من قوله تعالى :

﴿إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٖ فَٰكِهُونَ ٥٥﴾[1]

(فكه : الفاء والكاف والهاء أصل صحيح يدل على طيب واستطابة . من ذلك الرجل الفكه : الطيب النفس ، ومن الباب : الفاكهة لأنها تستطاب وتستطرف ، ومن الباب : المفاكهة وهي المزاحة وما يستحلى من كلام .

ومن الباب : أفكهت الناقة والشاة إذا درَّتا عند أكل الربيع وكان في اللبن أدنى خثورة وهو أطيب اللبن)[2]

من معاني كلمة فاكهون : طيبون جسما ونفسا ، مازحون مرحون ، فرحون ضاحكون.

(فأما فاكهون ففيه أربعة أقوال : أحدها : فرحون قاله ابن عباس ، والثاني معجبون قاله الحسن وقتادة ، والثالث : ناعمون قاله مقاتل[3] . والرابع : ذوو فاكهة كما يقال : فلان لابنٌ تامرٌ قاله ابن قتيبة)[4]

والفكه الذي يتفكه ، تقول العرب للرجل إذا كان يتفكه بالطعام أو بالفاكهة أو بأعراض الناس: إن فلانا لفكهٌ بكذا ، أي يتسلى ويتلذذ ويستمتع . ورجل فكه أي طيب النفس ضحوك .

فمن معاني كلمة فاكهون : فرحون ، معجبون ، ناعمون ، ذوو فاكهة ، طيبو النفس ضحوكون متلذذون .

وهذه المعاني متحققة في أهل الجنة جعلنا الله وإياكم من أهلها .

(والفـــــــــــــــــــاكهون الذين تكثر عندهم الفواكه ، وكذلك التامر واللابن الذي كثر عنده اللبن والتمر)[5]

---

(1) من سورة يس 36 : (الآية / 55) .

(2) معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ج2/ 446 .

(3) مقاتل : بن سليمان البلخي ، أبو الحسن كبير المفسرين ، يروي عن مجاهد والضحاك وعطاء وابن سيرين ، مات سنة نيف وخمسين ومائة . ينظر سير أعلام النبلاء 7/ 201 ــــــــ 202 .

(4) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي : ج7/ 28 .

(5) غريب القرآن وتفسيره لعبد الله بن يحيى اليزيدي / 312 .

(فاكهون : أي مسرورون بما يعمهم الله تعالى في الآخرة بما تحملوا من مشاق الصبر على عمل الطاعات واجتناب المعاصي ، وهو مأخوذ من لفظ الفاكهة لأن بها يحصل التلذذ، والفاكه المازح ، وقوله تعالى : ﴿ وَنَعْمَةٍ كَانُواْ فِيهَا فَكِهِينَ ﴾ [1] أي ناعمين ، وقيل: الفاكه : ذو الفاكهة نحو لابن وتامر ، والفاكه ما يتفكه بـــه من الثـــمار)[2]

من معاني كلمة فاكهون : مسرورون ، ناعمون ، مازحون ، متلذذون ، ذوو فاكهة كثيرة، كما قال الله تعالى : ﴿ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ [3]

(فاكهون : من الفكاهة بفتح الفاء وهي طيب العيش والنشاط بالتنعم ، وأما الفكاهة بالضم فالمزاح ، والمعنى متنعمون بنعيم مقيم ، فائزون بملك كبير ، متلذذون في شغل شاغل ، فشغلهم شغل التلذذ ، لا شغل فيه تعب كشغل أهل الدنيا ، وقد فُسِّر على وجوه منها : سماع الأصوات الطيبة والنغمات اللذيذة ، ومنها سماع الأوتار وسماع أصوات الحور الأبكار والأوراق والأشجار ، والظاهر أن المراد بالشغل ما هم فيه من فنون الملاذ التي تلهيهم عما عداها بالكلية)[4]

فريق من العلماء قال : فاكهون وفكهون بمعنى واحد ، وبعضهم فرَّق ، والفرق بسيط لتشابه بنيتي الكلمة .

فالذين قـــالوا إنهما بمعنى واحد ما سبق ذكره ينطبق على الكلمتين ، والذين فرقوا قالوا : فاكهون معناه أصحاب فاكهة كما تقول : لابن وتامر وشاحم ولاحم ، وفكهون معناه : طربون فرحون مأخوذ من الفكاهة أي لاهمَّ لهم .

---

(1) من سورة الدخان 44 : (الآية / 27) .

(2) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 432 .

(3) من سورة الواقعة 56 : (الآيتان / 32 ـــــــ 33) .

(4) تنوير الأذهان من تفسير روح البيان للشيخ إسماعيل حقي البروسوي : ج318/3 .

الكلمة السابعة : متشاكسون من قوله تعالى : ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ﴾[1]

التشاكس : الاختلاف ، وشركاء متشاكسون أي بينهم اختلاف وتنازع .

(متشاكسون : قال الفراء : أي مختلفون ، وقال المبرد : أي متعاسرون من شكُس يشكس فهو شكس . والتشاكس والتشاخس : الاختلاف ، يقال : تشاكست أحواله وتشاخست أسنانه ، ويقال : شاكسني فلان أي ماكسني وشاحَّني في حقي . قال الجوهري: رجل شكس بالتسكين أي صعب الخلق)[2]

من معاني كلمة متشاكسون : متعاسرون ، مختلفون ، متظالمون ، حيث يمنعون حقوق بعضهم، صعبة أخلاقهم .

متشاكسون : متنازعون مختلفون سيئة أخلاقهم ، والشكس : السيء الخلق المخالف للناس لا يرضى بالإنصاف .

(متشاكسون : أي مختلفون متشاجرون ، وأصله من شكس خلقه إذا ساء وضاق ، وخلق شكس أي ضيق ، والمعنى : أنهم مختلفون يختصمون أبدا ، ولا يتفقون لشكاسة أخلاقهم ، ويقال فيه التشاحن أيضا)[3]

يضيف هذا النص إلى معاني كلمة متشاكسون : متشاجرون ومتشاحنون ، وقد كانت هذه اللفظة مناسبة للسياق القرآني لتؤدي كل هذه المعاني ، حيث مثل الله تعالى الكافر والعابد للأوثان والشياطين لرجال عدة ، في أخلاقهم شكاسة ونقص وعدم مسامحة ، فهم لذلك يعذبون ذلك العبد بأنهم يتضايقون في أوقاتهم ، ويضايقون العبد في كثرة العمل فهو أبدا ناصب ، فكذلك عابد الأوثان الذي يعتقد أن ضره ونفعه عندها ، فهو يرضي صنما في زعمه ، ويتفكر كيف يرضي صنمه الآخر فهو أبدا في تعب وفي ضلال .

(متشاكسون : فيه أربعة أوجه :

---

(1) من سورة الزمر 39 : (الآية / 29) .

(2) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج8/ 164.

(3) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 274 .

أحـــدها : متنازعون قاله قتادة . الثاني : مختلفون . الثالث : متعاسرون ، الرابع : متظالمون ، مأخوذ من قولهم : شكسني مالي ، أي ظلمني)[1]

متشاكسون : متضايقون ، والشكس : الضيق من الرجال ، والتشاكس : شدة الاختلاف ، وشدة الاختلاف في الرجل : الاختلاف في استخدامه وتوجيهه .

(وهذه الكلمة تمثيل لحال المشرك في تقسم عقله بين آلهة كثيرين ، فهو في حيرة وشك من رضى بعضهم عنه وغضب بعض ، وفي تردد عبادته إن أرضى بها أحد آلهته ، لعله يغضب بها ضده، فرغباتهم مختلفة ، وبعض القبائل أولى ببعض الأصنام من بعض ، قال تعالى : ﴿ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ ﴾[2] ويبقى هو ضائعا لا يدري على أيهم يعتمد ، فوهمه شعاع، وقلبه أوزاع بحال مملوك اشتــرك فيه مالكون ، لا يخلون من أن يكـــون بينهم اختلاف وتنازع ، فهم يتعاورونه في مهن شتى ، ويتدافعونه في حوائجهم ، فهو حيران في إرضائهم تعبان في أداء حقوقهم لا يستقل لحظة ولا يتمكن من استراحة)[3]

وهـــكذا اختار الله لفظة (متشاكسون) مناسبة لتوضيح المثل ، ومناسبة لكلمة شركاء .

الكلمة الثامنة : ممنون من قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ۝٨ ﴾[4]

غير ممنون : غير مقطوع ، مأخوذ من مننت الحبل إذا قطعته ، وقيل : غير منقوص ، ومنه المنون لأنها تنقص مُنَّة الإنسان أي قوته . وقيل : غير محسوب .

(غـــير ممنون : غير معدود كما قال تعالى : ﴿ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ۝١٠ ﴾[5] ، وقـــيل : غير مقطوع ولا منقوص ، ومنه قيل : المنون للمنية لأنها تنقص العدد وتقطع المدد)[1]

---

(1) النكت والعيون للماوردي : ج5/ 124 .

(2) من سورة المؤمنون 23 : (الآية / 91) .

(3) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج24/81 .

(4) من سورة فصلت 41 : (الآية / 8) .

(5) من سورة الزمر 39 : (الآية / 10) .

ومن هنا يتبين أن كلمة (غير ممنون) لها معنيان : الأول : غير معدود ولا محسوب ، والثاني : غير منقوص ولا مقطوع . وإذا كان لا ينقص فمن باب أولى لا ينقطع . وهو أيضا لا يعد ولا يحسب فهو أجر بغير حساب لا يكال ولا يوزن ، إنما يغرف لهم غرفا .

ومن المعاني لكلمة : غير ممنون أي غير ممنون به عليهم ، من المنة . (والمعنى : لا يمن به عليهم فيتكدر بالمنة ، قال : منَّ عليه مناً : أنعم ، ومنة امتن ، والمنة في الأصل : النعمة الثقيلة التي لا يطلب معطيها أجرا ممن أعطاها إليه ثم استعملت بمعنى الامتنان ، أي عد النعمة وجميع ما يعطيه الله عباده في الآخرة تفضل منه وكرم ، وليس شيء منه بواجب عند أهل السنة والجماعة ، وما كان بطريق التفضل وإن صح الامتنان عليه لكنه تعالى لا يفعله منَّة فضلا منه وكرما ، أو غير ممنون بمعنى لا ينقطع أجرهم وثوابهم في الآخرة ، بل دائم أبدي، من مننت الحبل قطعته ، أو غير محسوب كما قال تعالى : ﴿ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾)[2]

(قال السدي : نزلت في الزمنى والمرضى والهرمى إذا ضعفوا عن الطاعة كتب لهم من الأجر كأصح ما كانوا يعملون فيه)[3]

(غير ممنون : قيل غير منقوص ، وقيل : مقطوع من مننت الحبل أي قطعته ، وقيل : غير ممنون من المن لأن عطاء الله تعالى لا يمنُّ به ، إنما يمنُّ المخلوق)[4]

وهكذا يتبين لنا عظمة وإعجاز ألفاظ القرآن الكريم حيث اللفظة الواحدة تحتمل عدة معاني مثل كلمة : ممنون ، حيث كان لها معان عدة وكلها مقصودة منها مثل : غير معدود ولا محسوب ، وغير منقوص ، وغير مقطوع ، وغير ممنون به عليهم ، فما أجمل ألفاظ القرآن! وما أعظم إعجازها وأوضح بيانها ! إنه كلام الله وكفى .

إن هذه اللفظة لتوحي بعظيم الأجر والثواب للمؤمنين يوم القيامة من الله ذي الجلال والإكرام الذي يجازي على الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، والله يضاعف لمن يشاء.

---

(1) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني : 778 مادة منن .

(2) تنوير الأذهان من تفسير روح البيان للشيخ إسماعيل حقي البروسوي : ج3/ 448 .

(3) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج15/ 223 .

(4) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي : ج9/ 508 .

الكلمة التاسعة : الريحان من قوله تعالى :

﴿ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ ﴾[1]

(الريحان هو كل مشموم طيب الريح من النبات ، وعن الحسن أنه قال : هو ريحانكم هذا أي الريحان المعروف ، وعن مجاهد أنه الرزق ، بل قال ابن عباس : كل ريحان في القرآن فهو رزق)[2]

فالريحان إما أن يكون كل نبات طيب الرائحة ، أو أن يكون مخصوصا بالريحان المعروف، أو أن يكون الرزق فيكون عاما فيطلق الريحان على كل رزق .

(والريحان ذو الرائحة كقوله تعالى : ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴾[3] ، وقيل : الريحان الرزق ، وقيل لبعض الأعراب : إلى أين تذهب ؟ فقال : أطلب من ريحان الله أي من رزقه ، وروي: الولد ريحان لأن الولد رزق من الله)[4]

فالريحان الرزق الذي يؤكل ، والعرب تقول : ذهبنا نطلب ريحان الله أي رزق الله .

(فالريحان ماله رائحة ، وقيل : رزق ، ثم يقال للحب المأكول ريحان في قوله : ﴿ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ ﴾[5] وقيل لأعرابي إلى أين ؟ فقال : أطلب من ريحان الله أي من رزقه)[6]

(وفي الريحان أربعة أقوال :

أحدها : أنه الرزق عن ابن عباس .

والثاني : أنه خضرة الزرع ، قال أبو سليمان الدمشقي[1] : فعلى هذا سمي ريحانا لاستراحة النفس بالنظر إليه .

---

(1) من سورة الرحمن 55 : (الآية / 12) .

(2) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي : ج27/ 103 .

(3) من سورة الواقعة 56 : (الآية / 89) .

(4) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي : 213 .

(5) من سورة الرحمن 55 : (الآية / 12) .

(6) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني / 369 ـــــ 370 .

والثالث : أنه ريحانكم هذا الذي يشم ، عن ابن عباس قال الريحان : ما أنبتت الأرض من الريحان .

والرابع : أنه مالم يؤكل من الحب ، والعصف المأكول منه ، حكاه الفراء)[2]

ومن معاني الريحان : خضرة الزرع ، وما لم يؤكل من الحب .

وفي كتاب النكت والعيون ورد : (أن العصف الورق الذي لا يؤكل ، والريحان هو الحب المأكول)[3]

فالريحان هو الحب المأكول ، أما العصف فهو الورق الذي لا يؤكل أي هو علف البهائم.

(والريحان ماله رائحة ذكية من الأزهار والحشائش ، وهو فعلان من الرائحة ، وإنما سمي به ماله رائحة طيبة ، وهذا اعتبار وامتنان بالنبات المودعة فيه الأطياب مثل الورد والياسمين ، وما يسمى بالريحان الأخضر)[4]

وهذا التفسير للريحان عام شامل يشمل كل نبت طيب الرائحة .

(والريحان : الرزق عن ابن عباس ومجاهد ، وعن الضحاك أنه الريحان الذي يشم ، وعن ابن عباس أيضا : أنه خضرة الزرع ، وقال سعيد بن جبير : هو ما قام على ساق ، وقال الكلبي [5]: إن العصف الورق الذي لا يؤكل ، والريحان هو الحب المأكول ، وقيل : الريحان كل بقلة طيبة الريح سميت ريحانا ، لأن الإنسان يَراحُ لها رائحة طيبة أي يشم فهو فعلان رَوْحان من الرائحة ، والأصل فيما يتركب من الراء والواو والحاء : الاهتزاز والحركة ، والريحان: نبت معروف ، والريحان : الرزق)[6]

---

(1) أبو سليمان الدمشقي : عبد الرحمن بن سليمان بن أبي الجون العنسي أبو سليمان الدمشقي الداراني ، ذكره ابن حبان في الثقات ، مات سنة 112 . تهذيب التهذيب ج6 / 171 .

(2) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي : ج8/ 108ـــــــــــ 109.

(3) للماوردي : ج5/ 426 .

(4) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج27/ 227 .

(5) الكلبي : إبراهيم بن خالد الكلبي أبو ثور الفقيه صاحب الإمام الشافعي ، قال ابن حبان : كان أحد أئمة الدنيا فقها وعلما وورعا وفضلا ، صنف الكتب وفرَّع على السنن . توفي 240هـ ينظر الأعلام : ج1/ 37 .

(6) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج9 /103 .

نصل من هذا النص إلى معاني كلمة الريحان : الرزق ، والريحان المعروف ، وخضرة الزرع ، والحب المأكول وما قام على ساق ، وكل ما له اهتزاز وحركة .

يؤكد هذه المعاني ما جاء في تفسير الطبري : (والريحان : فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله ، فقال بعضهم : هو الرزق عن ابن عباس ، قال : كل ريحان في القرآن فهو رزق ، وقال آخرون : هو الريحان الذي يشم ، عن ابن عباس قال : الريحان ما تنبت الأرض من الريحان .

وقال آخرون : هو خضرة الزرع ، عن ابن عباس قال : الريحان هو خضرة الزرع ، وقال آخرون: هو ما قام على ساق ، عن سعيد قال : الريحان هو ما قام على ساق)[1]

وهكذا كانت لفظة الريحان لها دلالات كثيرة ومعان متعددة كلها تنطبق على الآية الكريمة : ﴿ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ ﴾ فما أجمل ألفاظ القرآن الكريم ! وما أروعها ! وما أوسع معانيها !

الكلمة العاشرة : وطئا من قوله تعالى :

﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ ﴾[2]

كلمة وطئا لها أكثر من معنى : ثقلا ، مهادا ، نشاطا ، ثباتا ، وقعا ، موافقة .

(المواطأة : الموافقة وأصله أن يطأ الرجل برجله موطئ صاحبه ، قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ﴾[3])[4]

(هي أشد وطئا : قرأ ابن عامر [1] وأبو عمرو[2] { وطاء } بكسر الواو مع المد ، وهو مصدر واطأت فلانا على كذا مواطأة ووطاء ، وأراد أن القراءة في الليل يتواطأ فيها قلب المصلي

---

(1) تفسير الطبري : ج11/ 580 ـــــــــــ 581 .

(2) من سورة المزمل 73 : (الآية / 6) .

(3) من سورة التوبة 9 : (الآية / 37) .

(4) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني : 875 مادة وطأ .

ولسانه وســـمعه على التفهم للقرآن والإحكـــام لتأويـــله . ومنـــه قوله تعالى : { لِّيُوَاطِـُٔواْ عِـدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ } وقرأ الباقون { وَطْئا } بفتح الواو مع القصر ، والمعنى : إنه أثقل على المصلي من ساعات النهار من قول العرب : اشتدت على القوم وطأة السلطان إذا ثقل عليهم ما يلزمهم ، ومنه قــول النبي

صلى الله عليه وسلم : { اللهم اشدد وطأتك على مضر}[3])[4]

من هنا نجد فرقا في المعنى بسبب اختلاف القراءة في الكلمة ، فوطاء معناها موافقة ، ووطئا معناها ثقلا .

(أشد وطــئا يواطئ بسمعه وقلبه من المواطأة ، لأن القراءة بعد هدي من الليل أفهم له، وقال بعضهم : أشد ركوبا لأن كل شيء تعمله بالليل من ســير أو صــلاة فهو أشد)[5]

(قرأ أبو عمرو وابن عامر بكسر الواو وفتح الطاء والمد ، وقرأ الباقون بفتح الواو وإسكان الطاء من غير مد ، وكلهم همز ، وحجة من مده أنه جعله مصدر واطأ وطاء ، على معنى أشد موافقة من السمع للقلب ، وقال الفراء في معنى هذه القراءة : هي أشد علاجا فهي أعظم أجرا لصعوبة مفارقة الراحة بالنوم . وحجة من لم يمده أنه جعله مصدر وطئ يطأ وطئا : على معنى هي أشد على الإنسان من القيام بالنهار ، لأن الليل للدعة والسكون ، وهذا في المعنى كقول الفراء في القراءة الأولى ، وقيل معناه : هي أثبت قياما .

---

(1) ابن عامر : عبد الله بن عامر الشامي يكنى أبا عمرو ، ولد 80 هــ ، توفي 118هــ من التابعين من علماء الطبقة الثالثة ، أشهر تلامذته هشام وابن ذكوان ، ينظر القراءات وأثرها في علوم العربية / 61 .

(2) أبو عمرو : زبان بن العلاء بن عمار المازني التميمي ، أعلم الناس بالقرآن والعربية مع الصدق والثقة والأمانة والدين ، ولد سنة 68هــ ، وتوفي 154هــ ، أشهر تلامذته الدوري والسوسي .

(3) رواه البخاري : كتاب الأذان باب 128يهوي بالتكبير حين يسجد ، ج290/2 رقم الحديث : 804 .

(4) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي : ج391/8 .

(5) غريب القرآن وتفسيره لأبي عبد الرحمن عبد الله اليزيدي : 395 ــــــــــ 396

قال المفسرون : قيام الليل أثبت في الخير وأحفظ للقلب من قيام النهار ، لأن النهار يضطرب فيه الناس بمعايشهم ، والليل أخلى للقلب وأثبت في القيام . وكثير من المفسرين على أن معنى : (أشد وطئا) أشد مكابدة واحتمالا)[1]

فقيـــام الليل أشد وطئا من قيام النهار ، فالليل محل استراحة ، وقيامه أشد على الإنسان، وأبلغ في الثواب ، وأبلغ في القيام وأوطأ للقائم ، أي أشد موافقة حيث يوافق القلب فيها اللسان لأن الليل أفرغ من الشغل منه في النهار .

(وقيل : المعـــنى أشد مهادا للتصرف في التفكر والتدبر ، والوطاء خلاف الغطاء ، وقيل: أشد وطْئا بسكون الطاء وفتح الواو أي أشد ثباتا من النهار ، فإن الليل يخلو فيه الإنسان بما يعمله ، فيكون ذلك أثبت للعمل وأنفى لما يلهي ويشغل القلب ، والوطء : الثبات ، تقول: وطئت الأرض بقدمي . قال الفراء : أثبت قراءة وقياما ، وعنه : أشد وطئا أي أثبت للعمل وأدوم لمن أراد الاستكثار من العبادة ، والليل وقت فراغ عن اشتغال المعاش ، فعبادته تدوم ولا تنقطع ، وقيل : أشد وطئا أي أشد نشاطا للمصلي لأنه في زمان راحته . وقيل : أي نشاطا للمصلي وأخف وأثبت للقراءة)[2]

(أشد وطئا : ناشئة الليل أشد ثباتا من النهار وأثبت في القلب ، وذلك أن العمل بالليل أثبت منه بالنهار ، عن قتادة : أي أثبت في الخير وأحفظ في الحفظ .

والضحاك يقول : قراءة القرآن بالليل أثبت منه بالنهار وأشد مواطأة بالليل منه بالنهار .

وعن مجاهد قال : أن تواطئ قلبك وسمعك وبصرك)[3]

وهكذا يتبين لنا أن من معاني كلمة وطئا : ثباتا . (والوطء أصله : وضع الرجل على الأرض، وهو هنا مستعار لمعنى يناسب أن يكون شأنا للظلام بالليل ، فيجوز أن يكون الوطء استعير لفعل من أفعال المصلي على نحو إسناد المصدر إلى فاعله أي واطئا أنت ، فهو مستعار لتمكن المصلي من الصلاة في الليل بتفرغه لها وهدوء باله من الأشغال النهارية تمكن الواطئ على الأرض فهو أمكن للفعل ، والمعنى أشد وقعا ، وبهذا فسره الضحاك والفراء .

---

(1) الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن حموش القيسي الأندلسي : ج2/ 344 ـــــــــــــ 345 .
(2) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج19/ 28 .
(3) تفسير الطبري : ج12/ 283 ـــــــــــــ 284 .

ويجوز أن يكون الوطء مستعارا لحالة صلاة الليل وأثرها في المصلي ، أي أشد أثر خير في نفسه وأرسخ خيرا وثوابا ، وبهذا فسره قتادة .

والوطاء : الوفــاق والملاءمة ، والمعنى أن صلاة الليل أوفق بالمصلي بين اللسان والقلب ، أي بين النطق بالألفاظ وتفهم معانيها للهدوء الذي يحصل في الليل وانقطاع الشواغل وبهذا فسره مجاهد)[1]

وهذا هو السر الإلهي في ألفاظ القرآن : فلفظة وطئا أعطت هذه المعاني الرائعة ، ولذلك قال الله : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩ ﴾[2]، فطريق الوصول إلى هذه المعاني والأسرار للفظة الواحدة هو طريق التدبر لآيات الله .

الفصل الثاني

(الأفعال)

وفيه مباحث :

المبحث الأول : ما يحتمل معنيين .

---

(1) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج29/ 245 .

(2) من سورة ص 38 : (الآية / 29) .

المبحث الثاني : ما يحتمل ثلاثة معاني .

المبحث الثالث : ما يحتمل أكثر من ثلاثة معاني .

الفصل الثاني (الأفعال)

المبحث الأول : ما يحتمل معنيين

الكلمة الأولى : يوقنون من قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٤ ﴾ [1] أي يؤمنون بالآخرة إيمانا يقينيا ، أي تصديقا جازما لا يداخله شك (واليقين من صفة العلم فوق المعرفة والدراية وأخواتها ، يقال : علم يقين ولا يقال : معرفة يقين ، وهو سكون الفهـــــــــــــــــــم مع ثبات الحـــــــــــــــــــــــكم ، وقال : ﴿ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ ﴾ [2] و ﴿ عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ ﴾ [3] ﴿ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ ﴾ [4] وبينهما فروق ، يقال :

---

(1) من سورة البقرة 2 : (الآية / 4) .

(2) من سورة التكاثر 102 : (الآية / 5) .

(3) من سورة التكاثر 102 : (الآية / 7) .

(4) من سورة الواقعة 56 : (الآية / 95) .

استيقن وأيقن ، قال تعالى: ﴿ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴾[1]،﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴾[2] ﴿ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[3])[4]

لم يقل الله : وبالآخرة هم يؤمنون ، بل قال : يوقنون ليفيد أعلى درجات الإيمان والتصديق ، مع أن الآخرة أمر غيبي وهم مع ذلك قد صدقوا وآمنوا و لم يخالجهم في ذلك أدنى شك أو ارتياب .

(يقن : قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴾[5] أي الأمر الثابت الذي لا شك يخالجه ، واليقين هو سكون الفهم مع ثبات الحكم ، وأصله من يقن الماء أي ثبت وسكن ، قال بعضهم : اليقين من صفة العلم فوق المعرفة والدراية وأخواتها ، يقال : علم يقين ولا يقال معرفة يقين ، ويقال : علم اليقين ، عـــين اليقين ، حق اليقين ، وبينهما فرق ، فالأول أدناها، والثاني أعلاها ، والثالث : بينهما ، وفيها أقوال غير ذلك ، وقوله تعالى : ﴿ وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ﴾[6] أي تيقنتها ، يقال : أيقن الرجل ويقن وتيقن واستيقن ، وقوله تعالى : ﴿ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[7] وقوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾[8] أي الحق الذي وعدك الله من نصره لك ولدينه، وقيل : اليقين هنا الموت ولا شك أن الموت فرد من أفراده ، قوله تعالى : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ ﴾[9] إنما حكموا بذلك تخمينا وتوهما)[10]

---

(1) من سورة الجاثية 45 : (الآية / 32) .
(2) من سورة الذاريات 51 : (الآية / 20) .
(3) من سورة البقرة 2 : (الآية / 118) .
(4) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني : 892 ـــــــــــــــ 893 .
(5) من سورة التكاثر 102 : (الآية / 7) .
(6) من سورة النمل 27 : (الآية / 14) .
(7) من سورة البقرة 2 : (الآية / 118) .
(8) من سورة الحجر 15 : (الآية / 99) .
(9) من سورة النساء 4 : (الآية / 157) .
(10) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 650 .

إذن الفعل يوقنون معناه : يؤمنون ويصدقون تصديقا جازما بالحق الذي وعدهم الله إياه من أمور الآخرة ويثبتون ويسكنون على ذلك ، فهم في أعلى درجات التصديق والإيمان والثبات والفهم.

والـــيقين أعلى درجات العلم وهو الذي لا يمكن أن يدخله شك بوجه ، فيوقنون معناه : يعلمون علما متمكنا في نفوسهم . ليس فقط يعلمون وإنما وصلوا أعلى درجات العلم حيث ثبت واستقر في نفوسهم فأصبح يقينا .

(يوقنون من الإيقان وهو العلم ، والمعنى يستيقنون ويعلمون أنها كائنة)[1]

فاليقين عكس الشك والارتياب والشبهة (هُمْ يُوقِنُونَ : الإيقان : إتقان العلم بالشيء بنفي الشك والشبهة عنه نظرا واستدلالا أي يعلمون علما قطعيا ، مزيحا لما كان أهل الكتاب عليه من الشكوك والأوهام التي من جملتها زعمهم أن التلذذ بالمطاعم والمشارب والمناكح ، إنما احتيج إليه في هذه الدار من أجل نماء الأجسام ولمكان التوالد والتناسل ، وأهل الجنة مستغنون عنه فلا يتلذذون إلا بالنسيم والأرواح العبقة والفرح والسرور .

ثم ثمرة اليقين بالآخرة : الاستعداد لها ، فقد قيل : عشرة من المغرورين : من أيقن أن الله خالقه ولا يعبده ، ومن أيقن أن الله رازقه ولا يطمئن به ، ومن أيقن أن الدنيا زائلة ويعتمد عليها ، ومن أيقن أن الورثة أعداؤه ويجمع لهم ، ومن أيقن أن الموت آت فلا يستعد له ، ومن أيقن أن القبر منـــزله فلا يعمره ، ومن أيقن أن الديان يحاسبه فلا يصحح حجته ، ومن أيقن أن الصراط ممره فلا يخفف ثقله ، ومن أيقن أن النار دار الفجار فلا يهرب منها ، ومـــــــــــــــــــن أيقن أن الجنة دار الأبرار فلا يعمل لها)[2]

قال الله تـــعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ ﴾[3]

(وغاير سبحانه بين الإيمان بالمنـــزل والإيمان بالآخرة فلم يقل : وبالآخرة هم يؤمنون ، دفعا لكلفة التكرار أو لكثرة غرائب متعلقات الآخرة وما أعد فيها من الثواب والعقاب وتفصيل أنواع التنعيم والتعذيب ، ونشأة أصحابهما على خلاف النشأة الدنيوية ، مع إثبات المعاد الجسماني

(1) تفسير الخازن : ج1/ 24 .

(2) تنوير الأذهان من تفسير روح البيان للشيخ إسماعيل حقي البروسوي: ج27/1 .

(3) من سورة البقرة 2 : (الآية / 4) .

كيفما كان إلى غير ذلك مما هو أغرب من الإيمان بالكتاب المنـــزل حتى أنكره كثير من الناس [1](

ولذلك ناسب الفعل يوقنون لأمور الآخرة من الفعل يؤمنون أو يعلمون لأن اليقين هو العلم بالشيء عن نظر واستدلال أو بعد شك سابق ، ولا يكون شك إلا في أمر ذي نظر فيكون أخص من الإيمان ومن العلم . (فالتعبير عن إيمانهم بالآخرة بمادة الإيقان لأن هاته المادة تشعر بأنه علم حاصل عن تأمل وغوص الفكر في طريق الاستدلال لأن الآخرة لما كانت حياة غائبة عن المشاهدة، غريبة بحسب المتعارف ، وقد كثرت الشبه التي جرَّت المشركين والدهريين على نفيها وإحالتها كان الإيمان بها جديرا بمادة الإيقان بناء على أنه أخص من الإيمان فلإيثار (يوقنون) هنا خصوصية مناسبة لبلاغة القرآن)[2]

الكلمة الثانية : ختم . من قوله تعالى :

﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞ ﴾[3]

الختم هو الطبع . ومنه ختم الكتاب (والختم والطبع يقالان على وجهين أحدهما : أنهما مصدران لختم وطبع وهو تأثير الشيء بنقش الخاتم والطابع ، والثاني : الأثر الحاصل على الشيء ثم إنه يتجوز بذلك تارة عن الاستئناف من الشيء والمنع منه اعتبارا بما يحصل من المنع بالختم على الكتب والأبواب نحو قوله : ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ ﴾ وتارة عن تحصيل أثر عن شيء اعتبارا بالنـــقش الحـــاصل وتارة يعـــــــتبر منـــــــه بلوغ الأمر ومنه ختمت القرآن أي بلغت آخره ، وقيل في قوله : ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ ﴾ إشارة إلى ما جرت به العادة من أن الإنسان إذا تناهى في اعتقاد باطل وارتكاب محظور فلا يكون منه تلفت بوجه إلى الحق يورثه ذلك هيبة

---

(1) روح المعاني للألوسي : ج1/ 122ـــــــــــ123 .
(2) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج1/ 237.
(3) من سورة البقرة 2 : (الآية / 7) .

ثمرته على استحسان المعاصي فكأنما ختم بذلك على قلبه وعليه : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ ﴾ [1] ([2])

من هنا نصل إلى معاني الفعل ختم : الطبع والتأثير على الشيء والمنع فعندما يطبع على القلب ويختم عليه ، يمنع عنه النور فلا يصل إليه أبدا ، بسبب الذنوب والمعاصي ، والمعنى الثاني بلوغ الأمر وفعلا الكافر بكفره بلغ الغاية في الشر فطبع الله على قلبه وختمه فحُرم من النور والخير .

وأصل الختم الطبع ، والخاتم هو الطابع يقال منه : ختمت الكتاب إذا طبعته .

(فإن قال قائل : وكيف يختم على القلوب ، وإنما الختم طبع على الأوعية والظروف والغلف ؟

قيل : فإن قلوب العباد أوعية لما أودعت من العلوم ، وظروف لما جعل فيها من المعارف بالأمور ، فمعنى الختم عليها وعلى الأسماع نظير معنى الختم على سائر الأوعية والظروف .

قال مجاهد : نبئت أن الذنوب على القلب تحفُّ به من نواحيه حتى تلتقي عليه ، فالتقاؤها عليه الطبع ، والطبع والختم .

وقال أيضا : الران أيسر من الطبع ، والطبع أيسر من الأقفال . والأقفال أشد ذلك كله.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إن المؤمن إذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء في قلبه ، فإن تاب ونزع واستغفر ، صقلت قلبه ، فإن زاد زادت حتى تغلق

قلبه ، فذلك الران الـــــــــــــــــــــــــــــذي

قـــال الله جل ثناؤه : ﴿ كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤ ﴾ [3] ([1]) فأخبر صلى الله عليه وسلم أن الذنوب إذا

---

(1) من سورة محمد 47 : (الآية / 16) .

(2) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 151 .

(3) من سورة المطففين 83 : (الآية / 14) .

تتابعت على القلوب أغلقتها ، وإذا أغلقتها أتاها حينئذ الختم من قبل الله عز وجل والطبع ، فلا يكون للإيمان إليها مسلك ، ولا للكفر منها مخلص فذلك هو الطبع والختم الذي ذكره الله تعالى في قوله : ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ ﴾)[2] إذن كثرة الذنوب تغلق القلوب وهذا الغلق هو الختم والطبع . طبع الله عليها أي أقفل عليها وأغلقها فليست تعي خيرا ولا تسمعه ، وأصل هذا أن كل شيء ختمته فقد سددته وربطته .

(والختم حقيقته السد على الإناء والغلق على الكتاب بطين ، مع وضع علامة مرسومة في خاتم ليمنع ذلك من فتح المختوم ، فإذا فُتح علم صاحبه أنه فتح لفساد يظهر في أثر النقش ، وأما تسمية البلوغ لآخر الشيء ختما فلأن ذلك الموضع أو ذلك الوقت هو ظرف وضع الختم فيسمى له مجازا ، والخاتم الطين الموضوع على المكان المختوم ، وطين الختم طين خاص يشبه الجبس يبل بماء ومحوه ، ويشد على الموضع المختوم فإذا جف كان قوي الشد لا يقلع بسهولة وهو يكون قطعا صغيرة كل قطعة بمقدار مضغة ، والختم في اصطــــلاح الشرع استمرار الضلالة في نفس الضال أو خلق الضلالة ومثله الطبع والأكنة)[3]

فلم يقل الله أغلق أو أقفل الله قلوبهم بل قال جل جلاله : ﴿ خَتَمَ ﴾ ليؤدي معان كثيرة منها : الإغلاق والإقفال والمنع . والسد ، وبلوغ آخر الشيء حيث أن عملية الطبع والختم لا تكون إلا إذا ملئ القلب معاصٍ و لم يستغفر منها .

الكلمة الثالثة : (يمدهم) من قوله تعالى :

﴿ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴾[4]

---

(1) رواه ابن ماجه : كتاب الزهد باب ذكر الذنوب /29 ، ج2 رقم الحديث 4244 قال الألباني : حسن ، ورواه الترمذي : 3334 (5/ 434) وقال حديث حسن صحيح وقال الألباني : حسن ، ورواه ابن حبان : 930 (210/3) قال شعيب : إسناده حسن .

(2) تفسير الطبري : ج1 / 145 – 146 .

(3) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج1 / 251 .

(4) من سورة البقرة 2 : (الآية / 15) .

يمدهم أي يمهل لهم ويطيل لهم والله يمهل ولا يهمل . وهذا الإمهال ليس في صالحهم قال الله تعالى : ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ ﴾[1] وقال جل شأنه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[2]

(مدَّ : الميم والدال أصل واحد يدل على جرِّ شيء في طول ، واتصال شيء بشيء في استطالة ، تقول : مددت الشيء أمده مداً ، ومدّ النهر ومدّه نهر آخر أي زاد فيه وواصله فأطال مدته)[3] .

فالفعل مدّ يتضمن معنيين : الجرّ والاتصال في استطالة .

(أصل المـــد : الجر ومنه المدة للوقت الممتد ، ومِدة الجرح ، ومدّ النهر ومدّه نهر آخر ، ومددت عيني إلى كذا ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ ﴾[4] ، ومددته في غيّه ، ومددت الإبل: سقيتها المديد وهو بِزْرٌ ودقيق يخلطان بماء ، وأمددت الجيش بمدد والإنسان بطعام ، قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾[5] وأكثر ما جاء الإمداد في المحبوب ، والمدّ في المكروه نحو : ﴿ وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[6] ﴿ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ ﴾[7] ﴿ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ ﴾[8])[9]

(1) من سورة القلم 68 : (الآيتان 44-45) .

(2) من سورة هود 11 : (الآية / 102) .

(3) معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ج3 / 269 .

(4) من سورة طه 20 : (الآية / 131) .

(5) من سورة الفرقان 25 : (الآية / 45) .

(6) من سورة الطور 52 : (الآية / 22) .

(7) من سورة نوح 71 : (الآية / 12) .

(8) من سورة مريم 19 : (الآية / 79) .

(9) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني / 763 .

فيمده أي يتـــركهم ويطيل لهم في أعمارهم وأصله : الزيادة ، فهم فعلا في جرٍّ واتصال حيث أن الله يغدق عليهم النعم فيظنون أنهم على صواب فيجرون إلى الكفر والمعاصي حيث يزين لهم الشيطان أعمـــــــــــــــــــــــــــالهم ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾[1] ويكونون في اتصال دائم في معاصيهم من معصية إلى أخرى وفوق ذلك يحسبون أن توالي النعم عليهم دليل محبة الله لهم ، قال الله تعالى : ﴿ أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ ﴾[2] وقال جل شأنه : ﴿ فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ﴾[3] بل يصل به الطمع إلى أن يكون يوم القيامة مرضيا ، قال جل شأنه : ﴿ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا ﴿٣٦﴾ ﴾[4]

فالله عز وجل يملي للكفار والمنافقين والعصاة المجرمين ويمهلهم بأن يزيد لهم النعم والمتع الدنيوية ويمكّن لهم فيحسبون أنهم يحسنون صنعا ، قال الله تعالى : ﴿ قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾[5]

(يمدهم : يعني يزيدهم على وجه الإملاء والترك لهم في عتوهم وتمردهم كما وصف ربنا أنه فعل بنظرائهم في قوله : ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَنَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[6]

يعني نذرهم ونتركهم فيه ونملي لهم ليزدادوا إثما إلى إثمهم)[7]

---

(1) من سورة العنكبوت 29 : (الآية / 38) .

(2) من سورة المؤمنون 23 : (الآيتان 55 – 56) .

(3) من سورة الفجر 89 : (الآية / 15) .

(4) من سورة الكهف 18 : (الآية / 36) .

(5) من سورة الكهف 18 : (الآيتان 103ـــــــــــــ 104) .

(6) من سورة الأنعام 6 : (الآية / 110) .

(7) تفسير الطبري : ج1 / 169 .

فالمدُّ هو الزيادة والإملاء والترك لهم فلا يصابون بمصائب أو عقوبات تكفّر عنهم الذنوب أو تخفف عنهم عقوبة الآخرة .

(والمدّ من مدّ الجيش وأمده بمعنى : أي ألحق به ما يقويه ويكثره ، وقيل : مدّ زاد ، وللكلمة معنى آخر هو : الإمهال ، وفي الصحاح :مد الله في عمره ومده في غيه : أمهله وطوّل له ، وروي عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه : أن مدّ الله تعالى في طغيانهم : التمكين من العصيان)[1] .

وهكذا نجد أن لكلمة المد أكثر من معنى : الزيادة والإملاء ، والمعنى الثاني : التـــرك والإمهال .

ولذلك قال الله : (ويمدهم) والمدد أصله الزيادة ، أي يزيدهم نعما حتى يغرقوا في النعيم ويأمنوا مكر الله ، ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ، والمعنى الثاني : الإمهال والتـــرك والإملاء حتى يزيدهم ضلالا إلى ضلالهم .

الكلمة الرابعة : يعمهون من قوله تعالى :

﴿ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴾[2]

العمه : التـــردد في الأمر من التحير لا يدري أين يتوجه . والمقصود به عمى البصيرة وهو القلب.

(ومعنى التحير في الطغيان أنهم ليسوا على بصيرة مما هم عليه ، وإن كانوا متوغلين فيه محسنين له)[3]

---

(1) روح المعاني للألوسي : ج1 / 159 .

(2) من سورة البقرة 2 : (الآية / 15)

(3) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 383 .

يعمهون : يترددون يتحيرون ولا يبصرون طريقهم من العمى . والعمى في العين والعمه في القلب، وفي التنزيل : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾[1]

(يعمهون بمعنى : يتحيرون يقال : رجل عمه وعامه أي متحير ، وقال ابن قتيبة : يعمهون : يركبون رؤوسهم فلا يبصرون)[2]

من هذا النص يتبين معنيان لكلمة : يعمهون : يركبون رؤوسهم فلا يبصرون بسبب العناد والجهل والضلال المسيطر على قلوبهم ، كما قال تعالى : ﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ ﴾[3] والمعنى الثاني : يتحيرون ويترددون.

(يعمهون : يعمهون عن رشدهم فلا يبصرونه ، لأن من عمه عن الشيء كمن كمه عنه)[4] ، والكمه هو العمى .

(والعمه فيها ضلال وطغيان وغفلة وسكر وعمى بصيرة كأنه قريب من العمى ، ومعنى ﴿ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ في ضلالهم وكفرهم الذي غمرهم دنسُه وعلاهم رجسُه ، يترددون حيارى ضلالا لا يجدون إلى المخرج منه سبيلا)[5]

إذن بسبب الضلال والطغيان يكون العمه . وهو عمى البصيرة .

(كلمة العمهْ فقد وردت منها صيغة الفعل المضارع : يعمهون ، وقد وردت يعمهون سبع مرات، ومعظم المرات مسبوقة بالطغيان ﴿ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ ومعنى العمه : هو التردد في الأمر من التحير .

---

(1) من سورة الحج 22 : (الآية / 46) .

(2) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي : ج1 / 36 – 37 .

(3) من سورة الملك 67 : (الآية / 22) .

(4) النكت والعيون للماوردي : ج1 / 78 .

(5) الإعجاز البياني للقرآن د . عائشة عبد الرحمن / 581 .

والتـــردد والتحير يصيب القلب والعقل والفكر والتصور ، ولهذا لا نخطئ إذا قلنا : إن العمه هو عمى القلب وتكمن فيه الخطورة البالغة على صاحبه ، لأن الإنسان يمكنه أن يعيش مع العمى وفقدان البصر ، وقد يكون الأعمى صالحا فيفوز بالجنة في الآخرة .

أما إذا أصيب الإنســـان بالعمه وعُمي قلبه وفقد بصيرته ، ووقع في التردد والحيرة والضلال، فهذا

هو الضلال والخسران المبين)[1]

لأن عمى البصر ابتلاء واختبار من الله فمن نجح في هذا الابتلاء رفعه الله درجات وكفر عنه سيئات ، أما عمى البصيرة فهي عقوبة من الله على شدة الضلال وكثرة الطغيان ، فلا يرى الحق حقا ، ولا يرى الباطل باطلا نعوذ بالله من الضلال .

الكلمة الخامسة : نقدس من قوله تعالى :

﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾[2]

التقديس لغة : التطهير . (نقدس لك : أي نصفك بالقدس وهو التطهير والتنـــزيه ما يليق . فجلاله وصفاته عكس ما فعله بعض جهلة بني آدم حسبما وصفوه به من اتخاذ الولد والزوجة والحلول والاتحاد والجسم والتحيز تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا . وقيل : المعنى نصفك بالقدس حيث يقولون سبوح قدوس رب الملائكة والروح وقيل : نطهر لك الأشياء)[3]

فكلمة نقدس لها معنيان : نطهر لك الأشياء ، والمعنى الثاني : نصفك بالتقديس أي بالتطهير.

والتقديس إما بالفعل وإما بالاعتقاد ، وفعل قدس يتعدى بنفسه فالإتيان باللام مع مفعوله في الآية لإفادة تأكيد حصول الفعل نحو شكرت لك ونصحت لك .

---

(1) لطائف قرآنية د . صلاح عبد الفتاح الخالدي دار القلم دمشق ط 1412هــ / 95 – 96 .

(2) من سورة البقرة 2 : (الآية / 30) .

(3) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 445 .

والتقديس هو التطهير والتعظيم ومنه قولهم : سبوح قدوس أي طهارة له وتعظيم ، فمعنى : ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ ننسبك إلى ما هو من صفاتك من الطهارة من الأدناس وما أضاف إليك أهل الكفر بك . وقد قيل : إن تقديس الملائكة لربها صلاتها له . والصلاة تعظيم وتقديس وتطهير مما ينسبه إليه أهل الكفر به سبحانه .

(ونقدس لك : أصل التقديس التطهير أي نطهرك عن النقائص وكل سوء ونصفك بما يليق بعزك وجلالك من العلو والعظمة ، وقيل معناه : نطهر أنفسنا لطاعتك وعبادتك)[1]

نخلص من هذا النص إلى معاني كلمة : (نقدس) نطهرك عما لا يليق بك من النقائص ، ونصفك بالتقديس أي التطهير والتعظيم . وكلا المعنيين مرادان من الله عز وجل فسبحان الحكيم العليم ما أعظم بيان القرآن ! وما أروع ألفاظه !

الكلمة السادسة : اهبطوا من قوله تعالى :

﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا﴾[2]

(الهبوط : الانحدار على سبيل القهر كهبوط الحجر ، وإذا استعمل في الإنسان الهبوط فعلى سبيل الاستخفاف بخلاف الإنزال ، فإن الإنزال ذكره تعالى في الأشياء التي نبَّه على شرفها ، كإنزال الملائكة والقرآن والمطر وغير ذلك ، والهبوط حيث ذُكر نبّه على الغضِّ نحو ﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾[3] ﴿فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾[4] ﴿ٱهْبِطُواْ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾[5] وليس في قوله : ﴿فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾ تعظيم وتشريف ألا ترى أنه تعالى

(1) تفسير الخازن : ج1 / 40 .

(2) من سورة البقرة 2 : (الآية / 38) .

(3) من سورة البقرة 2 : (الآية / 36) .

(4) من سورة الأعراف 7 : (الآية / 13) .

(5) من سورة البقرة 2 : (الآية / 61) .

قـــال : ﴿

وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [1] [2])

أما الذي حصل لسيدنا آدم عليه السلام من الهبوط فكان لحكمة عظيمة أرادها الله وهي استخلافه في الأرض وابتلاء ذريته من بعده بهذا العدو المبين .

فالهبوط له معنيان : الانحدار مع قهر واستخفاف وغضٍّ وتنقيص .

(الهبوط : السقوط على سبيل القهر كهبوط الحجر في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِ ﴾ [3] وقيل : الهبوط الانـــتقال مطلقا ، وقيل : الخروج من البلد ، وقيل: الدخول فيها فهو من الأضداد) [4]

وإذا كان الهبوط في الأصل هو النـــزول كان الدخول إلى البلدة لسكناها نزولا بها فصار هبوطاً .

فالهبوط هو الانحدار والنـــزول ودخول البلدة مع استخفاف وغض وتنقيص .

(الهبوط : النـــزول ، وقيل : الخروج من البلد والدخول فيها من الأضداد ، ويقال في انحطاط المنـــزلة) [5] .

والهبوط هو النـــزول من علو إلى سفل مع الاستخفاف وهنا جمال ألفاظ اللغة العربية حيث يكون للفظة الواحدة أكثر من معنى وكلها مرادة في السياق القرآني .

الكلمة السابعة : فرقنا من قوله تعالى :

﴿ وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ فَأَنجَيۡنَٰكُمۡ ﴾ [6]

---

(1) من سورة البقرة 2 : (الآية / 61) .
(2) مفردات ألألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني / 832 .
(3) من سورة البقرة 2 : (الآية / 74) .
(4) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 600 – 601 .
(5) روح المعاني للألوسي : (ج1 / 236) .
(6) من سورة البقرة 2 : (الآية / 50) .

فرقنا : فصلنا ، والفرق : الفصل بين الشيئين .

(﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ ﴾ معناه : شققناه ، والفِرق : القِسم والجمع أفراق ، وقراءة من قرأ: فرّقنا بكم البحر بتشديد الراء أي جعلناه فِرقا وأقـــساما . والفِرق : الفلق من الشيء إذا انفلق منه ، وجاء تفسير ﴿ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ ﴾ في آية أخرى وهي قوله تعالى : ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ ﴾[1] أراد فانفلق البحر فصار كالجبال العظام وصاروا في قراره ، وفي التنـــزيل : ﴿ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾[2])[3]

معنى فرقنا: شققنا ، وقسمنا وفلقنا حتى صار البحر كالجبال العظام ومشوا في قراره .

(﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : وإذ فصلنا بكم البحر ، لأن الفرق / الفصل بين الشيئين ففرق البحر اثني عشر طريقا ، والثاني : أن معناه : ((وإذ فرقنا بينكم وبين البحر أي ميزنا ، فأصل الفرق : التمييز بين الشيئين ، والفرقة من الناس : الطائفة المتميزة من غيرهم ، والبحر سمي بحرا لسعته وانبساطه ، ومنه قولهم : تبحَّر في العلم إذا اتسع فيه)[4]

من هنا يتبين لنا أن لكلمة فرقنا معنيين : الأول : فصلنا وفلقنا بحيث تمشون في الطريق داخل البحر .

أما المعنى الثاني : ميّزنا أي جعلناكم متميزين مختلفين عن البحر بحيث تستطيعون العبور بدون أن تغرقوا مثل الفرقة من الناس : الطائفة المتميزة من غيرهم ، وهكذا جعل الله بني إسرائيل متميزين عن البحر يعبرونه بقدرته جل جلاله لا يصيبهم الغرق والله أعلم بطريقة التمييز .

---

(1) من سورة الشعراء 26 : (الآية / 63) .

(2) من سورة المائدة 5 : (الآية / 25) .

(3) لسان العرب لابن منظور : ج1 / 300 مادة فرق .

(4) النكت والعيون للماوردي : ج1 / 119 .

(ومعنى قوله : ﴿ فَرَقْنَا بِكُمُ ﴾ فصلنا بكم البحر لأنهم كانوا اثني عشر سبطا ، ففرق البحر اثني عشر طريقا ، فسلك كل سبط منهم طريقا منها ، فذلك فرق الله بهم عز وجل البحر وفصله بهم بتفريقهم في طرقه الاثني عشر .

عن السدي : لما أتى موسى البحر كناه أبا خالد وضربه فانفلق ، فكان كل فرق كالطـــود العظيم ، فدخلت بنو إسرائيل وكان في البحر اثنا عشر طريقا في كل طريق سبط .

وقـــــــــــــــــد قال بعض نحويي البصرة : معنى قوله : ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ ﴾ فرقنا بينكم وبين الماء ، يريد بذلك : فصلنا بينكم وبينه وحجزناه حيث مررتم به)[1]

فَرَق وفرَّ بالتخفيف والتشديد بمعنى واحد ، غير أن فرّق يدل على شدة التفرقة وذلك إذا كانت الأجزاء المفرقة أشد اتصالا . وقد اتفقت القراءات المتواترة على قراءة (فرقنا) بالتخفيف ، والتخفيف منظور فيه إلى عظيم قدرة الله تعالى فكان ذلك الفرق الشديد خفيفا . فأجزاء البحر من الماء شديدة الاتصال وتحتاج إلى (فرّقنا) لكن الله قال (فرَقْنا) ليدل على عظيم قدرة الله تعالى .

(والباء في بكم إما للملابسة ، أي كان فرق البحر ملابسا لكم والمراد من الملابسة أنه يفرق وهم يدخلونه فكان الفرق حاصلا بجانبهم ، وجوَّز صاحب الكشاف كون الباء للسببية أي بسببكم يعني لأجلكم)[2]

(﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ ﴾ . والفرق : الفصل بين الشيئين وتعديته إلى البحر بتضمين معنى الشق أي فلقناه وفصلنا بين بعضه وبعض لأجلكم وبسبب إنجائكم من أجل أسلاف المخاطبين ، ويحتمل أن تكون للاستعانة على معنى (بسلوككم) بأن يشبه سلوكهم بالآلة في كونه واسطة في حصول الفرق من الله تعـــالى ، يقول الإمام الرازي : إنهم كانوا يسلكون ويتفرق الماء عند سلوكهم فكأنه فرق بهم)[3]

---

(1) تفسير الطبري : ج1 / 314 .
(2) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج1 / 478 .
(3) روح المعاني للأوسي : ج1 / 255 .

وهكذا يتبين لنا السر الإلهي في اختيار لفظة (فرقنا) لتعطي المعنيين الرائعين : فصلنا وميّزنا وكذلك السر في استخدام لفظة (بكم) بدل (لكم) ولله الحمد والمنة .

الكلمة الثامنة : ينظرون من قوله تعالى : ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ ﴾[1]

ولا هم ينظرون : من الإنظار وهو التأخير والإمهال . أي لا يؤخرون ولا يمهلون كما قال تعالى : ﴿ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَلَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴾[2] ، والمعنى الثاني : من النظر أي لا ينظر الله إليهم نظر رحمة أبـــدا كـــما قـــال تعـــالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٧٧﴾ ﴾[3]

(ولا هم ينظـــرون : من الإنظار أي لا يمهلون ولا يؤجلون ، أو لا ينتظرون ليعتذروا ، أو لا ينظر إليهم نظر رحمة)[4]

لا يمهلون ولا ينتظرون ليعتذروا هذان بمعنى واحد والمعنى الثاني لا ينظر إليهم نظر رحمة من النظر والإبصار وكلاهما مقصود من اللفظة فسبحان الله العلي العظيم .

(ولا هم ينظرون : يحتمل وجهين :

أحدهما : لا يؤخرون عنه ولا يهملون .

والثاني : لا ينظر الله عز وجل إليهم فيرحمهم)[5]

([1]) من سورة البقرة 2 : (الآية / 162) .

([2]) من سورة يونس 10 : (الآية / 49) .

([3]) من سورة آل عمران 3 : (الآية 77) .

([4]) الكشاف للزمخشري : ج1 / 105 .

(5) النكت والعيون للماوردي : ج1 / 216 .

(ولا هم ينظرون : وإيثار الجملة الاسمية لإفادة دوام النفي واستمراره ، والفعل إما من الإنظار بمعنى التأخير أي لا يمهلون عن العذاب ولا يؤخرون عنه ساعة ، وإما من النظر بمعنى الانتظار أي لا ينتظرون ليعتذروا ، وإما من النظر بمعنى الرؤية أي لا ينظر الله تعالى إليهم نظر رحمة)[1]

فللكلمة معنيان : الأول الإمهال والتأخير والانتظار ، والمعنى الثاني من النظر والرؤية .

الكلمة التاسعة : وتزودوا من قوله تعالى :

﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾[2]

تزودوا من الزاد والزاد إما أن يكون زادا حسيا من الطعام والشراب وإما زادا معنويا من الإيمان والعمل الصالح وكلاهما مطلوبان في الحج .

(وفي قوله تعالى : ﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ تأويلان :

أحدهما : تزودوا بالأعمال الصالحة فإن خير الزاد التقوى .

والثاني : أنها نزلت في قوم من أهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون : نحن المتوكلون فنـــزلت فيهم : (وتزودوا) يعني من الطعام)[3]

(روى البخاري وغيره عن ابن عباس قال : كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ، ويقولون نحن متوكلون ، فأنزل الله : ﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾)[4]

والزاد : المدخر الزائد على ما يحتاج إليه في الوقت ، والتزود : أخذ الزاد قال تعالى :

﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾[1]

---

(1) روح المعاني للألوسي : ج1 / 29 .

(2) من سورة البقرة 2 : (الآية / 197) .

(3) النكت والعيون للماوردي : ج1 / 260 .

(4) أسباب الترول للإمام الحافظ جلال الدين أبي عبد الرحمن السيوطي / 38 .

(قوله تعالى : ﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ الزاد هو القوت المدخر الزائد على كفاية الوقت، والتزود أخذ الزاد وقوله تعالى : ﴿ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ من باب المقابلة نحو قالوا : اِقترح شيئا نجدْ لك طبخهُ .... قلت اطبخوا لي جُبةً وقميصا

ومـــــثله : ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ﴾ [2] ، والمزود ما يجعل فيه الزاد ، والمزادة ما يجعل فيه الماء) [3]

والتزود إعداد الزاد وهو الطعام الذي يحمله المسافر ، وهو زاد حسي وهناك زاد معنوي وهو التزود بالأعمال الصالحة .

(فالتزود مستعار للاستكثار من فعل الخير استعدادا ليوم الجزاء ، شبه بإعداد المسافر الزاد لسفره بناء على إطلاق اسم السفر والرحيل على الموت . فقوله ﴿ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ أي التقوى أفضل من التزود للسفر فكونوا عليها أحرص .

ويجوز أن يستعمل التزود مع ذلك في معناه الحقيقي على وجه استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه فيكون أمرا بإعداد الزاد لسفر الحج تعريضا بقوم من أهل اليمن كانوا يجيئون إلى الحج دون أي زاد ويقولون نحن متوكلون على الله فيكونون كلا على الناس بالإلحاف فقوله : ﴿ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ﴾ إشـــــارة إلى تأكيد الأمر بالتزود تنبيها بالتفريع على أنه من التقوى لأن فيه صيانة ماء الوجه والعرض) [4]

وهكذا يتضح من خلال كتب التفسير أن لفظة (تزودوا) يُراد منها المعنيان وهما التزود الحسي والمعنوي ولا غنى لأي إنسان عنهما . فسبحان الله ما أبدع ألفاظ القرآن الكريم وما أدق تعبيراته ! .

---

(1) من سورة البقرة 2 : (الآية / 197) .
(2) من سورة آل عمران 3 : (الآية / 54) .
(3) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 224 .
(4) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج2 / 231 – 232 .

الكلمة العاشرة : زللتم من قوله تعالى : ﴿ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[1]

(والزلة في الأصل استرسال الرجل وزلقها من غير قصد ، والمزلة : المكان الزلق ثم قيل للذنب زلة تشبيها لزلة الآراء والعقول بزلة الأقدام وعليه قوله تعالى : ﴿ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ أي تنحيتم عن الحق يقال : زل في الدين يزل زللا ومزلة ، وزلَّ في الطين ونحوه زللاً)[2]

فلفظة (زلّ) لها معنيان : الزلل الحسي وهي زلة الرِّجْل بسبب شيء زلق ، والزلل المعنوي وهو ما كان بسبب الكفر والذنوب والمعاصي وهي طريق للزلل الحسي وسبب له . إذن المعنيان مقصودان في الآية الكريمة .

(وقيل للذنب من غير قصد : زلة تشبيها بزلة الرِّجْل قال تعالى : (فإن زللتم) (﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾)[3] واستزّله : إذا تحرّى زلته .

وقوله : ﴿ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾[4] أي استجرّهم الشيطان حتى زلُّوا ، فإن الخطيئة الصغيرة إذا ترخص الإنسان فيها تصير مسهِّلة لسبيل الشيطان على نفسه)[5]

إذا كان الذنب من غير قصد زلة فكيف بالذنب مع القصد ، وهذا هو أصل الفعل لأن زلة الرِّجْل أيضا من غير قصد فلا يوجد عاقل يزلق رجله قصدا .

(وأصل الزلل : الزلق أي اضطراب القدم وتحركها في الموضع المقصود إثباتها به ، واستعمل الزلل هنا مجازا في الضر الناشئ عن اتباع الشيطان من بناء التمثيل على التمثيل ، لأنه لما شبهت هيئة من يعمل بوسوسة الشيطان بهيئة الماشي على أثر غيره ، شبّه ما يعتريه من الضر في ذلك

---

(1) من سورة البقرة 2 : (الآية / 209) .

(2) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 222 .

(3) من سورة البقرة 2 : (الآية / 36) .

(4) من سورة آل عمران 3 : (الآية / 155) .

(5) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني / 381 – 382 .

المشي بزلل الرِّجل في المشي في الطريق المزلقة ، وقد استفيد من ذلك أنا ما يأمر به الشيطان هو أيضا بمنـــزلة الطريق المزلقة)[1]

فمن أوجه الشبه بين الزلل الحسي والزلل المعنوي أنهما من غير قصد ، وأن هناك ضرر يلحق بالإنسان في الحالتين وفي الدنيا والآخرة .

الكلمة الحادية عشرة : حبطت من قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ ﴾[2]

حبطت أعمالهم أي بطلت ، وأصل الحبوط : الفساد ، فقيل في الأعمال إذا بطلت حبطت لفسادها .

(حبط : الحاء والباء والطاء أصل واحد يدل على بطلان أو ألم ، يقال : أحبط الله عمل الكافر أي أبطله . وأما الألم فالحبط أن تأكل الدابة حتى تنفخ لذلك بطنها)[3]

فالكافر لا يقبل له عمل لأن شرط الأعمال الصالحة الإسلام والإخلاص فإذا لم يوجدا في عمل بطل العمل وفسد ، فالكافر يعمل أحيانا أعمالا صالحة لكنها لا تقبل لكفره ، والسلم إن عملها لغير الله لا تقبل فيكون الألم والخسران يوم القيامة ولكن الله لا يظلم أحدا مثقال ذرة ، فالكافر يكون ثوابه في الدنيا بزيادة أموال وبنين ونعيم ، والمسلم الذي عمل لغير وجه الله يكون أخذ جزاءه بالمدح في الدنيا على قدر نيته ، كما روى أنه يؤتى بقارئ القرآن فيسأل : بم كان اشتغالك ؟ فيقول : بقراءة القرآن . فيقال : إنما كنت تقرأ ليقال وقد قيل فيؤمر به إلى النار عياذا بالله من ذلك .

---

(1) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج2 / 263 .

(2) من سورة البقرة 2 : (الآية / 217) .

(3) معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ج2 / 130 مادة حبط .

(وفعل حبط : قال اللغويون أصله من الحبَط بفتح الباء ، وهو انتفاخ في بطون الإبل من كثرة الأكل فتموت من ذلك ، فإطلاقه على إبطال الأعمال تمثيل ، لأن الإبل تأكل الخضر شهوة للشبع فيئول عليها بالموت ، فشبه حال من عمل الأعمال الصالحة لنفعها في الآخرة فلم يجد لها أثرا بالماشيــــــــــــــــــــــــــــــة التي أكلت حتى أصابها الحبط ، ولذلك لم تقيد الأعمال بالصالحات لظهور ذلك التمثيل)[1]

فكلمة حبط لها معنيان الألم والبطلان حيث لا يقبل الله عمل الإنسان الصالح إذا عمله رياء وشهوة للمدح ، فالله لا يقبل العمل إلا إذا كان خالصا له لكنه لن يظلمه حيث سيمدحه الناس في الدنيا وينال جزاءه عاجلا مثل الماشية التي تأكل الخضر شهوة للشبع ، وأيضا معنى الألم ، فلا ألم أكثر من الألم الذي يشعر به المرائي حين لا يقبل الله عمله فهو ألم نفسي وينقلب إلى ألم جسدي حين دخول النار ، وكذلك الماشية ألم بطنها شديد حين تنتفخ ثم تموت . وهذا فعلا هو الألم والبطلان معاني كلمة (حبط) .

(وأصل الحبط فساد يلحق الماشية لأكل الحباط وهو ضرب من الكلأ مضر ، وفي النهاية : أحبط الله تعالى عمله : أبطله ، يقال : حبط عمله وأحبط وأحبطه غيره ، وهو من قولهم : حبطت الدابة حبَطا بالتحريك إذا أصابت مرعى طيبا فأفرطت في الأكل حتى تنتفخ فتموت)[2]

فما أجمل ألفاظ القرآن الكريم ! وما أبدع معانيها !

الكلمة الثانية عشرة : لأعنـــتكم من قوله تعالى :

﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ﴾[3]

(قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ﴾ أي لشق عليكم ، قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ﴾[4] أي المشقة في ترك الوطء والوقوع في الزنا وأصله من عنت الدابة

---

(1) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج2 / 315 .

(2) روح المعاني للألوسي : ج2 / 110 .

(3) من سورة البقرة 2 : (الآية / 220) .

(4) من سورة النساء 4 : (الآية / 25) .

تعنت عنوتا وعنتا إذا حدث في قوائمها كسر بعد جبر لا يمكنها معه الجري ، وأصل العنت : التشديد فإذا قالت العرب : فلان يتعنت فلانا ويعنته فأصله يشدد عليه ويلزمه بما يصعب عليه أداؤه ثم نقلت إلى معنى الهلاك ، وقوله : (لمن خشي العنت منكم) يريد الهلاك في الزنا)[1]

من معاني كلمة العنت : المشقة والهلاك والضرر .

(المعانتة كالمعاندة لكن المعانتة أبلغ لأنها معاندة فيها خوف وهلاك ولهذا يقال : عنت فلان : إذا وقع في أمر يُخاف منه التلف)[2]

إذن ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ﴾ معناها : لشدد عليكم ولأهلككم . لأن التشديد والإعنات يؤديان إلى المشقة والهلاك والضرر .

(﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : لشدد عليكم ، وهو قول السدي .

والثاني : لجعل ما أصبتم من أموال اليتامى موبقا وهو قول ابن عباس)[3]

موبقا يعني : هلاكا .

[﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ﴾ لحملكم على العنت وهو المشقة وأحرجكم فلم يطلق لكم مداخلتهم ﴿ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ﴾[4](اليتامى)][5]

والمشقة والحرج لا يأتيان إلا من التشديد ، فكان رفع التشديد رفع للمشقة والهلاك .

(﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ﴾ أي لضيق عليكم و لم يجوز لكم مخالطتهم ، أو لجعل ما أصبتم من أموال اليتامى موبقا ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما ، وأصل الإعنات الحمل على مشقة لا تطاق ثقلا ، ويقال : عنت العظم عنتا إذا أصابه وهن أو كسر بعد جبر ، وحذف

---

(1) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 384 .

(2) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني / 589 .

(3) النكت والعيون للماوردي : ج1 / 280 .

(4) من سورة البقرة 2 : (الآية / 220) .

(5) الكشاف للزمخشري : ج1 / 133 .

مفعول المشيئة لدلالة الجواب عليه ، وفي ذلك إشعار بكمال لطفه سبحانه ورحمته حيث لم يعلق مشيئته بما يشق علينا في اللفظ أيضا)[1]

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾[2] فالدين يسر والله يريد التخفيف: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾[3] والله لا يحب العنت ولا يريده لنا لرأفته ورحمته سبحانه .

فالعنت هو التضييق والتشديد والمعنى الثاني : المشقة والهلاك . (والعنت : المشقة والصعوبة الشديدة أي ولو شاء الله لكلفكم ما فيه العنت وهو أن يحرم عليكم مخالطة اليتامى فتجدوا ذلك شاقا عليكم وعنتا ، لأن تجنب المرء مخالطة أقاربه من إخوة وأبناء عم ورؤيته إياهم مضيعة أمورهم لا يحفل بهم أحد يشقُّ على الناس في الجبلَّة ، وهم إن فعلوا ذلك حذرا وتتزها فليس كل ما يبتدئ المرء فعله يستطيع الدوام عليه)[4] .

ومعنى الآية : أي ولو شاء الله لضيق عليكم وأحرجكم ولكنه وسع عليكم وخفف عنكم وأباح لكم مخالطتهم بالتي هي أحسن ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[5] .

وقال تعالى : ﴿ وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾ ﴾[6]

---

(1) روح المعاني للألوسي : ج1 / 117 .
(2) من سورة الحج 22 : (الآية / 78) .
(3) من سورة الحج 22 : (الآية / 28) .
(4) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج2 / 340 .
(5) من سورة الإسراء 17 : (الآية / 34) .
(6) من سورة النساء 4 : (الآية / 6) .

ولا توجد لفظة في اللغة العربية تؤدي هذين المعنيين غير لفظة (لأعنــتكم) حيث نفى الله عن نفسه الشدة والتضيـــــــــــــــــيق والهـــــــــــــــــلاك لأن الله رحـــــــــــــيم بالمؤمنين . ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ ﴾[1]

الكلمة الثالثة عشرة : فلا تعضلوهن من قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحۡنَ أَزۡوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوۡاْ بَيۡنَهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ ﴾[2] .

قال الله : ﴿ فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ ﴾ ولم يقل : (فلا تمنعوهن) لأن المنع يحتمل أن يكون بحق وبغير حق . أما العضل فهو مع شديد لكن بدون وجه حق وبدون إصلاح ، فجاء الأمر من الله بمنع الولي من عودة الزوجة إلى زوجها بدون وجه حق أو مصلحة .

(وعضلته : شددته بالعضل المتناول من الحيوان نحو عصبته ويجوِّز به في كل منع شديد. قال تعالى : ﴿ فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحۡنَ أَزۡوَٰجَهُنَّ ﴾ قيل : خطاب للأزواج وقيل : للأولياء)[3] .

(فلا تعضلوهن : أي لا تمنعوهن من نكاح أزواجهن ، وأصله التضييق ، يقال : عضل في الأمر أي ضاق ، ومنه قول عمر رضي الله عنه : أعضل بي أهل الكوفة ، قال الأزهري : أصل العضل من قولهم : المرأة إذا نشب ولدها فلم يسهل خروجه ، وعضلت الدجاجة نشبت بيضتها ، ومسألة معضلة إذا كانت صعبة لا يهتدى لوجه الصواب فيها لضيقها . وأعضل الأمر : اشتد ، وداء عُضال إذا عسرت مداواته)[4] .

فلا تعضلوهن أي فلا تمنعوهن ولا تضيقوا عليهن .

إذن العضل هو منع مع تضييق ومضارة ولذلك كان العضل منعا بدون وجه حق .

والعضل : الحبس والتضييق والحبس هو المنع .

---

(1) من سورة البقرة 2 : (الآية / 286) .

(2) من سورة البقرة 2 : (الآية / 232) .

(3) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني / 571 .

(4) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 368- 369 .

ولذلك قال الله : (لا تعضلوهن) أي لا تحبسوهن وتمنعوهن والمعنى الثاني : لا تضيقوا عليهن.

وهذه اللفظة جمعت المعنيين وقد أرادهما الله ويوضح هذا سبب نزول الآية وهو : عضل معقل بن يسار أخته أن ترجع إلى الزوج الأول وقيل : في جابر بن عبد الله حين عضل بنت عم له .

(فلا تعضلوهن) (إما أن يخاطب به الأزواج الذين يعضلون نساءهم بعد انقضاء العدة ظلما وقسرا ، ولحمية الجاهلية لا يتركونهن يتزوجن من شئن من الأزواج ، والمعنى : أن ينكحن أزواجهن الذين يرغبون فيهم ويصلحون لهن ، وإما أن يخاطب به الأولياء في عضلهن أن يرجعن إلى أزواجهن) [1] .

(والعضل قيل : المنع ، ومنه : عضل أمته من التزوج ، ومنه : دجاجة مُعضِل : أي احتبس بيضها ، وقيل أصله الضيق ، وعضلت المرأة أي نشب ولدها في بطنها ، وداء عضال أي ضيق العلاج ، والمعضلات : المشكلات لضيق فهمها) [2]

من تلك النصوص كلها يتبين لنا أن لفظة (لا تعضلوهن) أعطت المعنيين كليهما المنع والتضييق وفعلا منع الزوجة من زوجها يسبب ضيقا لكليهما ولذلك اختار الله هذه اللفظة لتؤدي المعنيين كاملين ولله الحمد والمنة .

الكلمة الرابعة عشرة : أفرغ من قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٢٥٠ ﴾ [3]

(فرغ : الفاء والراء والغين أصل صحيح يدل على خلوٍّ وسعة ذرع ، من ذلك الفراغ : خلاف الشغل) [4]

---

(1) الكشاف للزمخشري : ج1 / 140 .

(2) الدر المصون للسمين الحلبي : ج2 / 460 .

(3) من سورة البقرة 2 : (الآية / 250) .

(4) معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ج2 / 493 .

فلفظة أفْرِغْ تدل على الفراغ وعلى السعة ، فكأن هناك شيئا فارغا وواسعا ليُملأ ويصب فيه .

في الآية تصوير لمنتهى الخوف . قال الله تعالى : ﴿ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةَۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ ﴾[1] قال الله : أفرغ و لم يقل : أنزل لأنه أبلغ حيث يتحول المؤمنون إلى أوعية ليفرغ فيها الصبر حتى يملأها . كأنهم يقولون : يا ربنا حولنا إلى صبر فقط لحاجتنا إليه في هذه الشدائد .

(والفراغ في اللغة على وجهين : الفراغ من شغل ، والثاني : القصد لشيء والإفراغ : الصب ومنه : ﴿ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ ﴾[2] واستعير ذلك في المعاني فقيل : أفرغ الله علينا الصبر . قال تعالى : ﴿ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا ﴾ وأفرغت الإناء صببت ما فيه)[3]

﴿ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا ﴾ عبَّر المسلمون عن إلهامهم إلى الصبر بالإفراغ استعارة لقوة الصبر ، فإن القوة والكثرة يتعاوران الألفاظ الدالة عليهما . فاستعير الإفراغ هنا للكثرة مع التعميم والإحاطة . فالفراغ معناه : الخلوّ والسعة والكثرة والتعميم والإحاطة .

(﴿ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا ﴾ وفي هذا الدعاء من اللطافة وحسن الأسلوب والنكات ما لا تخفى . الإفراغ وهو يؤذن بالكثرة ، وفيه جعل الصبر بمنـزلة الماء المنصب عليهم لثلج صدورهم وإغنائهم عن الماء الذي منعوا عنه)[4]

فالإفراغ يدل على الكثرة والسعة والخلوّ .

---

(1) من سورة البقرة 2 : (الآيتان / 249 – 250) .

(2) من سورة الكهف 18 : (الآية / 96) .

(3) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 421 .

(4) روح المعاني للألوسي : ج2 / 172 .

وهكذا كانت لفظة أفرغ تدل على معنيين لم تؤدها لفظة أخرى فما أفصح ألفاظ القرآن الكريم! وما أروعها !

الكلمة الخامسة عشرة : لم يتسنه من قوله تعالى : ﴿ أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ ﴾[1]

((لَمْ يَتَسَنَّهْ) لم تغيره السنون التي أتت عليه ، قال ابن زيد : (لَمْ يَتَسَنَّهْ) لم يتغير في مئة سنة)[2]

قال الله : يتسنه و لم يقل : يتغير ، حيث أفادت اللفظة معنى التغير إضافة إلى الزمن الطويل عبر السنين .

إذن لفظة : يتسنه فيها معنى السنون وهي مشتقة من نفس اللفظة إضافة إلى معنى التغير .

((لم يتسنه) لم يتغير واشتقاقه من السنة على الوجهين لأن الشيء يتغير بمرور الزمان وقيل أصله يتسنن من الحمأ المسنون ، ويجوز أن يكون معنى لم يتسنه : لم تمر عليه السنون التي مرت عليه يعني هو بحاله كما كان كأنه لم يلبث مائة سنة)[3]

ومعنى لم يتسنه : أي لم يتغير بمر السنين عليه ، بل بقي على حاله .

(لم يتسن : فيه تأويلان :

أحدهما : معناه لم يتغير من الماء الآسن وهو المتغير .

والثاني : معناه لم تأت عليه السنون فيصير متغيرا)[4]

---

(1) من سورة البقرة 2 : (الآية / 259) .

(2) تفسير الطبري : ج3 / 39- 40 .

(3) الكشاف للزمخشري : ج1 / 157 .

(4) النكت والعيون للماوردي : ج1 / 332 .

(قال ابن قتيبة : لم يتغير بمر السنين عليه ، واللفظ مأخوذ من السنة ، يقال : سانهت النخلة إذا حملت عاما وحالت عاما)[1]

(قال مجاهد : لم يتسن : لم ينتن ، قال النحاس : أصل ما قيل فيه أنه من السنة أي لم تغيره السنين ، ويحتمل أن يكون من السنة وهي الجدب ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ ﴾[2] وقوله صلى الله عليه وسلم : ((واجعلها عليهم سنين كسني يوسف))[3] يقال منه: أسنت القوم أي أجدبوا ، فيكون المعنى : لم يغير طعامك القحوط والجدوب ، أو لم تغيره السنون والأعوام ، أي هو باق على طراوته وغضارته)[4]

فلفظة : لم يتسن لها معنيان : لم يتغير ، وأصلها مشتقة من السنة لأنه مرّ السنين يوجب التغير ولله الحمد والمنة .

(لم يتسنه : وحيدة في القرآن صيغة ومادة وهي صيغة يتفعل من (س ن هـ) قال أبو عبيدة في الآية : لم تأت عليه السنون فيتغير وليست من الأسن ، ولو كانت منها لكانت لم يتأسن .

في تفسير البخاري : لم يتغير ، ومعه في فتح الباري قال : لم يحمض التين والعنب و لم يختمر العصير بل هما حلوان كما كانا ، وفي تأويل الطبري : يعني لم تغيره السنون التي أتت عليه و لم ينتن ، وقال الراغب : لم يتغير بمر السنين و لم تذهب طراوته .

وتفسير التسنه بالتغير بمر السنين من شرح الكلمة في سياقتها بعد (مائة عام) . ولعل التعفن أقرب إلى التسنه بمر السنين ، من التغير وجفاف الطراوة من حيث يحتمل حدوثهما للطعام والشراب دون عفن وفساد . وبالتعفن يفترق التسنه عن التغير بدلالته على مطلق التغير من حال إلى حال وهو المعنى

---

(1) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي : ج1 / 311 .

(2) من سورة الأعراف 7 : (الآية / 130) .

(3) الحديث : رواه البخاري كتاب الأذان باب 128 ، ج2/ 290 ، رقم الحديث : 804 .

(4) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج2 / 191 .

المفهـــــــــــــــــــــــــــــــوم من التغير في آيات : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾[1])[2]

قد يضاف من هذا النص معنى جديدا إلى لفظة (لم يتسن) : وهو : لم يتعفن وهو داخل في معنى التغير لكنه أعمق منه حيث يصل التغير إلى التعفن والله أعلم .

الكلمة السادسة عشرة : فصرهن من قوله تعالى : ﴿ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ﴾[3]

(فصُرهنَّ بكسر الصاد وضمها ، لغتان بمعنى قطعهن أو أملهن ، وقال الفراء : الضم مشترك بين المعنيين والكسر بمعنى القطع فقط)[4] .

إذن كلمة صُرهن لها معنيان وكلاهما مقصود في الآية : المعنى الأول : أمِلهُن ، والمعنى الثاني : قطعهن .

(فصُرهنَّ : ضُمهن إليك وأمِلهُنَّ ، والأصور : المــائل العنق ، وقال بعضهم : قطعهن ، وقد قرئت بكسر الصاد والمعنى واحد ، قال ابن قتيبة : الكسر والضم لغتان ، وقال الفراء : أكثر العرب على ضم الصاد ، وعن ابن عباس في قوله تعالى : (فصرهن) قال : فشققهن)[5]

(فصُرهن إليك : قرئ بضم الصاد وكسرها فقيل لغتان بمعنى : أملهن ، وقيل بمعنى قطعهن ، وقيل من ضمّ أراد قطعهن صورة صورة ولا شك أن المادة تدل على القطع والانفصال)[6]

ما أجمل ألفاظ اللغة العربية كلمة واحدة لها معنيان : فالمرحلة الأولى سيدنا إبراهيم عليه السلام سيضم الطيور ويميلها ثم المرحلة الثانية يقطعها صورة صورة .

---

(1) من سورة الرعد 13 : (الآية / 11) .
(2) الإعجاز البياني للقرآن للدكتور عائشة عبد الرحمن : 540 – 541 .
(3) من سورة البقرة 2 : (الآية / 260) .
(4) روح المعاني للألوسي : ج2 / 29 .
(5) غريب القرآن وتفسيره لأبي عبد الرحمن عبد الله اليزيدي / 98 .
(6) عمدة الحفاظ للسمين الحلبي : 303 .

وفائدة الأمر بميلها إليه وضمها وإدنائها وتقريبها منه : أن يتأمل أحوالها حتى يعلم بعد إحيائها أنها لم ينتقل جزء منها عن موضعه .

(صُرهن : معناه قطعهن ، والصَّوْر : القطع ، وقيل المعنى : أملْهن إليك أي اضممهن واجمعهن إليك ، وفي الكلام متـــروك : فأملهن إليك ثم قطعهن)[1] .

(فصُرهن إليك : قرأ الجمهور بضم الصاد والمعنى : أملهن إليك يقال : صرت الشيء فانصار أي أملته فمال فمعنى الكلام : اجمعهن إليك ﴿ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ﴾ فيه إضمار قطعهن . قال ابن قتيبة : أضمر قطعهن واكتفى بقوله : ﴿ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ﴾ عن قوله (قطعهن) لأنه يدل عليه)[2]

الكلمة السابعة عشرة : تنـــزع من قوله تعالى :

﴿ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ ﴾[3]

(نزع الشيء : جذبه من مقره كنـــزع القوس عن كبده ويستعمل ذلك في الأعراض ، ومنه : نزع العداوة والمحبة من القلب ، قال تعالى : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾[4] وانتزعت آية من القـــــــرآن في كـــــذا ، ونــــــزع فــــــــلان كـــذا ، أي سلب قال تعالى : ﴿ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ ﴾)[5]

فالنـــزع : هو الجـــذب من المقر بقوة وشدة . قال الله تعالى : ﴿ وَٱلنَّـٰزِعَـٰتِ غَرْقًا ﴾[6] وهي الملائكة التي تنـــزع أرواح الكفار بصعوبة وشدة حيث لا تريد الخروج من أجسادها لأنها علمت مصيرها .

---

(1) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج2 / 196 .
(2) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي : ج1 / 314 .
(3) من سورة آل عمران 3 : (الآية / 26) .
(4) من سورة الأعراف 7 : (الآية / 43) .
(5) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني / 798 .
(6) من سورة النازعات 79 : (الآية / 1) .

(نزع : النون والزاي والعين أصل صحيح يدل على قلع شيء ، ونزعت الشيء من مكانه نزعا، والمِنـــزع : الشديد النـــزع)[1]

(والنـــزع حقيقة إزالة المجرم من مكانه : كنـــزع الثوب ونزع الباء من البئر ويستعار لإزالة الصفات والمعاني كما قال تعالى : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾[2])[2]

وهكذا يتبين لنا أن لكلمة (تنـــزع) معنيان : الجذب والقلع من المكان ، والمعنى الثاني : بقوة وشدة ، وهذا يؤكده معنى الجذب والقلع مثل قلع الضرس من مكانه ، والنـــزع في الآية ليس لشيء حسي وإنما لشيء معنوي وهو الملك ، ونزعه ليس بالمر السهل لشدة تعلق الإنسان بالدنيا وحبه لها لكن الله قادر على كل شيء يقول للأمر كن فيكون سبحانه .

الكلمة الثامنة عشرة : وسارعوا من قوله تعالى : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾[3]

المسارعة إلى الشيء : المبادرة إليه .

(والسرعة المشتق منها : سارعوا مجاز في الحرص والمنافسة والفور إلى عمل الطاعات التي هي سبب المغفرة والجنة ، ويجوز أن تكون السرعة حقيقية ، وهي سرعة الخروج إلى الجهاد عند النفير : ((وإذا استنفرتم فانفروا))[4]

والمسارعة على التقادير كلها تتعلق بأسباب المغفرة وأسباب دخول الجنة ، وجيء بصيغة المفاعلة ، مجردة عن معنى حصول الفعل من جانبين ، قصد المبالغة في طلب الإسراع ، والعرب تأتي بما يدل في الوضع على تكرر الفعل وهم يريدون التأكيد والمبالغة دون التكرير)[5]

---

(1) معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ج3 / 415 .

(2) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج3 / 68 .

(3) من سورة آل عمران 3 : (الآية / 133) .

(4) الحديث : رواه البخاري : كتاب الصيد باب 10 ، ج4/ ص46 ، رقم الحديث : 1834 .

(5) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج3 / 220 .

فلفظة سارعوا : تدل على السرعة إضافة إلى المبادرة والمبالغة في السرعة . فهي ليست سرعة عادية وإنما سرعة مضاعفة .

معنى سارعوا : بادروا وسابقوا . وهكذا لفظة واحدة في القرآن تدل على أكثر من معنى.

الكلمة التاسعة عشرة : زُحزح من قوله تعالى : ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾[1]

حقيقة فعل زحزح أنها جذب بسرعة ، وهو مضاعف زحَّه عن المكان : إذا جذبه بعجلة .

لم يقل الله : فمن أُبعد عن النار ، وإنما قال : زحزح لتدل على معنيين : الجذب والإبعاد ، والمعنى الثاني : العجلة والسرعة ، وهذا يدل على خطورة الشيء المبعد عنه وشدة إحراقه وهو النار .

(﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ ﴾ أي أُزيل عن مقره ونحي ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ ﴾[2] أي بمبعده ومنحيه ، وقيل هو من حـــ زّه يحزه أي دفعه ، وقيل: من زاح يزيح أو من الزَّوح وهو السوق الشديد ، يقال : زحزحته فتزحزح وانزاح أي تباعد لأنه يبعد عن الحق)[3]

فلفظة زحزح تدل على الإزالة والجذب والسوق بشدة وسرعة وعجلة وهذا يدل على أن لكل إنسان مكان في النار ومكان في الجنة ، فإن كان من أهل السعادة فإنه يُزال عن مكانه ومقره في النار وينحَّى عنه ويدخل الجنة . جعلنا الله وإياكم من أهلها .

(﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ ﴾ أي أُبعد عنها يومئذ ونحِّي ، والزحزحة في الأصل : تكرير الزحّ وهو الجذب بعجلة)[4]

---

(1) من سورة آل عمران 3 : (الآية / 185) .

(2) من سورة البقرة 2 : (الآية / 96) .

(3) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 218 .

(4) تنوير الأذهان من تفسير روح البيان للشيخ إسماعيل حقي البروسوي : ج1 / 300 .

الزحّ هو الإبعاد والتنحية عن المكان ، وعندما يكون الفعل مكررا زحزح مثل زلزل يكون المعنى مضاعفا أي الإبعاد والتنحية مضاعفة أي بعجلة وسرعة . فسبحان الله اللطيف الخبير ما أبلغ ألفاظ القرآن الكريم !

الكلمة العشرون : وعاشروهن من قوله تعالى : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ ﴾[1]

لم يقل الله : وعاملوهن وإنما قال وعاشروهن ، فالعِشرة تعطي معنى أعظم وأكبر من المعاملة حيث أخذت العشرة من العشيرة وهم أهل الرجل وقرابته الذين يتكثر بهم ، فكأن الزوجة من العشيرة الذين يفتخر الرجل بهم حيث تناصره وتدافع عنه .

(وعاشروهن : أي صاحبوهن ، يقال : عاشرته أي صحبته وأصله من العشيرة ، وذلك أن العشيرة هم أهل الرجل الذين يتكثر بهم أي يصـــيرون له . بمنـــزلة العدد الكامل ، وذلك أن العشرة هي العدد الكامل فصارت العشيرة اسما لكل جماعة من أقارب الرجل يتكثر بهم)[2]

عاشرته : صرت له كعشرة في المصاهرة .

فالله عز وجل يأمر الأزواج أن يصاحبوا زوجاتهم بالمعروف ، بالإضافة إلى معنى آخر في الصحبة وهو أن يصيروا لهم كعشرة في الصحبة بالمعروف ، والعشرة هو العدد الكامل أي فكونوا لهم كالعدد الكامل خلقا وأدبا وصحبة وعِشرَة .

عاشروهن : خالقوهن وصاحبوهن ، والمعاشرة هي المخالطة والممازجة لا التعامل بفوقية وتسلطية .

(وعاشروهن بالمعروف : أي طيبوا أقوالكم لهم وحسنوا أفعالكم وهيئاتكم بحسب قدرتكم كما تحب ذلك منها فافعل أنت بها مثله كما قال تعالى : ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾[3] وقـــــال رســـــــول الله صلى الله علـــــــــــيه وســـــلم : ((

---

(1) من سورة النساء 4 : (الآية / 19) .

(2) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 363 .

(3) من سورة البقرة 2 : (الآية / 228) .

خيـــــــــركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي)) [1] وكان من أخلاقه صلى الله عليه وسلم أنه جميل العشرة دائم البشر يداعب أهله ويتلطف بهم ويوسعهم نعـــــــــــــمة ، ويضــــــــــــــاحك نساءه حتى إنه كان يسابق عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها يتودد إليها بذلك) [2]

وهكذا كان الفعل عاشروهن مقصودا في الآية ليعطي دلالات واسعة من المخالطة والمصاحبة والممازجة لتصل إلى درجة العشرة .

المبحث الثاني

ما يحتمل ثلاثة معاني

الكلمة الأولى : نسبح من قوله تعالى : ﴿ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ ﴾ [3]

((ونحن نسبح بحمدك) فيها تأويلات :

أحدها : معناه نصلي لك ، وفي التنـــزيل : ﴿ فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ١٤٣ ﴾ [1] أي من المصلين، وهذا قول ابن عباس وابن مسعود .

---

(1) الحديث : رواه ابن ماجه كتاب النكاح باب 55 ، ج1/ 636 ، رقم الحديث : 1977 . قال الألباني صحيح، ورواه الترمذي : 3895 (5/ 709) وقال هذا حديث حسن غريب صحيح ، وقال الألباني صحيح ، ورواه ابن حبان : 4177 (9/ 484) قال شعيب : إسناده صحيح .

(2) تفسير القرآن العظيم لابن كثير : ج1 / 466 .

(3) من سورة البقرة 2 : (الآية / 30) .

والثاني : معناه نعظمك وهذا قول مجاهد .

والثالث : أنه التسبيح المعروف)[2]

للتسبيح في الآية ثلاثة معانٍ : الصلاة ، والتعظيم ، والتسبيح المعروف .

(السبح : المرُّ السريع في الماء وفي الهواء يقال : سبح سبحا وسباحة ، واستعير لمرّ النجوم في الفلك نحو : ﴿ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[3] وجري الفرس نحو : ﴿ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ ﴾[4] ولسرعة الذهاب في العمل نحو : ﴿ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ ﴾[5] والتسبيح : تنــزيه الله تعالى وأصله المرُّ السريع في عبادة الله تعالى ، وجُعل ذلك في فعل الخير كما جعل الإبعاد في الشر ، فقيل : أبعده الله ، وجعل التسبيح عاما في العبادات قولا كان أو فعلا أو نية ، قال : ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ قيل من المصلين والأولى أن يُحمل على ثلاثتها قال : (وَنَحْنُ نُسَبِّحُ))[6]

فالتسبيح تنــزيه الله وأصله : المرُّ السريع في عبادة الله سواء كانت نية أو قولا أو فعلا . فالتسبيح نية يكون بالتعظيم ، وبالقول يكون بقولنا : سبحان الله ، وبالفعل بالصلاة حيث يكون فيها التسبيح والتعظيم أي بالنية والقول والفعل .

(والتسبيح قول أو مجموع قول مع عمل يدل على تعظيم الله تعالى وتنــزيهه ولذلك سمى ذكر الله تسبيحا ، والصلاة سبحة ويطلق التسبيح على قول سبحان الله لأن ذلك القول من التنــزيه ، وقد ذكروا أن التســبيح مشتق من السبح وهو الذهاب السريع في الماء ، إذ قد توسع في معناه إذ أطلق مجازا على مر النجوم في السماء قال تعالى : ﴿ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾

---

(1) من سورة الصافات 37 : (الآية / 143) .

(2) النكت والعيون للماوردي : ج1 / 97 .

(3) من سورة الأنبياء 21 : (الآية / 33) .

(4) من سورة النازعات 79 : (الآية / 3) .

(5) من سورة المزمل 73 : (الآية / 7) .

(6) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني / 392 .

﴾[1] وعلى جري الفرس ، قالوا: فلعل التسبيح لوحظ فيه معنى سرعة المرور في عبادة الله تعالى ، وأظهر منه أن يكون سبح بمعنى نسب للسبح أي البعد وأريد البعد الاعتباري وهو الرفعة أي التنـــزيه عن أحوال النقائص)[2]

من هنا نستفيد أن التسبيح بمعانيه الثلاث يتضمن معنيين :

الأول : سرعة المرور في عبادة الله ، والثاني البعد وهو الرفعة أي تنـــزيه الله عن النقائص .

وقـــــــــــــــد وردت كلمة التسبيح باشتقاقات متعددة بالفعل الماضي والمضارع والأمر والمصدر (سبحان) .

الكلمة الثانية : يسومونكم من قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ﴾[3]

(وفي قوله تعالى : ﴿ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ﴾ ثلاثة تأويلات :

أحدها : معناه يولونكم من قولهم : سامه خطة خسف إذا أولاه .

والثاني : يجشمونكم الأعمال الشاقة .

والثالث : يزيدونكم على سوء العذاب ومنه مساومة البيع إنما هو أن يزيد البائع المشتري على الثمن ، ويزيد المشتري على ثمن)[4] .

والسيماء العلامة فكأنهم يعذبونهم ويولونهم ويجشمونهم الأعمال الشاقة ويكلفونهم حتى تظهر عليهم علامات التعذيب .

---

(1) من سورة يس 36 : (الآية / 40) .

(2) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج1 / 391 .

(3) من سورة البقرة 2 : (الآية / 49) .

(4) النكت والعيون للماوردي : ج1 / 118 .

(السوم : أصله الذهاب في ابتغاء الشيء ، فهو لفظ لمعنى مركب من الذهاب والابتغاء، وأجري مجرى الذهاب في قولهم : سامت الإبل ، فهي سائمة ، ومجرى الابتغاء في قولهم : سمت كذا، قال : ﴿ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ﴾)[1] .

فالسوم أصله الطلب والابتغاء ، ويسومونكم معناها : يطلبون منكم الأعمال الشاقة بل ويحملونكم عليها غصبا ويجشمونكم التعذيب ويزيدون عليه تذبيح الأبناء واستحياء النساء وإبقاءهم للخدمة كما قال الله تعالى : ﴿ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ ﴾[2] الواو في : (ويذبحون) تدل على معنى الزيادة على (يسومونكم) أي إضافة إلى سومكم العذاب : يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم .

(﴿ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ﴾ : أي يكلفونكم ذلك ويحملونكم عليه ومنه سامه خسفا أي حمله على مكروه ، وأصله الأرض التي لا يثبت عليها الماشي ، وأصل السوم الذهاب في ابتغاء الشيء)[3]

وكلمة يسومونكم توحي بالذل والاستعباد فكأن الأقباط كانوا يعاملون الإسرائيلين معاملة العبيد بل أكثر .

(معنى يسومونكم : يعاملونكم معاملة المحقوق بما عومل به ، يقال : سامه خسفا إذا أذله واحتقره ، فاستعمل سام في معنى أنال وأعطى ، وحقيقة سام : عرض السوم أي الثمن، وسوء العذاب أشده وأفظعه وهو عذاب التسخير والإرهاق وتسليط العقاب الشديد بتذبيح الأبناء وسبي النساء)[4]

إذن معاني كلمة يسومونكم :

1 -يولونكم ويذلونكم ويحتقرونكم ويديمون تعذيبكم .

---

(1) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني / 438 .

(2) من سورة إبراهيم 14 : (الآية / 6) .

(3) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 256 .

(4) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج1 / 475 – 476 .

2 -يطلبون منكم ويحملونكم ويجشمونكم الأعمال الشاقة .

3 -يزيدونكم سوء العذاب من تذبيح الأبناء وسبي النساء استعبادا لهن .

(يســـومونكم : قيل معناه يذيقونكم ويلزمونكم إياه ، وقال أبو عبيدة : يولونكم ، وقيل : يديمون تعذيبكم ، والسوم : الدوام ومنه سائمة الغنم لمداومتها الرعي) [1] .

وهكذا نجد أن كلمة يسومونكم أعطت دلالات كثيرة وكلها مرادة ويحتملها النص القرآني . فسبحان الله ما أبدع ألفاظ القرآن الكريم وأفصح دلالاتها .

الكلمة الثالثة : بـــاؤوا من قولـــه تعالى :

﴿ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ﴾ [2]

أي رجعوا به ولزموه واتخذوا الغضب منـــزلا (والمبوء المنـــزل الذي يلزمه نازله وأصله من البواء وهو اللزوم) [3]

(﴿ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [4] أي حلّ مبوأ ومعه غضب الله ، أي عقوبته ، وقوله: (بغـــــــــــضب) في موضع حال كخرج بسيفه أي رجع لا مفعول نحو : مرّ بزيد، واستعمال (باء) تنبيها على أن مكانه الموافق يلزمه فيه غضب الله فكيف غيره من الأمكنة ؟) [5] .

كلمة باؤوا تعني : رجعوا بالغضب ولزموه واتخذوه منـــزلا وكان الغضب مساويا وكفؤا لهم يستحقونه جزاء وفاقا لأفعالهم .

(بوأ : البـــاء والواو والهمزة أصلان : أحدهما : الرجوع إلى الشيء ، والآخر : تساوي الشيئين ، فالأول : الباءة والمباءة منـــزلة القوم ، ومن هذا الباب قولهم : باء

---

(1) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج1 / 261 .

(2) من سورة البقرة 2 : (الآية / 61) .

(3) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 66 .

(4) من سورة الأنفال 8 : (الآية / 16) .

(5) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني / 159 .

فلان بذنبه كأنه عاد إلى مبـــاءته محتملا لذنبه ، وقد بؤت بالذنب ، وباءت اليهود بغضب الله تعالى .

والأصل الآخر قول العرب : إن فلانا لبـــواء بفلان ، أي إن قتل به كان كفؤا) [1] .

فالبواء هو اللزوم والرجوع إلى الشيء والتساوي .

(﴿ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍۚ ﴾ [2] أي فرجعوا من تلك الصفقة وهي اشتراء أنفسهم بالخسران المبين ، وهو تمثيل لحالهم بحال الخارج بسلعته لتجارة فأصابته خسارة فرجع إلى مترله خاسرا ، شبه مصيرهم إلى الخسران برجوع التاجر الخاسر) [3] .

من هذا النص يتبين لنا معنيان من معاني كلمة باؤوا : الرجوع إلى المنـــزل المستحق بخسارة وغضب .

(باؤوا : أي انقلبوا ورجعوا أي لزمهم ذلك ، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام في دعائه ومناجاته : ((أبوء بنعمتك ، وأبوء بذنبي)) [4] أي أقرّ بها وألزمها نفـــسي. وأصله في اللغة : الرجوع ، يقال : باء بكذا أي رجع به ، وباء إلى المباءة وهي المنـــزل أي رجع . والبواء : الرجوع بالقوَد . وهم في هذا الأمر بواء أي سواء يرجعون فيه إلى معنى واحد) [5] .

والبوء الرجوع وأكثر ما يستعمل في الشر .

(1) معجم مقاييس اللغة لابن فارس : 312 – 313 .

(2) من سورة البقرة 2 : (الآية / 90) .

(3) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج1 / 588 .

(4) الحديث : رواه ابن ماجه كتاب الدعاء باب 14 ، ج2/ 1274 رقم الحديث : 3872 ، قال الألباني صحيح، ورواه أحمد : 23063 (356/5) قال شعيب إسناده صحيح رجاله ثقات ، ورواه أبو داود : 5072 (4/ 478) قال الألباني صحيح .

(5) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج1 / 292 .

نخلص من هذا إلى معاني كلمة باؤوا رجعوا ولزموا المنــزل (منــزل الغضــب)
وكان يســــــــــــاويهــــــــتم في العقــوبة فالله جل جلاله لا يظلم مثقال ذرة .
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ ﴾ [1]
(﴿ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِۗ ﴾ من قولك باء فلان بفلان إذا كان حقيقا بأن يقتل به لمساواته له ومكافأته أي صاروا أحقاء بغضبه وذلك بسبب كفرهم وقتلهم الأنبياء) [2]

تلك هي المساومة المقصودة في كلمة (باؤوا) حيث استحقوا ذلك الغضب وكانوا أحقاء بذلك .

(وفي قوله تعالى : ﴿ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِۗ ﴾ ثلاثة تأويلات :

أحدها : المنــزلة ومعناه : أنهم نزلوا بمنــزلة غضب الله .

والثاني : التسوية ومعناه : أنهم تساووا بغضب من الله .

والثالث : أن معناه أنهم رجعوا بغضب من الله . قال البواء : الرجوع) [3]

فما أبدع ألفاظ القرآن الكريم حيث أعطت كلمة واحدة ثلاثة معاني .

الكلمة الرابعة : انظرنا من قوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ ﴾ [4]

(﴿ وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا ﴾ أي انظر إلينا ، وقيل معناه : انتظرنا وتأنّ بنا وفهمنا) [5] .

(والنظر : الانتظار ، يقال : نظرته وانتظرته وأنظرته أي أخرته) [6]

---

(1) من سورة النساء 4 : (الآية / 40) .
(2) الكشاف للزمخشري : ج1 / 72 .
(3) النكت والعيون للماوردي : ج1 / 130 .
(4) من سورة البقرة 2 : (الآية / 104) .
(5) تفسير الخازن : ج1 / 72 .
(6) مفردات ألفاظ القرآن الكريم للراغب الأصفهاني / 813 .

من معاني كلمة انظرنا : انتظرنا وأخرنا وأيضا انظر إلينا ، والمعنى الثالث : أقبل إلينا وفهّمنا .

(﴿ وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا ﴾ أمروا أن يخاطبوه صلى الله عليه وسلم بالإجلال ، والمعنى : أقبل علينا وانظر إلينا ، وقال مجاهد : المعنى فهمنا وبين لنا ، وقيـــل : المعنى: انتظرنا وتأنَّ بنا، والظاهر استدعاء نظر العين المقترن بتدبر الحال)[1]

بمعنى أنه ليس فقط النظر المجرد ، وإنما المراد : فهمنا وبين لنا وأقبل علينا وانتظرنا وتأن بنا .

(﴿ وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا ﴾ أبدلهم بقولهم : (راعنا) كلمة تساويها في الحقيقة والمجاز وعدد الحروف والمقصود ، من غير أن يتذرع بها الكفار لأذى النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا من أبدع البلاغة ، فإن نظر في الحقيقة بمعنى حرس وصار مجازا على تدبير المصــــالح ، ومنه قول الفقهاء : هذا من النظر ، والمقصود منه الرفق والمراقبة في التيسير)[2]

وهكذا كلمات القرآن تعطي معاني كثيرة ، وكلها مرادة من النص القرآني .

الكلمة الخامسة : أفضتم من قوله تعالى :

﴿ فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِ ﴾[3]

(﴿ فَإِذَآ أَفَضۡتُم ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : معناه فإذا رجعتم من حيث بدأتم .

والثاني : أن الإفاضة : الدفع عن اجتماع كفيض الإناء عن امتلاء .

والثالث : أن الإفاضة الإسراع من مكان إلى مكان)[4]

---

(1) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج1/42 .

(2) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج1/ 633 .

(3) من سورة البقرة 2 : (الآية / 198) .

(4) النكت والعيون للماوردي : ج1/ 260 .

كلمة أفاض احتملت في اللغة وفي الآية الكريمة ثلاثة معان : 1) رجع من حيث بدأ ، أي سيرجع الحاج إلى مكة حيث بدأ منها . 2) ودفع عن اجتماع كبير وهو اجتماع الحجاج في عرفة ومزدلفة . 3) وأسرع .

(والإفاضة هنا : الخروج بسرعة ، وأصلها من فاض الماء إذا كثر على ما يحويه فبرز منه وسال ، ولذلك سموا الخروج من عرفة إفاضة لأنهم يخرجون في وقت واحد وهم عدد كثير فتكون لخروجهم شدة ، والإفاضة أطلقت في هاته الآية على الخروج من عرفة والخروج من مزدلفة .

والعرب كانوا يسمون الخروج من عرفة الدفع ، ويسمون الخروج من مزدلفة إفاضة ، وكلا الإطلاقين مجاز ، لأن الدفع هو إبعاد الجسم بقوة ، ومن بلاغة القرآن إطلاق الإفاضة على الخروجين ، لما في أفاض من قرب المشابهة من حيث معنى الكثرة دون الشدة . ولأن في تجنب (دفعتم) تجنبا لتوهم السامعين أن السير مشتمل على دفع بعض الناس بعضا ، لأنهم كانوا يجعلون في دفعهم ضوضاء وجلبة وسرعة سير فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك في حجة الوداع)[1]

يتبين لنا معاني كلمة : أفضتم خرجتم بسرعة ودفعتم عن كثرة . أي دفعتم منها بكثرة تشبيها بفيض الماء ، وبسرعة .

إذن جمعت كلمة أفضتم بين ثلاثة معان : الخروج ، والسرعة ، والكثرة . كلها دلالات توحي بها كلمة : أفضتم ، فما أبدع ألفاظ القرآن الكريم !!

الكلمة السادسة : يؤلون من قوله تعالى :

﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ﴾ [2]

---

(1) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج2/ 234 .

(2) من سورة البقرة 2 : (الآية / 226) .

قال الله يؤلون و لم يقل : يحلفون ، لأن الإيلاء يقتضي التقصير في حق المحلوف عليه ، وهو مشتق من الألو وهو التقصير ، ومنه لا يألو جهدا أي لا يقصر ، والإيلاء فيه إجحاف وتقصير في حق المرأة التي حلف زوجها أن لا يقربها ، وعدي الفعل بمن وحقه أن يُعدّى بعلى لأن الإيلاء ضمن معنى الابتعاد فكأنه الذي ابتعد من زوجته .

(ألو : الألو التقصير ، قال تعالى : ﴿ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا ﴾ [1] أي لا يقصرون في إفـــساد أمـــوركم ، ولا يتقون غاية في إيقاعكم في الفساد ، يقال : أصابه داء فخبل به ، ولا آلوه نصحا أي لا أقصر في نصحه ، قال الأزهري : الألو يكون جهدا ، ويكون تقصيرا ، ويكون استطاعة ، يقال : ما آلوه أي ما أستطيعه .

وقوله : ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ﴾ [2] أي يحلفون ، والألية : اليمين ، وضمن معناها الامتناع ، فتعدى بمن يقال : آلى من امرأته يولي إيلاء فهو مؤول ، قال الراغب : والألية الحلف المقتضي التقصير في الأمر الذي يحلف عليه ، والإيلاء في الشرع : الحلف المانع من جماع المرأة)[3]

إذن معاني كلمة يؤلون : يحلفون ويقصرون في حق نسائهم ، ويمتنعون ويبتعدون ويجتهدون ويستطيعون البعد عن نسائهم المدة المذكورة في الآية وهي أربعة أشهر .

فالإيـــلاء حلف على الامتناع والترك ، لأن التقصير لا يتحقق بغير معنى الترك ، وهو الذي يشهد به أصل الاشتقاق من الألو .

والامتناع والتـــرك يعطي معنى البعد فكأن الله قال : للذين يؤلون متباعدين من نسائهم.

فمعنى كلمة يؤلون : يحلفون ويمتنعون ويقصرون . وكلها تنطبق على اللفظة القرآنية وعلى المعنى المراد من الآية فسبحان الله .

---

(1) من سورة آل عمران 3 : (الآية / 118) .

(2) من سورة البقرة 2 : (الآية / 226) .

(3) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي : 22 .

الكلمة السابعة : واعتصموا من قوله تعالى :

﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾[1]

(واعتصم فلان بالله إذا امتنع من الشرِّ به ، وأعصمت فلانا : هيأت له ما يعتصم به، وكل متمسك بالشيء : مُعصِم ، وأعصم فلان إذا لزمك)[2]

(عصم : العين والصاد والميم أصل واحد صحيح يدل على إمساك ومنع وملازمة ، والمعنى في ذلك كله معنى واحد . من ذلك العصمة : أن يعصم الله تعالى عبده من سوء يقع فيه . واعتصم العبد بالله تعالى : إذا امتنع ، واستعصم : التجأ ، وتقول العرب : أعصمت فلانا أي هيأت له شيئا يعتصم بما نالته يده أي يلتجئ ويتمسك به .

والعصمة كل شيء اعتصمت به ، وعصمه الطعام : منعه من الجوع ، ومن الباب : العصمة : القلادة سميت بذلك للزومها العنق)[3]

نخلص من هذا على أن كلمة : اعتصمـــوا لها ثلاثة معاني : تمسكوا بأوامر الله ، والتزموا بها ، وامتنعوا بالله مثل قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾[4] أي يمنعك من الناس .

(والاعتصام : التمسك بالشيء قال تعالى : ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا ﴾[5]،

﴿ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ ﴾[6])[7]

---

(1) من سورة آل عمران 3 : (الآية / 103) .

(2) مجمل اللغة لابن فارس / 671 مادة عصم .

(3) معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ج2/ 331 ــــــــــــــ 333 .

(4) من سورة المائدة 5 : (الآية / 67) .

(5) من سورة آل عمران 3 : (الآية / 103) .

(6) من سورة آل عمران 3 : (الآية / 101) .

(7) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني : 570 .

(﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا ﴾ أي امتنعوا بالقرآن ، والاعتصام الامتساك بالشيء، والاستعصام الاستمساك ، قوله : ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ ﴾ أي استمسكوا به ، قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ ﴾ أي يتمسك ويمتنع)[1]

﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ أمر الله المسلمين بالاجتمـــاع على الدين وعدم التـــفرق ليكتســـبوا باتحادهم قوة ونماء . لـــكن لفـــظة (اعتصموا) أعطت معاني كثيرة منها : استمسكوا بمعنى التزموا بشدة ولا تـــتركوا الدين وامتنعوا بهذا الدين والقرآن ، أي احموا أنفسكم واحفظوها من المعاصي والذنوب بسبب تمسككم بالدين والقرآن .

والجملة القرآنية ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا ﴾ فيها تمثيل لهيئة اجتماع والتفاف المسلمين على دين الله ووصاياه وعهوده بهيئة استمساك جماعة بحبل ألقي إليهم من منـــقذ لهم من غرق أو سقوط .

وهكذا كان حبل الله هو دين الله المتين المنقذ من اعتصم به من أوحال الشرك والمعاصي والذنوب ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ ﴾[2] ، فمن اعتصم بالقرآن العظيم وبقوانين الشرع القويم فقد هُدي على صراط مستقيم ، وأمن من الغواية المؤدية إلى نار الجحيم .

الكلمة الثامنة : تفتأ من قوله تعالى : ﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ٨٥ ﴾[3]

---

(1) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي : 366 .
(2) من سورة لقمان 31 : (ألآية / 22) .
(3) من سورة يوسف 12 : (الآية / 85) .

تفتأ بمعنى (لا تزال) وهي من أخوات كان ، وفتئ في اللغة لها ثلاثة معاني : الأول : سكّن لأنه عندما لا يسكن فهو مستمر ، والثاني : نسي ، يقال : فتئت الأمر أي نسيته ، والثالث : أطفأ ، يقال : فتئ النار أي أطفأها .

والأصل أن يقال : لا تفتأ ، و لم تحذف لا إلا في هذا القسم ، ومن الناحية النحوية يجوز إثبات لا وحذفها ، وفتئ تفيد الاستمرار مستغنية عن حرف النفي ، لكن إخوة يوسف أقسموا على أمر لا يعلمونه حق العلم ، بل تصوروه فقط وهو غير مؤكد .

وفاقد العزيز من البشر يسكن بعد فترة وينسى إلا أن يعقوب عليه السلام لم يسكن و لم ينس بدليل قوله تعالى : ﴿ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ ﴾[1]

(﴿ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ ﴾ قال ابن الأنباري : معناه والله وجواب هذا القسم: لا المضمرة التي تأويلها : تالله لا تفتأ ، فلما كان موضعها معلوما خفف الكلام بسقوطها من ظاهره كما تقول العرب : والله أقصدك أبدا ، يعنون : لا أقصد وأما قوله تفتأ : فقال المفسرون وأهل اللغة معنى تفتأ تزال ، فمعنى الكلام لا تزال تذكر يوسف)[2] .

وجواب القسم هو جملة (تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ) والمقصود من هذا اليمين (تالله) الإشفاق عليه بأنه صائر إلى الهلاك بسبب عدم تناسيه مصيبة يوسف عليه السلام ، وليس المقصود تحقيق أنه لا ينقطع عن تذكر يوسف .

(ومعنى تفتأ : تفتر ، يقال : فتئ إذا فتر عن الشيء ، والمعنى : لا تفتر في حال كونك تذكر يوسف ، ولملازمة النفي لهذا الفعل ولزوم حال يعقب فاعله صار شبيها بالأفعال الناقصة)[3]

(وتفتأ : هنا ناقصة بمعنى لا تزال فترفع الاسم وهو الضمير ، وتنصب الخبر وهو الجملة من قوله (تذكر) أي لا تزال ذاكرا له ، ويقال : ما فتئ زيد ذاهبا .

---

(1) من سورة يوسف 12 : (الآية / 84) .

(2) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي : ج4 / 271 – 272 .

(3) التحرير والتنيور لابن عاشور : ج12 / 109 .

وفيها لغتان : فتأ على وزن ضرب ، وأفتأ على وزن أكرم ، وتكون تامة بمعنى سكَّن وأطفأ)[1] .

ومن هنا نصل إلى أن كلمة تفتأ لها ثلاثة معاني في هذه الآية الكريمة :

1 - لا تفتــر تذكر يوسف .

2 - لا تنسى تذكر يوسف .

3 - لا تسكن تذكر يوسف .

الكلمة التاسعة : فسينغضون من قوله تعالى : ﴿ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ۝٥١ ﴾[2]

(نغض : النون والغين والضاد أصل صحيح يدل على هز وتحريك ، من ذلك : النغضان : تحرك الأســــــــنان ، والإنغاض : تحريك الإنسان رأسه نحو صاحبه كالمتعجب منه قال الله سبحانه : ﴿ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ ﴾ والنِّغضُ : الظليم (ذكر النعامة) لاضطراب رأسه عند مشيه ، والناغض والنُّغض : غرضوف االكتف سمي لاضطرابه)[3]

المعنى الأول لكلمة : ينغضون يحركون رؤوسهم .

(﴿ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ ﴾ قال ابن عباس وقتادة : أي يحركون رؤوسهم استهزاءا وتكذيبا)[4]

المعنى الثاني للكلمة : تحريك الرؤوس استهزاء .

---

(1) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي : ج6 / 546 .

(2) من سورة الإسراء 17 : (الآية / 51) .

(3) معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ج3 / 454 .

(4) النكت والعيون للماوردي : ج3 / 248 .

(قال قتادة : يحركونها تكذيبا واستهزاءا ، قال الفراء : يقال : أنغض رأسه : إذا حركه إلى فوق وإلى أسفل ، وقال ابن قتيبة : المعنى يحركونها كما يحرك الآيس من الشيء والمستبعد له رأسه . يقال: نغضت سنه : إذا تحركت) [1] .

(فسينغضون إليك رؤوســـهم : أي يحـــركونها كما يحرك اليائس من المستبعد له رأسه) [2]

فتحريك رؤوس الكفار تحريك يائس ومتعجب ومستهزئ ومستبعد . فاليأس والتعجب والاستبعاد سببه الجهل بقدرة الله والكفر به ، والاستهزاء سببه الكبر والعناد .

(عن ابن عباس وقتادة : فسيهزون لك رؤوسهم برفع وخفض ، وكذلك المنغض في كلام العرب إنما هو حركة ارتفاع ثم انخفاض أو انخفاض ثم ارتفاع ، ولذلك سمى الظليم نغضا لأنه إذا عجل المشي ارتفع وانخفض وحرك رأسه .

فالإنغاض بمعنى التحريك مع الاهتزاز والاضطراب فليس كل تحركٍ إنغاضا .

ويقوى المعنى إذا فهمنا الآية . بهذا الملحظ من الارتجاف والاضطراب حين يصك سمعهم البرهان المفحم : ﴿ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۞ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ ﴾ [3]

فالإنغاض ليس فقط تحريك الرؤوس وإنما هو اهتزاز واضطراب وارتفاع وانخفاض يناسب حالة الكفار التي هم عليها من الاستهزاء واليأس والاستبعاد والغباء .

(والإنغاض : التحريك من أعلى إلى أسفل والعكس ، فانخفاض الرأس تحريكه كذلك وهو تحريك الاستهزاء) [4]

(إذا أُخبر بشيء فحرّك رأسه إنكارا له فقد أنغض) [5] .

---

(1) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي : ج5 / 45 .

(2) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة : 257 .

(3) من سورة الإسراء 17 : (الآيتان / 50 – 51) .

(4) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج14 / 103 .

(5) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي : ج7 / 368 .

فالإنكار قريب من الاستبعاد واليأس والتعجب وكلها تنطبق على الكفار الذين ينكرون البعث. المعنى الثالث : الغباء .

وهكذا يكون من معاني كلمة ينغضون : تحريك الرؤوس مع الاهتزاز والاضطراب والاستهزاء إضافة إلى الغباء ، حيث يسمى الظليم (ذكر النعامة) بالنَّغض لأنه غبي بل يضرب به المثل في الغباء حيث إذا طارده العدو وأراد أن يختبئ منه فإنه يدس رأسه الصغير في التراب ويبقى باقي جسمه الكبير خارجه وهو يظن أنه قد اختفى عن أعين العدو .

وكذلك لفظة (فسينغضون) تناسب سياق الغباء ، وهي تثير فينا إضافة إلى التحريك استهزاء قضية الغباء الشديد لهؤلاء الذين جاء السياق ليعبر عن أسوأ درجات غبائهم ، وذلك انه لما كان الإخبار عنهم قبل هذا يقتضي أنهم لا يفقهون معاني القرآن أتبع ذلك بأنهم يعرضون عن فهم ما فيه خير لهم فإذا سمعوا ما يبطل إلهية أصنامهم فهموا ذلك فولّوا على أدبارهم فورا ، ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ ﴾[1] .

الكلمة العاشرة : وقرْنَ من قوله تعالى : ﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ ﴾[2]

وقَرْن لها ثلاثة معاني :

المعنى الأول : من القرار في المكان وهي من قولهم قررْت في المكان أقرُّ .

المعنى الثاني : بمعنى قرة العين من الفعـــل قرِرْت . والمعنى : واقررن به عيونا في بيوتكن ، أي لكن في بيوتكن قرة عين ، فلا تتطلعن إلى ما جاوز ذلك ، فيكون ذلك كناية عن ملازمة بيوتهن .

المعنى الثالث : قرْن فعل أمر من : قار يقار إذا اجتمع ، ومنه القارة لاجتماعها .

---

(1) من سورة الإسراء 17 : (الآية / 46) .

(2) من سورة الأحزاب 33 : (الآية / 33) .

(قرّ في مكانه يقرّ قرارا ، إذا ثبت ثبوتا جامدا ، وأصله من القُرِّ وهو البرد ، وهو يقتضي السكون ، والحر يقتضي الحركة)[1]

إذن هنا يتضح معنى من معاني القرار وهو السكون والاستقرار في البيت .

(قرّ بالمكان يقرّ به بالفتح في المضارع ، أو من قارّ يقار أي اجتمع فيكون مثل خفى من الخوف ، ويوم القر يوم من أيام النحر لاستقرار الناس فيه بمنى)[2] .

نستنتج المعنى الثاني لكلمة (وقرْن) وهو الاجتماع حيث تجتمع المرأة بأهل بيتها وأسرتها بل هي بقرارها في بيتها مصدر الاجتماع والأنس والقرب وبدونها لا يحصل اجتماع .

(وقرْن : أي الزَمن بيوتكن فلا يخرجن لغير حاجة)[3]

((وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ) من القرار ، وقرة العين)[4]

فالقرار هو الاستقرار في البيت وعدم الخروج إلا لحاجة ، وفي هذا قرة العين والسعادة الكاملة للمرأة وللمجتمع كله فإن المرأة إذا خرجت من بيتها زيّنها الشيطان في عيون الرجال وأول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء .

(﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ هذا أمر خُصِّصْن به وهو وجوب ملازمتهن بيوتهن توقيرا لهن ، وتقوية في حرمتهن ، فقرارهن في بيوتهن عبادة . وقرأ نافع وعاصم بفتح القاف وهي لغة أهل الحجاز من قرَّ بمعنى أقام واستقرّ يقولون : قرِرت في المكان ، وزعم بعضهم أن قرِرت بكسر الراء في الماضي لا يرد إلا في معنى قرة العين ، وزعم النحاس أن تفسير الآية على هذه القراءة أنها من قرة العين ، وأن المعنى : واقررْن عيونا في بيوتكن ، أي كلنّ في بيوتكن قرة عين فلا تتطلعن إلى ما جاوز ذلك ، أي فيكون كناية عن ملازمة بيوتهن . وقرا بقية العشرة (وقِرن) بكسر القاف

---

(1) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني / 662 .

(2) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 451 .

(3) تفسير القرآن العظيم لابن كثير : ج3 / 482 .

(4) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة / 350 .

من القرار ، ومن الوقار ، فيكون كناية عن ملازمة بيوتهن مع الإيماء إلى علة ذلك بأنه وقار لهن)[1]

من هنا نصل إلى معاني كلمة : (وقرن) أي استقرار في بيوتكن والزموها ، واجتمعوا بأفراد أسرتكم وقروا عينا بذلك ولا تتذمروا فبقاؤكم في البيت عبادة لأنه استجابة لأمر الله سبحانه .

(وقرن : قرأ نافع وعاصم بفتح القاف والباقون بكسرها ، فأما الفتح فمن وجهين : أنه أمر من قررتُ في المكان أقرّ به بالفتح ، والوجه الثاني : أنها أمر من قار يُقار كخاف يخاف إذا اجتمع . ومنه القارة لاجتماعها)[2]

(وأما قراءة أهل المدينة وعاصم فعلى لغة العرب : قررت في المكان إذا أقمت فيه ، وقال المازني: قرِرت به عينا بالكسر من قرة العين)[3]

وهكذا كان لكل قراءة معان متعددة مما يدل على سعة معاني ألفاظ اللغة العربية وكلها مرادة من النص القرآني فسبحان الله العليم الحكيم ! .

الكلمة الحادية عشرة : أوّبي من قوله تعالى : ﴿ يَـٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ۝١٠ ﴾[4]

(أوّبي معه : سبحي معه إذا سبح ، والتأويب عند العرب : الرجوع ومبيت الرجل في منـــزله وأهله)[5]

من هنا نستنتج معنيين لكلمة أوبي : سبحي معه ليس مرة واحدة فقط وإنما رددي معه كلما ردّد لأن التأويب معناه الترجيع والترديد .

---

(1) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج21 / 242 .

(2) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي : ج9 / 121 .

(3) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج7 / 116 .

(4) من سورة سبأ 34 : (الآية / 10) .

(5) تفسير الطبري : ج10 / 349 .

(التأويب : سير النهار ومعناه هنا رجّعي بالتسبيح كلها)[1] .

هنا أُضيف معنى آخر للتأويب وهو سير النهار . فيكون معنى أوّبي : سبحي معه مرددة مرجعة نهارا .

(والتأويب : الترجيع أي ترجيع الصوت ، وقيل : التأويب بمعنى التسبيح لغة حبشية فهو من المعرب في اللغة العربية)[2]

لذلك كان لكل كلمة (أوبي) ثلاثة معاني : سبحي معه ، ورجعي معه ، وسيري معه حيث شاء .

(﴿ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ ﴾ أي وقلنا يا جبال أوبي معه ، أي سبحي معه ، لأنه قال تبارك وتعالى : (﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ١٨ ﴾[3] ومعنى تسبيح الجبال : هو أن الله تعالى خلق فيها تسبيحا كما خلق الكلام في الشجرة ، فيُسمع منها ما يُسمع من المسبح معجزة لداود عليه الصلاة والسلام وقيل : المعنى : سيري معه حيث شاء من التأويب الذي هو سير النهار أجمع وينـــزل الليل .

وقيل : رجعي معه من آب يؤوب إذا رجع أوْبا وأوْبه وإيابا)[4]

فكأن الله أمر الجبال والطير بترديد التسبيح مع سيدنا داود عليه السلام النهار كله إلى الليل .

(قال الزجاج : المعنى : وقلنا : يا جبال أوّبي معه أي رجّعي معه والمعنى : سبحي معه ورجّعي التسبيح ، ومن قرأ : أُوبي معناه : عودي في التسبيح معه كلما عاد ، وقال ابن قتيبة: أوّبي أي سبحي وأصل التأويب في السير وهو أن يسير النهار كله وينزل ليلا فكأنه أراد : ادأبي النهار كله بالتسبيح إلى الليل)[5]

والتأويب الترجيع وهو الترديد وفيه معنى الرجوع أي ارجعي معه إذا رجع في آخر النهار.

---

(1) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 32 .

(2) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج22 / 25 .

(3) من سورة ص 38 : (الآية / 18) .

(4) الجامع لحكام القرآن للقرطبي : ج7 / 170 .

(5) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي : ج6 / 435 .

(أوبي معناه : ارجعي معه لأنه مضاعف آب يؤوب ، فقال ابن عباس وقتادة معناه : سبحي معه أي يسبح هو وترجع هي معه التسبيح ، أي ترده بالذكر ثم ضوعف الفعل للمبالغة ، وقيل معناه : سيري معه لأن التأويب سير النهار ، كان الإنسان يسير بالليل ثم يرجع السير بالنهار أي يردده فكأنه يؤوبه فقيل له التأويب)[1]

وهكذا كان لكلمة أوّبي ثلاثة معاني وكلها مرادة ويحتملها النص القرآني وتحتملها اللغة العربية . فما أعظم القرآن الكريم حين نزل باللغة العربية الرائعة من رب الأرض والسماوات .

(1) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية : ج4 / 407 .

المبحث الثالث

ما يحتمل أكثر من ثلاثة معاني

الكلمة الأولى : يقيمون من قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ٣ ﴾[1]

(يقال قام يقوم قياما فهو قائم ، وجمعه قيام وأقامه غيره ، وأقام بالمكان إقامة ، والقيام على أضرب : قيام بالشخص إما بتسخير أو اختيار ، وقيام للشيء هو المراعاة للشيء والحفظ له ، وقيام هو على العزم على الشيء ، وقوله : ﴿ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ أي يديمون فعلها ويحافظون عليها ، والقيام والقوام اسم لما يقوم به الشيء أي يثبت)[2]

لم يقل الله : يؤدون الصلاة أو أدوا الصلاة ، وإنما قال : أقيموا الصلاة ويقيمون الصلاة، والتأدية غير الإقامة ، فالتأدية تأديتها بأي شكل كان ، أما الإقامة فإقامتها بأركانها وشروطها وخشوعها حتى تكون فعلا مستقيمة كاملة .

(وفي قوله تعالى : ﴿ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ تأويلان :

أحدهما : يؤدونها بفروضها .

والثاني : أنه إتمام الركوع والسجود والتلاوة والخشوع فيها وهذا قول ابن عباس ، واختلف لم سمي فعل الصلاة على هذا الوجه إقامة لها على قولين :

أحدهما : من تقويم الشيء من قولهم : قام بالأمر إذا أحكمه وحافظ عليه .

---

(1) من سورة البقرة 2 : (الآية / 3) .

(2) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني / 690

والثاني : أنه فعل الصلاة سمي إقامة لها لما فيها من القيام ، فلذلك قيل : قد قامت الصلاة)[1]

من معاني يقيمون :

1ــ يعدّلون : من تقويم الشيء أي تعديله ، أي كان معوجا فعدّلته وقومته ، أي يقيمون الصلاة معدلة كاملة مستقيمة .

2 ـــــ يؤدون : عبّر عن الأداء بالإقامة ، لأن القيام بعض أركانها ، ولذلك قيل : قد قامت الصلاة .

3 ــــــــــــــ يداومون ويحافظون عليها ، أي لا يتركون منها صلاة .

4 ــــــــــــــ يقيمون الصلاة أي يؤدونها بنشاط وهمة وعزيمة ، ولا يفترون عنها .

(ومعنى إقامة الصلاة :

1) تعديل أركانها وحفظها من أن يقع زيغ في فرائضها وسننها وآدابها من أقام العود إذا قوّمه.

2) أو الدوام عليها والمحافظة عليها كما قال عز وعلا : ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[2] ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[3] من قامت السوق إذا نفقت وأقامها ، لأنها إذا حوفظ عليها كانت كالشيء النافق الذي تتوجه إليه الرغبات ، ويتنافس فيه المحصلون ، وإذا عطـــلت وأضيعت كانت كالشيء الكاسد الذي لا يرغب فيه .

3) أو التجـــلد والتشمر لأدائها ، وأن لا يكون في مؤديها فتور عنها ولا توان ، من قولهم : قام بالأمر وقامت الحرب على ساقها ، وفي ضده : قعد عن الأمر وتقاعد عنه إذا تقاعس وتـــثبط .

4) أو أداؤها : فعبر عن الأداء بالإقامة لأن القيام بعض أركانها ، كما عبر عنه بالقنوت ، والقنوت : القيام ، وبالركوع وبالسجود ، وقالـــوا سبَّح إذا صلى لوجود التسبيح فيها ﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾[4])[1]

---

(1) النكت والعيون للماوردي : ج1/ 69 .

(2) من سورة المعارج 70 : (الآية / 23) .

(3) من سورة المؤمنون 23 : (الآية / 9) .

(4) من سورة الصافات 37 : (الآية / 143) .

وإذا تعددت معاني اللفظة دلَّ ذلك على أهمية الشيء المقرون بها وهو الصلاة لأنها عمود الدين ، ويجب الإتيان بها بنشاط كما قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ ﴾ (2) كـلـمة (فاسعوا) تدل على النشاط إذ الكسل صفة تدل على النفاق ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ ﴾ (3)

(وأصل القيام في اللغة هو الانتصاب المضاد للجلوس والاضطجاع ، وإنما يقوم القائم لقصد عمل صعب لا يتأتى من قعود ، فيقوم الخطيب ويقوم العامل ويقوم الصانع ويقوم الماشي ، فكان للقيام لوازم عرفية مأخوذة من عوارضه اللازمة ، ولذلك أطلق مجازا على النشاط في قولهم : قام بالأمر ، ومن أشهر استعمال هذا المجاز قولهم قامت السوق وقامت الحرب ، وقالوا في ضده : ركدت ونامت ويفيد في كل ما يتعلق به معنى مناسبا لنشاطه المجازي)(4)

وامتدح الله المؤمنين بـ (يقيمون الصلاة) بالفعل المضارع ليدل على المواظبة والتكرر والمداومة . وإلى هذا المعنى أشار عمر بقوله : (من حفظها وحافظ عليها حفظ دينه ، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع) .

الكلمة الثانية : أركسهم من قوله تعالى :

﴿ ۞ فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ ﴾ (5)

(أركسهم : فيها خمسة تأويلات :

أحدها : معناه : ردَّهم ، وهذا قول ابن عباس .

والثاني : أوقعهم ، وهذا مروي عن ابن عباس .

والثالث : أهلكهم ، وهذا قول قتادة .

---

(1) الكشاف للزمخشري : ج1/ 22.

(2) من سورة الجمعة 62 : (الآية / 9) .

(3) من سورة النساء 4 : (الآية / 142) .

(4) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج1/ 228 .

(5) من سورة النساء 4 : (الآية / 88) .

والرابع : أضلَّهم ، وهذا قول السدي .

والخامس : نكسهم ، وهذا قول الزجاج)[1]

أركسهم : أي ردهم إلى الكفر فصاروا مشركين ، وأوقعهم بسبب نفاقهم ومعاصيهم في الكفر وأهلكهم وأضلَّهم لأنه لا أضل ممن رأى النور ثم حاد عنه ، وتعمد الكذب والكفر ، ونكسهم لأن الركس في اللغة : النكس وقلب الشيء على رأسه أو رد أوله على آخره .

(أركسهم : أي ردهم في حكم المشركين كما كانوا ، (بما كسبوا) من ارتدادهم ولحوقهم بالمشركين واحتيالهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أركسهم في الكفر بأن خذلهم حتى أركسوا فيه لما علم مرض قلوبهم)[2]

إذن أركسهم تحتمل كل المعاني المذكورة لغة وتنطبق على المنافقين ، لأن معنى أركس ردَّ إلى الركس ، والركس قريب من الرجس ، وقيل : معنى أركس : نكس أي ردَّ ردا شنيعا . (بما كسبوا) وقد جعل الله ردهم على الكفر جزاء لسوء اعتقادهم وقلة إخلاصهم في دينهم .

(والإركاس : الردّ والرّجْــع ، والرّكس والنّكس : الرّذل . وقيل : الإركاس الإضلال ، وقيل: **هو** التنكيس)[3]

وهكذا اتسعت معاني كلمة أركسهم ليشملها النص القرآني ويتسع لها ، وهي فعلا حالة المنافقين .

الكلمة الثالثة : تبسل من قوله تعالى : ﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَعِبٗا وَلَهۡوٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ وَذَكِّرۡ بِهِۦٓ أَن تُبۡسَلَ نَفۡسُۢ بِمَا كَسَبَتۡ لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ وَإِن تَعۡدِلۡ كُلَّ عَدۡلٖ لَّا يُؤۡخَذۡ مِنۡهَآ ﴾[4]

---

(1) النكت والعيون للماوردي : ج1/ 515 .

(2) الكشاف للزمخشري : ج287/1 .

(3) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي : ج4/ 61 .

(4) من سورة الأنعام 6 : (الآية / 70) .

(البسل : منع الشيء وانضمامه ، ولدلالته على المنع ، قيل للمحرَّم والمرتهن بسل ، ومنه قوله تعالى : { أن تبسل نفس بما كسبت } أي تمنع الثواب أو هي مرتهنة بكسبها ومنه قوله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ ﴾[1] ، وقيل معنى تبسل نفس : أي تسلم للهلكة ، والمتبسل الذي يقع في مكروه لا مخلص له منه ، وأبسل فلان بجريرته أي أسلم للهلكة ، والبسل وإن كان بمعنى الحرام إلا أنه أخص من الحرام ، لأن الحرام يقال في الممنوع بقهر وبغيره ، والبسل لا يقال إلا في الممنوع بقهر ، وأبسلت المكان جعلته بسلا أي محرما على غيري)[2]

من معاني كلمة تبسل : تمنع الثواب ، وتقطب جبينها لتحقيق معنى الانضمام لأنه ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع ، وتسلم للهلكة بسبب ذنوبها ، ويحرم دخولها للجنة .

(والإبســـال : الارتهان ، ويقال : أبسلت ولدي وأهلي أي ارتهنتهم ، وقيل : الإبسال : أن يسلم الرجل نفسه للهلكة)[3]

يضاف إلى معاني كلمة تبسل : أي ترتهن بعملها وكسبها فتحاسب عليه ولا ينفك عنها .

(معنى أن تبسل عند الفراء أي ترتهن ، قال والعرب تقول : هذا عليك بسل أي حرام وهو في الأضداد ، يقال للحلال والحرام { أن تبسل } أي ترتهن وتسلم ، والأقرب في البسل أن يكون من حبس ارتهان حرمـــوا به التثواب ، ومنه قولهم للمحروم والمرتهن مبسل)[4]

نضيف معنى آخر لكلمة تبسل : تحبس .

(وفي قوله : { أن تبسل } ستة أوجه :

أحدها : أن تُسلم ، قاله الحسن وعكرمة ومجاهد والسدي .

والثاني : أن تُحبس ، قاله قتادة .

والثالث : أن تُفضح ، قاله ابن عباس .

والرابع : أن تُؤخذ بما كسبت ، قاله ابن زيد .

والخامس : أن تُجزى ، قاله الكلبي .

---

(1) من سورة المدثر 74 : (الآية / 38) .

(2) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 49 .

(3) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي : ج4/ 681 .

(4) الإعجاز البياني للقرآن للدكتورة عائشة عبد الرحمن / 422 ـــــــــ 423 .

والسادس : أن ترتهن ، قاله الفراء من قولهم أسد باسل ، لأن فريسته مرتهنة معه لا تفلت منه .

وأصل الإبسال : التحريم من قولهم : شراب بَسْل أي حرام)[1]

وكل هذه المعاني تنطبق على كلمة تبسل حيث تحتملها اللغة العربية ، ويحتملها النص القرآني ، فما أجمل هذه اللغة ! وما أبلغ هذا القرآن الكريم !

الكلمة الرابعة : لا تركنوا من قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾[2]

(قوله تعالى : ﴿إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ ﴾[3] كناية عمن يستند إليه ، والركن في الأصل : جانب الدار الذي يستند إليه ، فعبر به عنه عن من يقصده الإنسان ويلجأ إليه ، قوله تعالى : ﴿ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ ﴾[4] أي بما كان يركن إليه أي يميل ويتقوى به من جنده ، وقوله تعالى : ﴿لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ ﴾[5])[6]

لا تركنوا أي لا تميلوا إلى الظالمين ، ولا تلجئوا إليهم ولا تستندوا إليهم ولا تـــتقوا بهم .

(﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ﴾) فيها أربع تأويلات :

أحدها : لا تميلوا ، قاله ابن عباس .

الثاني : لا تدنوا ، قاله سفيان .

الثالث : لا ترضوا أعمالهم ، قاله أبو العالية .

---

(1) النكت والعيون للماوردي : ج2/ 130ــ 131 .

(2) من سورة هود 11 : (الآية / 113) .

(3) من سورة هود 11 : (الآية / 80) .

(4) من سورة الذاريات 51 : (الآية / 39) .

(5) من سورة الإسراء 17 : (الآية / 47) .

(6) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 210 .

الرابع : لا تدهنوا لهم في القول ، وهو أن يوافقهم في السر ولا ينكر عليهم في الجهر . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝٩ ﴾[1] أي لا تميلوا ولا تقربوا من الظالمين ولا ترضوا أعمالهم ولا تداهنوهم بل يجب عليكم تبيين الحق وإنكار المنكر .

((وَلَا تَرْكَنُوٓاْ) من أركنه إذا أماله ، والنهي متناول للانحطاط في هواهم والانقطاع إليهم ومصاحبتهم ومجالستهم وزيارتهم ومداهنتهم والرضا بأعمالهم والتشبه بهم والتزيي بزيهم ومدِّ العين إلى زهرتهم وذكرهم بما فيه تعظيم لهم ، وتأمل قوله (وَلَا تَرْكَنُوٓاْ) فإن الركون هو الميل اليسير وقوله (إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ) أي إلى الذين وجد منهم الظلم و لم يقل إلى الظالمين)[2]

فما أبدع هذا اللفظ (وَلَا تَرْكَنُوٓاْ) أي لا تميلوا ميلا يسيرا فالظلم ظلمات يوم القيامة، والظلم عاقبته وخيمة ، والميل إلى الظلم تأييد للظالم وإعانة له ، وأي فعل يدل على إعانة الظالم ، من ميل أو مداهنة أو قرب أو رضا بأعماله ، فهو أخطر من الظالم نفسه ، وخاصة إذا كان هذا المجالس من العلماء فقد أخذ الله الميثاق على العلماء ليبينن العلم للناس ولا يكتمونه .

الكلمة الخامسة : ولا تَنيا من قوله تعالى :

﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ۝٤٢ ﴾[3]

ولا تنيا : أي لا تضعفا ولا تفترا (يقال ونى في الأمر يني إذا ضعف فيه وقصَّر في تحصيله ونْيا، والونى الفتور)[4]

ولا تنيا أي ولا تقصرا ، إذن الونى فيه معنى الضعف والفتور والتقصير .

(﴿ وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴾ فيه أربعة أقاويل :

أحدها : لا تفترا في ذكري .

---

(1) من سورة القلم 68 : (الآية / 9) .

(2) الكشاف للزمخشري : ج2 / 237 .

(3) من سورة طه 20 : (الآية / 42) .

(4) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 645 .

الثاني : لا تضعفا في رسالتي . قاله قتادة .

الثالث : لا تبطئا . قاله ابن عباس .

الرابع : لا تزالا .)

من معاني كلمة ولا تنيـــا : لا تبطئا ولا تزالا على ذكري حتى أنصركما وأدافع عنكما .

(﴿ وَلَا تَنِيَا ﴾ أي لا تنسياني ولا أزال منكما على ذكر حيثما تقلبتما واتخذا ذكري جناحا تطيران به مستمدين بذلك العون والتأكيد مني معتقدين أن أمرا من الأمور لا يتمشى لأحد إلا بذكري ، ويجوز أن يريد بالذكر تبليغ الرسالة فإن الذكر يقع على سائر العبادات وتبليغ الرسالة من أجلّها وأعظمها فكان جديرا بأن يطلق عليه اسم الذكر)[1]

لا تنيا في ذكـــري : استمرا في ذكري ، أو لا تزالا في ذكري أو لحياة الأجساد (﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾)[2]

(الوني : الفتور ، والواني : المقصر في أمره ، وزعم بعضهم أنه يكون من أخوات زال وانفك فيعمل بشرط النفي أو شبهه عمل كان فيقال : ما وني زيد قائماً أي ما زال قائما)[3]

إذن لا تنيا أي لا تزالا على ذكري ، فإن ذكركما إياي يقوي عزائمكما ويثبت أقدامكما .

وفي تفسير الطبري (لا تنيا : لا تبطئا)[4]

(لا تنيا : عن مجاهد لا تضعفا ، وعن ابن عباس : لا تبطئا ، وعن ابن زيد : الواني الغافل ، ولا يني : لا يزال ، قال القرطبي : والونى الضعف والفتور والكلال والإعياء وكله مراد في الآية .

وفي الونى من دلالة الإبطاء والتقصير وفتور الهمة والعزيمة ما ليس في الضعف ، أكثر ما يكون في العجز ضعف القوة والطاقة لا عن توان وتقصير بالضرورة ، والعربية فرقت بين ما يكون من التواني تراخيا وفتورا وإبطاء ، ومن الأناة حلما وتمهلا .

---

(1) الكشاف للزمخشري : ج2 / 434 .

(2) من سورة الرعد 13 : (الآية / 28) .

(3) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي : ج 8 / 40 – 41 .

(4) تفسير الطبري : ج 8 / 419 .

ومعنى التقصير والفتور أقرب إلى الونى من تفسيره بمطلق الضعف الذي قد يكون عن اضطرار وعجز)[1]

وهكذا تظهر لنا معاني كلمة ولا تنيا : لا تضعفا ، ولا تفترا ، ولا تبطئا ، ولا تنيا ، ولا تزالا ، ولا تقصرا وكلها مرادة من النص القرآني وتحتملها اللغة العربية فما أجملها من لغة !!

الكلمة السادسة : عنت من قوله تعالى : ﴿ ۞ وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ ﴾[2]

(﴿ وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ ﴾ أي خضعت مستأسرة بعناءٍ ، يقال : عنيته بكذا أي أنصبته ، وعني : نصب واستأسر ، ومنه العاني للأسير) .

فالفعل : عنا معناه : خضع واستأسر وتعب .

((وعنت) فيه خمسة أوجه :

أحدها : أي ذلت ، والثاني : خشعت قاله مجاهد ، والفرق بين الذل والخشوع وإن تقارب معناهما هو أن الذل أن يكون ذليل النفس والخشوع : أن يتذلل لذي طاعة ، والثالث: عملت ، والرابع : استسلمت . والخامس ، أنه وضع الجبهة والأنف على الأرض في السجود)[3]

من معاني الفعل عنا : خشع وذلّ واستسلم وسجد لله . وهذه المعاني تدل على حالة الناس يوم القيامة فهم كالأسرى خاضعين خاشعين ذليلين مستسلمين .

(ومعنى عنت في اللغة : القهر والغلبة ، ومنه فتحت البلاد عنوة أي غلبة ، وقيل : هو من العناء بمعنى التعب وكنى عن الناس بالوجوه لأن آثار الذل إنما تتبين في الوجه)[4] .

من معاني الفعل عنا أيضا : قهر وغلب وتعب .

---

(1) الإعجاز البياني للقرآن للدكتورة عائشة عبد الرحمن / 335 .

(2) من سورة طه 20 : (الآية / 111) .

(3) النكت والعيون للماوردي : ج3 / 427 – 428 .

(4) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج6 / 165 .

(﴿ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ﴾ والمراد بها وجوه العصاة كقوله تعالى : ﴿ سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾[1] والمعنى ذلت الوجوه يوم الحشر ، وخضعت للحي القيوم خضوع العناة أي الأسارى في يد ملك قهار)[2]

(قال الزجاج : عنت في اللغة خضعت يقال عنا يعنو إذا خضع ، ومنه قيل : أخذت البلاد عنوة إذا أخذت غلبة وأخذت بخضوع من أهلها والمفسرون على أن هذا في يوم القيامة)[3]

وهكذا نجد أن للفعل عنا معانٍ كثيرة أهمها الخضوع والذل والخشوع والتعب والاستسلام والقهر والغلبة وكلها مرادة من السياق القرآني وتحتملها اللغة العربية .

الكلمة السابعة : يوزعون من قوله تعالى : ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَـٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[4]

(يقال : وزعته عن كذا : كففته عنه قال تعالى : (فهم يوزعون) إشارة إلى أنهم مع كثرتهم وتفاوتهم لم يكونوا مهملين ومبعدين ، كما يكون الجيش الكثير المتأذي بمعرّتهم بل كانوا مسوسين ومقموعين ، وقيل في قوله : (يوزعون) أي حُبِـــس أولهم على آخرهم ، وقوله : ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾[5] فهذا وزع على سبيل العقوبة ، كقوله : ﴿ وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ ﴾[6] وقيل : لا بد للسلطان من وزعة ، وقيل : الوزوع الولوع بالشيء . يقال : أوزع الله فـــلانا : إذا ألهمه الشـــكر)[7] .

يوزعون لها عدة معانٍ منها : يُكفون ، ويُساسون ، ويُقمعون ، ويُحبسون .

---

(1) من سورة الملك 67 : (الآية / 27) .
(2) تنوير الأذهان من تفسير روح البيان : ج2 / 445 .
(3) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي : ج5 / 324 .
(4) من سورة النمل 27 : (الآية / 17) .
(5) من سورة فصلت 41 : (الآية / 19) .
(6) من سورة الحج 22 : (الآية / 21) .
(7) مفردات الألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني / 868 .

(يوزعون : أي يكفون عن بعضهم ، وفي التفسير : يحبس أولهم على آخرهم ، وفي ذلك إشارة حسنة إلى أنهم مع كثرتهم وخروجهم عن الجمع المعتاد في الجيوش وحواشي الملوك وخدمهم ليسوا مهملين متروكين عند من يزعمهم أي يكفهم بل هم مقموعون مقهورون مسوسون تحت قهر سليمان عليه السـلام مع انتشارهم وخروجهم عن حد الكثرة في تباين أجناسهم وأنواعهم ، قوله : (أوزعني) أي ألهمني كذا جاء في التفسير ، قال بعضهم : وتحقيقه ، والمعنى بذلك : اجعلني بحيث أزع نفسي عن الكفران ، قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾[1] هذا على سبيل العقوبة أي يحبسون للعقاب)[2]

من معاني كلمة يوزعون : يُقمعون ويُقهرون ويُمنعون .

فالجنود من الجن والإنس والطير مع كثرتهم وتعدد أجناسهم وأنواعهم في قمة النظام حيث كان هناك منظمون قادة لهؤلاء الجنود ولذلك فهم يوزعون أي يمنعون من الفوضى والانتشار بدون ترتيب.

((يُوزَعُونَ) فيها ستة أوجه :

أحدها : يساقون ، وهو قول ابن زيد .

الثاني : يدفعون ، قاله الحسن .

الثالث : يحبسون قاله المبرد .

الرابع : يجمعون .

الخامس : يسجنون .

السادس : يمنعون مأخوذ من وزعه عن الظلم وهو منعه عنه ، ومنه قول عثمان رضي الله عنه : ما وزع الله بالسلطان أكبر مما وزع بالقرآن ، والمراد بهذا المنع ما قاله قتادة : أن يُرد أولهم على آخرهم ليجتمعوا ولا يتفرقوا)[3]

---

(1) من سورة النمل 27 : (الآية / 83) .

(2) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 629 .

(3) النكت والعيون للماوردي : ج4 / 199 .

يُضاف إلى معاني كلمة يوزعون : يُساقون ، ويدُفعون ويُجمعون ويُسجنون .

(الوزع عند أهل اللغة : الكف والمنع وأوزعه بالشيء أغراه به ، وقال بعض أهل اللغة : أوزعت حرف من الأضداد ، يقال : أوزعت الرجل إذا أغريته بالشيء وإذا نهيته وحبسته عنـــه: (فهم يوزعون) ، والصحيح عندنا أن يكون أوزعت بمعنى أمرت وأغريت ، ووزعت بمعنى حبست والدليل عليه قوله تعالى : ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ﴾[1] .

ولعل أصل المعنى في اللغة : الدفع والسوق قسرا ، فالموزَع مساق بإرادة غيره ، ويأخذ الدفع صفة الإرغام فيمن يوزعون إلى المحشر ، ويأخذ صفة الحمل والتوجيه في الدعاء ، ومن ملحظ التشتت والحيرة والبعثرة في سوق الجمع قسرا جاء معنى التفرق في الأوزاع)[2]

توحي كلـــمة يوزعون : بالقسر والإرغام ، وتوحي بالتشتت والحيرة والبعثرة والتفرق .

(والوزع : الكف عما لا يراد ، فشمل الأمر والنهي ، أي فهم يُؤمرون فيأتمرون ، ويُنهون فينتهون ، فقد سخّر الله له الرعية كلها)[3]

وهكذا تعددت معاني ودلالات كلمة يوزعون لتعطي جمال اللغة العربية واتساع دلالاتها وخاصة ألفاظ القرآن الكريم .

الكلمة الثامنة : يصدون من قوله تعالى : ﴿ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ ﴾[4]

(الصّدّ : المنع مأخوذ من صدَّ الجبل وهو ما يحول بينك وبينه ، ومنه الصديد وهو ما حال بين اللحم والجلد من القيح ، وعليه قوله تعـــالى : ﴿ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴾[5] والصد قد يكون انصرافا عن الشـــيء وامـــتناعا نحو قوله تعالى : ﴿ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ ﴾

---

(1) من سورة الأحقاف 46 : (الآية / 15) .

(2) الإعجاز البياني للقرآن للدكتورة عائشة عبد الرحمن / 507 – 509 .

(3) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج19/ 237 .

(4) من سورة الزخرف 43 : (الآية / 57) .

(5) من سورة إبراهيم 14 : (الآية / 16) .

[1] ، وقد يكـــون صرفا ومنعا نحو ﴿ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ ﴾[2] ، الصد الإعراض ومنه قوله تعالى : ﴿ إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ ﴾[1] وقرئ بكـــــسر الصـــــاد أي يضـــــــــــــجون ، يقـــــــــــــال صدّ يصدّ أي يضج)[3]

من معاني كلمة يصدون : يمنعون غيرهم من الدخول في الإسلام ، ويعرضون هم عن الخير والدين والقرآن وينصرفون ويمتنعون ويضجون ، ويصخبون .

(﴿ إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ أي يضجون كضجيج الإبل عند حمل الأثقال ، وقرأ بعض القراء (نافع وابن عامر والكسائي) يصُدون بضم الصاد ومعناه : يعرضون ، وكسر الباقون ، قال الكسائي هما لغتان مثل يعرِشون ويعرُشون ومعناه : يضجون ، ، قال الجوهري وصَدَّ يصُد صديدا أي ضج ، وقيل : إنه بالضم من الصدود وهو الإعراض وبالكسر من الضجيج . قال الضحاك : يعجُّون ، ابن عباس : يضحكون . أبو عبيدة : من ضم فمعناه يعدلون فيكون المعنى : من أجل الميل يعدلون)[4]

من معان كلمة يصدون : يعجون ويضحكون ويعدلون وكلها تنطبق على حال الكفار .

((يَصِدُّونَ) فيه قراءتان :

إحداهما بكسر الصاد ، والثانية بضمها ، فاختلف أهل التفسير في اختلافهما على قولين :

أحدهما : معناه واحد وإن اختلف لفظهما في الصيغة مثل يشِد ويشُد . فعلى هذا في تأويل ذلك أربعة أوجه :

أحدها : يضجون . الثاني : يضحكون .

الثالث : يجزعون . الرابع : يعرضون .

والقول الثاني : معناهما مختلف وفيه ثلاثة أوجه :

---

(1) من سورة النساء 4 : (الآية / 61) .

(2) من سورة النساء 4 : (الآية / 160) .

(3) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي : 288 .

(4) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج8 / 69 .

أحدها : أنها بالضم يعدلون ، وبالكسر يتفرقون .

الثاني : أنه بالضم يعتزلون ، وبالكسر يضجون .

الثالث : أنه بالضم من الصدود ، وبالكسر من الضجيج)[1]

الكلمة التاسعة : تحبرون من قوله تعالى :

﴿ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ ﴾[2]

(حبر : الحاء والباء والراء أصل واحد منقاس مطرد ، وهو الأثر في حسن وبهاء ، فالحبار الأثر، والحبر : الجمال والبهاء ، والمحبَّر : الشيء المزيَّن ، وقد يجيء في غير الحسن أيضا قياسا ، فيقولون : حبـــِر الرجل إذا كان بجلده قروح فبرئت وبقيت لها آثار ، والحَبْرة : الفرح قال الله تعالى : ﴿ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ﴾[3])[4]

الحبور هو الفرح والسرور الذي ينعكس أثره على الوجه فيضفي عليه حسنا وجمالا ، قال الله تعالى : ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ ٣٨ ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ ﴾[5]

(الحبرُ : الأثر المستحسن ، والحَبر العالم وجمعه أحبار لما يبقى من أثر علومهم في قلوب الناس ومن آثار أفعالهم الحسنة المقتدى بهم . وقوله عز وجل ﴿ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ﴾ أي يفرحون حتى يظهر عليهم حبار نعيمهم)[6]

([1]) النكت والعيون للماوردي : ج / 233 – 234 .

(2) من سورة الزخرف 43 : (الآية / 70) .

(3) من سورة الروم 30 : (الآية / 15) .

(4) معجم مقاييس اللغة : ج1 / 127 .

(5) من سورة عبس 80 : (الآيتان / 38 – 39) .

(6) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني / 215 – 216 .

والتحبير التحسين ، والحبرة السرور ، والحبرة النعمة ، وحبرت الشيء : أي حسنته وبينته، وتحبرون : تسرون وتفرحون وتنعّمون حتى يظهر عليكم الفرح والسرور ، وتفرحون حتى يظهر أثر ذلك الفرح على وجوهكم من الحسن والجمال والبياض والبهاء قال الله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾[1] .

(تحبرون : تُسرّون من الحبور وهو السرور الشديد . يقال : حبره إذا سره سروراً تهلل له وجهه وظهر فيه أثره)[2]

فالحبور هو السرور الشديد الذي تتهلل له أسارير الوجه وتنبسط ، وتظهر على الوجه آثاره .

(يحبرون : قال الضحاك وابن عباس : يُكرمون وقيل : يُنعمون ، وقيل : يُسرُّون ، السدي : يفرحون . والخبرة عند العرب : السرور والفرح ، وقال الجوهري : الحبور هو السرور، (تحبرون) أي ينعمون ويكرمون ويسـرون ، وقـال يحيى بن أبي كثير[3] : ﴿ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾ قال : السماع في الجنة ، وقال الأوزاعي[4] : إذا أخذ أهل الجنة في السماع لم تبق شجرة في الجنة إلا رددت الغناء بالتسبيح والتقديس ، وقال الأوزاعي : ليس أحد من خلق الله أحسن صوتا من إسرافيل ، فإذا أخذ في السماع قطع على أهل سبع سماوات صلاتهم وتسبيحهم)[5]

من معاني الحبور : التكريم والنعيم الإلهي والسماع الذي هو الغناء في الجنة . وفي الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على بشر .

(وفي (تحبرون) ستة تأويلات :

---

(1)من سورة آل عمران 3 : (الآية / 107) .

(2) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج12 / 26 .

(3) يحيى بن أبي كثير : كان ذا بصر وهدى واجتهاد وتقى ، وكان يعد من أصحاب الحديث ، أحد الأعلام الأثبات، من أهل البصرة ، سكن اليمامة ، توفي 129ه . ميزان الاعتدال ج402/4 .

(4) الأوزاعي : عبد الرحمن بن عمرو ، أبو عمرو ، إمام الدار الشامية في الفقه والزهد ، له كتاب السنن في الفقه والمسائل ، توفي 157هـ . ينظر الأعلام للزركلي : ج3/ 320 .

(5) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج7 / 10 .

أحدها : تكرمون ، قاله ابن عباس ، والكرامة في المنـــزلة .

الثاني : تفرحون ، قاله الحسن ، والفرح في القلب .

الثالث : تـــتنعمون ، قاله قتادة ، والنعيم في البدن .

الرابع : تسرون ، قاله مجاهد ، والسرور في العين .

الخامس : تعجبون والعجب هاهنا درك ما يستطرف .

السادس : أنه التلذذ بالسماع ، قاله يحيى بن أبي كثير)[1]

الكلمة العاشرة : هوى من قوله تعالى : ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾[2]

(﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾ أي سقط ، قيل عن الثريا وقيل : أراد نجوم القرآن فيكون هوى بمعنى نزل ، وهذا من باب تحسين اللفظ ، وإلا فالسقوط والنـــزول متقاربان ويقال هوى يهوي سقط ، وهوِي بالكسر يهوى بالفتح أي مال وأحب ، قال تعالى : ﴿ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ﴾[3] أي تميل وتحب)[4]

من معاني الفعل هوى : سقط ونزل ، والهُويّ يكون من علو إلى أسفل .

(وفي قوله تعالى : (**إِذَا هَوَىٰ**) ستة أقاويل :

أحدها : النجوم إذا رقي إليها الشياطين قاله الضحاك .

الثاني : إذا سقط .

الثالث : إذا غاب .

الرابع : إذا ارتفع .

الخامس : إذا نزل .

(1) النكت والعيون للماوردي : ج5 / 238 .

(2) من سورة النجم 53 : (الآية / 1) .

(3) من سورة البقرة 2 : (الآية / 87) .

(4) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 612 .

السادس : إذا جرى ومهواها جريها ، لأنها لا تفتر في جريها : في طلوعها وغروبها وهذا قول أكثر المفسرين)[1]

يضاف إلى معاني هوى : غاب وارتفع ورقى وجرى وكلها تنطـبق على الآية الكريمة .

وإذا كان إحدى معاني هوى : سقط فإن السقوط إما حقيقي كما يحصل للشهب التي تسقط، وإما مجازي والمقصود به غروب النجم وغيابه .

(وفي ذكر (**إِذَا هَوَىٰ**) احتراس من أن يتوهم المشركون أن في القسم بالنجم إقرار لعبادة نجم الشعرى وأن القسم به اعتراف بانه إله إذا كان بعض قبائل العرب يعبدونها ، فإن حالة الغروب المعبر عنها بالهوي حالة انخفاض ويغيب في تخيل الرائي لأنهم يعدون طلوع النجم أوجا لشرفه ويعدون غروبـــــــــــــــــه

حضيـــــــــــــــــــــــــــــــــــــضا ولذلك قال الله تعالى : ﴿ **قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ** ﴾[2] . فيكون قوله : (**إِذَا هَوَىٰ**) إشعارا بان النجوم كلها مسخرة لقدرة الله مسيرة في نظام أوجدها عليه ولا اختيار لها فليست أهلا لأن تعبد فحصل المقصود من القسم بما فيها من الدلالة على القدرة الإلهية مع الاحتراس عن اعتقاد عبادتها)[3]

وفي تفسير أبي السعود جعل للفعل هوى ثلاث معانٍ فقال :

(﴿ **وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ** ﴾ المراد بالنجم إما الثريا فإنه اسم غالب له أو جنس النجوم ، وبهويه غروبه وقيل : طلوعه ، يقال : هوى هَويا بوزن قبول إذا غرب ، وهُويا بوزن دخول إذا علا وصعد ، وأما النجم من نجوم القرآن فهويه نزوله)[4]

إذن المعاني الثلاث هي : غرب ، وطلع ، ونزل .

---

(1) النكت والعيون للماوردي : ج5 / 390 .

(2) من سورة الأنعام 6 : (الآية / 76) .

(3) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج27 / 98 – 99 .

(4) تفسير أبي السعود : ج4/ 154 .

(قال ابن عباس : يعني الثريا إذا سقطت وغابت ، والعرب تسمي الثريا نجما ، وقيل هي نجوم السماء كلها وهويها غروبها فعلى هذا لفظه واحد ومعناه الجمع ، وروى عن ابن عباس أنه الرجوم من النجوم وهي ما ت رمى به الشياطين عند استـــراق السمع ، وقيل : هي النجوم إذا انتثرت يوم القيامة ، وقيل : أراد بالنجم القرآن سمي نجما لأنه نزل نجوما متفرقة في عشرين سنة وهو قول ابن عباس أيضا ، وقيل : النجم هو النبت الذي لا ساق له وهويه سقوطه إذا يبس على الأرض ن وقيل: النجم هو محمد صلى الله عليه وسلم وهويه نزوله ليلة المعراج من السماء)[1]

من معاني الفعل هوى : سقط وغاب ، وغرب ، ورمى به الشياطين ، ونـــزل وانتشـــر ، ويبس على الأرض .

وهكذا تعددت معاني اللفظة القرآنية الواحدة لتعطي دلالات أوسع وأفق أرحب .

الكلمة الحادية عشرة : تبتَّل من قوله تعالى :

﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ٨ ﴾[2]

(قال تعالى : ﴿ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ٨ ﴾ أي انقطع في العبادة وإخلاص النية انقطاعا يختـــــــــــــــــــــــــــــــص به ، وإلى هـــــــــــــــــــــــــــــذا المعــــــــــــنى أشار بقوله عز وجل : ﴿ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ٩١ ﴾[3])[4]

فالتـــبتل هو الانقطاع للعبادة مع إخلاص النية لله عز وجل .

(التبتيل : الانقطاع والانفراد أي انقطع لعبادته ، وانفرد بها عن الناس وأخلص نيتك انقطاعا يختص به)[5]

---

(1) تفسير الخازن : ج4 / 190 .

(2) من سورة المزمل 73 : (الآية / 8) .

(3) من سورة الأنعام 6 : (الآية / 91)

(4) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني / 107.

(5) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 38 .

هنا معنى ثالث لكلمة التبتيل وهو الانفراد فيكون معنى تبتل : انقطع لعبادته وانفرد بها عن الناس وأخلص نيتك انقطاعا يختص به .

(التبتل : الانقطاع إلى عبادة الله عز وجل ، أي انقطع بعبادتك إليه ، ولا تشرك به غيره . يقال : بتلت الشيء أي قطعته ، ومنه قولهم : طلقها بتة بتلة أي بائنة منقطعة عن صاحبها ، وهذه صدقة بتة بتلة أي قطع ملكه عنها بالكلية ، ومنه مريم البتول لانقطاعها إلى الله تعالى ، ويقال للراهب : متبتل لانقطاعه عن الناس وانفراده بالعبادة ، وقيل : إن أصله عند العرب : التفرد قاله ابن عرفة[1] ، ومعنى الآية : انقطع عن الأوثان والأصنام وعن عبادة غير الله ، وكذلك قال مجاهد معناه: أخلص له العبادة والتبتل المأمور به : الانقطاع إلى الله بإخلاص العبادة كما قال تعالى : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[2]، والتبتل المنهي عنه : هو سلوك مسلك النصارى في ترك النكاح والترهب في الصوامع)[3]

فالانقطاع عن الأوثان والأصنام وعن عبادة غير الله ، والانفراد لله بالعبادة وإخلاصها له سبحانه من معاني التبتل .

(فإن قلت : كيف قيل : تبتيلا مكان تبتلا قلت : لأن معنى تبتل : تبِّل نفسك فجيء به على معناه مراعاة لحق الفواصل)[4]

فالأصل أن يقال وتبتلا إليه تبتلا ، أما الفعل تبَّل فيأتي المصدر تبتيلا .

(﴿ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : أخلص إليه إخلاصا قاله مجاهد .

الثاني : تعبد له تعبدا قاله ابن زيد .

الثالث : انقطع إليه انقطاعا قاله أبو جعفر الطبري ومنه مريم البتول لانقطاعها إلى الله تعالى . وجاء في الحديث النهي عن التبتل الذي هو الانقطاع عن الناس والجماعات .

---

(1) ابن عرفة : علي بن المظفر بن إبراهيم الكندي الوداعي علاء الدين ، ويقال له ابن عرفة ، أديب متفنن شاعر عارف بالحديث والقراءات ، له التذكرة الكندية خمسون جزءا توفي 716هـ . ينظر الأعلام ج5/ 23 .

(2) من سورة البينة 98 : (الآية / 5) .

(3) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج10/ 30 .

(4) الكشاف للزمخشري : ج4 / 153 .

الرابع : وتضرع إليه تضرعا) [1]

من معاني الفعل تبتل : أخلص ، وتعبد ، وانقطع وانفرد وتضرع وكلها مرادة من النص القرآني وتحتملها اللغة العربية .

(والتبتل : شدة البتل يقصد من صيغته المبالغة في حصول الفعل (تبتَّلْ) حتى كأنه فعله غيره به فطاوعه ، والتبتل : الانقطاع أي تفرغ البال والفكر إلى ما يرضي الله ، فكأنه انقطع عن الناس وانحاز إلى جانب الله .

ولما كان التبتيل قائما بالمتبتل تعين أن تبتليه قطعه نفسه عن غير من تبتل هو إليه فالمقطوع عنه هنا هو من عدا الله تعالى فالجمع بين (تبتلا وتبتيلا) مشير إلى إراضة النفس على ذلك التبتل .

والمراد بالانقطاع المأمور به انقطاع خاص وهو الانقطاع عن الأعمال التي تمنعه من قيام الليل ومهام النهار في نشر الدعوة ومحاجة المشركين ولذلك قيل : (وتبتل إليه) أي إلى الله ، فكل عمل يقوم به النبي صلى الله عليه وسلم من أعمال الحياة فهو لدين الله ، فإن طعامه وشرابه ونومه وشؤونه للاستعانة على نشر دين الله . وكذلك منعشات الروح البريئة من الإثم مثل الطيب وتزوج النساء والأنس إلى أهله وأبنائه وذويه .

وليس هو التبتل المفضي إلى الرهبانية وهو الإعراض عن النساء وعن تدبير أمور الحياة لأن ذلك لا يلاقي صفة الرسالة .

ومن أكبر التبتل إلى الله الانقطاع عن الإشراك وهو معنى الحنـــــفية ولذلـــــك عقب قوله : (﴿ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾) بقـــولـــه ﴿ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [2] .

وخلاصة المعنى : أن النبي صلى الله عليه وسلم مأمور ألا تخلو أوقاته عن إقبال على عبادة الله ومراقبته والانقطاع للدعوة لدين الحق) [3] .

---

(1) النكت والعيون للماوردي : ج6 / 128 .

(2) من سورة المزمل 73 : (الآية / 9) .

(3) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج29 / 248 .

فالتبتل أيضا تفرغ البال والفكر إلى ما يرضي الله ، وترويض النفس وتربيتها على التبتل .

ومن معاني التبتل : كل عمل يوصل إلى رضا الله وإلى الدعوة إلى دينه القويم ، فليس التبتل هو الجلوس في المنازل وترك الدعوة إلى الدين . فما أوسع دلالات كلمة (تبتل) .

الكلمة الثانية عشرة : اتسق من قوله تعالى : ﴿ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴾[1]

(الوسق : جمع الأشياء المتفرقة ، وقيل : الوسق ضمك الشيء إلى الشيء بعضه إلى بعض ، قوله تعالى : ﴿ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴾ هو افتعال من ذلك ، والمعنى : اجتمع ضوؤه في الليالي البيض ، وقال مجاهد : استوى ، وقال ابن عرفة : تتابع لياليه حتى انتهى منـــتهاه ، وقيل : امتلاء وهي تفاسير)[2]

(واتسق : انتظم)[3]

تعددت معاني الكلمة (اتسق) : اجتمع ضوء القمر ، واستوى وانتظم وتكامل ضوؤه وامتلأ فأصبح بدرا .

(﴿ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : إذا استوى ، قاله ابن عباس ، وقولهم : اتسق الأمر إذا انتظم واستوى .

الثاني : والقمر إذا استدار . قاله عكرمة .

الثالث : إذا اجتمع ، قاله مجاهد .

ويحتمل رابعا : إذا طلع مضيئا)[4]

كأن القمر ليالي البدر ينتظم ضوؤه ويجتمع ويستدير ويطلع مضيئا .

(﴿ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴾ أي امتلأ ، قال الفراء : وهو امتلاؤه واستواؤه ليالي البدر ، وهو افتعل من الوسق وهو الضم والجمع ، وأمر فلان متسقٌ أي مجتمع على ما يستر)[1]

---

(1) من سورة الانشقاق 84 : (الآية / 18) .

(2) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 631 .

(3) القاموس المحيط للفيروز أبادي : ج299/2 .

(4) النكت والعيون للماوردي : ج6/ 238 .

فالاتساق : امتلاء للقمر واستواء ليالي البدر ، وهو ضم وجمع وانتظام واستدارة وإضاءة.

(﴿ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴾ أي تم واجتمع واستوى ، قال الحسن : اتسق أي امتلأ واجتمع . ابن عباس : استوى ، قتادة : استدار ، الفراء : اتساقه : امتلاؤه واستواؤه ليالي البدر ، وهو افتعال من الوسق الذي هو الجمع ، يقال : وسقته فاتسق ، كما يقال : وصلته فاتصل ، ويقال : أمر فلان متسق أي مجتمع على الصلاح منتظم ، ويقال : اتسق الشيء : إذا تتابع)[2]

اتسق معناه : تم واجتمع واستوى واستدار وامتلأ وتتابع ، واتساق القمر اجتماع ضيـــائه وذلك في ليلة البدر ، وأقسم الله بتلك الحالة لأنها مظهر نعمة الله على الناس بضيائه .

وحالة اتساق القمر توحي بالإحكام والنظام وبديع صنع الله ، ولذلك يضاف إلى معاني اتسق: معنى آخر هو تناسق وأحكم .

(وفي الاتساق من اطراد النسق والإحكام والنظام ما يفوت لفظ الاجتماع ، ولعل الاجتماع منظور فيه إلى الوسق ، فكل شيء وسقته فقد جمعته ، ثم جاء الاتساق للإحكام وانتظام النسق واطراده)[3]

وهكذا تعددت معاني الفعل اتسق ليدل على جمال ألفاظ القرآن الكريم حيث اللفظة الواحدة لها دلالات كثيرة لتزيد المعنى سعة واللفظ بهاء .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

---

(1) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي : ج10/ 737 .

(2) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج10/ 183.

(3) الإعجاز البياني للقرآن للدكتورة عائشة عبد الرحمن / 352 .

خاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين :

بفضل الله ومنـــته تم الانتهاء من رسالة الدكتوراه الموسومة بـــ (الألفاظ القرآنية وأثر تقلباتها ودلالاتها اللغوية في التفسير) التي أبحرت فيها بين كتب اللغة وكتب التفاسير ، وكان الهدف منها : إبراز جانب من جوانب إعجاز القرآن الكريم ألا وهو الإعجاز البياني الذي يوضح فصاحة القرآن الكريم وبلاغته ، وأن اللفظة الواحدة منه لها دلالات واسعة في تعدد المعاني الذي يعطي عمقا أكبر في فهم القرآن الكريم الذي أنزله الله لتدبر آياته :

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾[1]

ولعله بعد تلك الدراسة يمكن التوصل إلى أهم النتائج التالية :

1ـــ تمَّ تقسيم الرســـالة إلى فصلين : (الأسماء ، الأفعال) كل فصل إلى ثلاثة مباحث : (ما يحتمل معنيين ، ما يحتمل ثلاثة معاني ، ما يحتمل أكثر من معنى) ، وكان ترتيب الألفاظ في كل مبحث مرتبا حسب ترتيب السور في القرآن الكريم ، ليكون البحث مرتبا ومنظما .

---

(1) من سورة ص 38 : (الآية / 29) .

2ـــ إن دراسة الألفاظ القرآنية هي نقطة الانطلاق لفهم كتاب الله الكريم وتطبيقه في واقع الحياة .

3ـــ إن تعدد المعاني للفظة الواحدة يزيد من إيماننا بأن القرآن الكريم بلغ المنزلة العليا في الفصاحة والبلاغة ، ويُدخل في الإسلام من أراد الله هدايته ، لأن مثل هذه الدراسة تسليط للضوء على أهم أنواع الإعجاز ، ألا وهو الإعجاز البياني .

4ـــ إن اختلاف المعاني للفظة الواحدة أعطى الفقهاء مجالا رحبا لاستنباط الأحكام من تلك المعاني التي تحتملها تلك الألفاظ العربية ، فينشأ من ذلك مذاهب فقهية متعددة ، وهي مصدر رحمة للأمة الإسلامية ، فاختلاف العلماء رحمة .

5ـــ أن القرآن الكريم يحتاج إلى دراسات كثيرة وطويلة ومتعمقة لألفاظ القرآن الكريم لاستخراج الإعجاز البياني بشكل واضح .

6ـــ إن كتب اللغة والتفاسير تسيران جنبا إلى جنب في خدمة الإعجاز البياني للقرآن ، ومليئة بالدرر والجواهر والأصداف ، لكنها تحتاج إلى إخراج جديد وإظهار مشوِّق جذاب كي يطلع عليها الجيل الجديد ويستفيد .

وإذا كان هناك من توصيات في ضوء هذا البحث فإني أجملها فيما يلي :

1ـــ أن تتوافر الجهود لمزيد من الدراسات القرآنية التي تبرز الجانب المهم من إعجاز القرآن الكريم ليكون لها الأثر في تدبر القرآن الكريم وزيادة إيمان المسلمين ودعوة لغير المسلمين إلى هذا الدين بإظهار جماله وإعجازه .

2ـــ أن تُنشأ مراكز ومدارس خاصة للبحث في جانب الإعجاز البياني وإظهاره بصورة مشوقة وجذابة، لبعد أغلب المسلمين عن القراءة بشكل عام ، وعن اللغة العربية بشكل خاص .

فالعودة إلى الدراسات القرآنية عودة إلى اللغة العربية لأنها لغة القرآن الكريم ، وكفى بذلك شرفا لتلك اللغة العظيمة التي شرفها الله : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾[1]

---

(1) من سورة الشعراء 26 : (الآيات / 192 ـــــــــــ 195) .

3ـــ أن يتذكر المسلمون في كل مكان أن تدبر القرآن الكريم من أعظم العبادات التي يستجلب بها رضا الله ، وهو الخطوة الأولى لتطبيق القرآن كما أراد الله لنا . وأن هذا العمل يكون بالتدريب ومجالسة العلماء ودعاء الله بالفتح والفهم .

4ـــ أن تؤلف مناهج تعليمية خاصة بالمدارس لأجيالنا ، كلٌّ حسب مرحلته العمرية لتنشأ الأجيال على حب كتاب الله ، ولن يتم هذا الحب إلا بالفهم ، وبالفهم يسهل الحفظ والتطبيق ، ويزيد الحب والتعلق بهذا الكتاب العظيم الذي هو سبب سعادة الدارين .

تم الانتهاء من رسالة الدكتوراه (الألفاظ القرآنية وأثر تقلباتها ودلالاتها اللغوية في التفسير) في يوم الجمعة 21/ من شهر جمادى الأولى من عام 1433هـــ .

الفهارس

1ـــــــــ فهرس الآيات الكريمة

2 ــــــــ فهرس الأحاديث النبوية

3 ــــــــ فهرس الأعلام

4 ـــــــ فهرس المراجع

5 ـــــــ فهرس الموضوعات

1) فهرس الآيات الكريمة

الآية	السورة	رقمها	الصفحة
(ربنا آتنا في الدنيا حسنة)	البقرة	201	167
(ربنا أفرغ علينا صبرا)	البقرة	250	207
(سبحان الذي سخر لنا هذا)	الزخرف	13	83، 94
(سنستدرجهم من حيث)	القلم	44 ـــــ 45	190
(سيئت وجوه الذين كفروا)	الملك	27	243
(صبغة الله ومن أحسن صبغة)	البقرة	138	31
(ضرب الله مثلا رجلا)	الزمر	29	174
(طلعها كأنه رؤوس الشياطين)	الصافات	65	127
(عذاب من رجز أليم)	سبأ	5	132
(عطاء غير مجذوذ)	هود	108	60
(علم اليقين)	التكاثر	5	185
(على الموسع قدره)	البقرة	236	90
(عين اليقين)	التكاثر	7	191
(فإذا أفضتم من عرفات)	البقرة	198	223
(فإذا برق البصر)	القيامة	7	129
(فأرسل فرعون في المدائن)	الشعراء	53 ـــــ 54	204
(فأرسلنا عليهم رجزا من)	الأعراف	162	108
(فأرسلنا عليهم ريحا)	فصلت	16	149
(فأزلهما الشيطان عنها)	البقرة	36	201
(فاضرب لهم طريقا في البحر)	طه	77	55
(فافرق بيننا وبين القوم)	المائدة	25	196
(فأقبلت امرأته في صرة)	الذاريات	29	148
(فأما الإنسان إذا ما ابتلاه)	الفجر	15	191
(فإن زللتم من بعد ما جاءتكم)	البقرة	209	201
(فأنزلنا على الذين ظلموا)	البقرة	59	132

الآية	السورة	رقمها	الصفحة
(فما لكم في المنافقين فئتين)	النساء	88	238
(فمن زحزح عن النار وأدخل)	آل عمران	185	214
(فمن عفا وأصلح)	الشورى	40	143
(فمنهم من قضى نحبه)	الأحزاب	23	76
(فنادوا ولات حين مناص)	ص	3	83
(فهم في روضة يحبرون)	الروم	15	248
(فويل للذين يكتبون)	البقرة	79	164
(فيه ظلمات ورعد وبرق)	البقرة	19	127
(قال اخرج منها مذءوما مدحورا)	الأعراف	18	82
(قال النار مثواكم خالدين)	الأنعام	128	49
(قال أوسطهم ألم أقل)	القلم	28	142
(قال فخذ أربعة من الطير)	البقرة	60	219
(قال لا تثريب عليكم اليوم)	يوسف	92	51
(قال هذا ربي فلما أفل قال)	الأنعام	76	251
(قال يا نوح إنه ليس من أهلك)	هود	46	47
(قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها)	البقرة	30	217
(قالوا ألم تكن أرض الله)	النساء	97	171
(قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف)	يوسف	85	227
(قالوا سلاما قال سلام)	هود	69	17
(قالوا لا طاقة لنا اليوم)	البقرة	249	250 ـــــــــ 208
(قد أفلح المؤمنون)	المؤمنون	11-1	25
(قد أفلح من زكاها ، وقد خاب)	الشمس	10-9	47
(قد بينا الآيات لقوم)	البقرة	118	186
(قل الله ثم ذرهم)	الأنعام	91	252
(قل إن كان للرحمن ولد)	الزخرف	81	85 ، 96

الآية	السورة	رقمها	الصفحة
(لقد كدت تركن إليهم)	الإسراء	47	240
(لقوم يوقنون)	البقرة	118	191
(لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا)	المائدة	48	41
(للذين يؤلون من نسائهم)	البقرة	226	225
(لله ملك السماوات والأرض)	الشورى	49 ـــــ 50	170
(لئن كشفت عنا الرجز)	الأعراف	134	106
(ما كذب الفؤاد ما رأى)	النجم	11	90
(مالك يوم الدين)	الفاتحة	4	18
(مثل ما ينفقون في هذه)	آل عمران	117	148
(من كان يريد حرث الآخرة)	الشورى	20	169
(مهطعين إلى الداع)	القمر	8	97
(مهطعين مقنعي رؤوسهم)	إبراهيم	43	97
(نار الله الموقدة)	الهمزة	7-6	90
(نحن جعلناها تذكرة)	الواقعة	73	160
(نزاعة للشوى)	المعارج	16	114، 103
(نساؤكم حرث لكم)	البقرة	223	169
(هم وأزواجهم في ظلال على)	يس	56	81
(هن لباس لكم وأنتم)	البقرة	187	169
(هو الذي يصلي عليكم)	الأحزاب	43	124
(هو الذي يصوركم في الأرحام)	آل عمران	6	132
(وابتلوا اليتامى حتى إذا)	النساء	6	206
(وابيضت عيناه من الحزم فهو)	يوسف	84	228
(واترك البحر رهوا)	الدخان	24	87
(واجنبني وبني أن نعبد الأصنام)	إبراهيم	35	107
(وإذ فرقنا بكم البحر)	البقرة	50	196

الآية	السورة	رقمها	الصفحة
(يأيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم)	المنافقون	9	121
(يريد الله أن يخفف عنكم)	الحج	28	205
(يريدون أن يخرجوا من النار)	المائدة	37	65
(يريدون أن يخرجوا من النار)	المائدة	27	65
(يريدون ليطفئوا نور الله)	الصف	8	156
(يسومونكم سوء العذاب ويذبحون)	إبراهيم	6	219
(يصدون عنك صدودا)	النساء	61	246
(يغاثوا بماء كالمهل)	الكهف	29	163
(يقول يا ليتني قدمت لحياتي)	الفجر	24	71
(يوم ترونها تذهل كل مرضعة)	الحج	2	61
(يوم تكون السماء)	المعارج	8	162
(يوم يسحبون في النار على)	القمر	48	104
(يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق)	النور	25	21

2) فهرس الأحاديث النبوية

3) فهرس الأعلام

4) فهرس المراجع

القرآن الكريم .

1. أحكام القرآن لأبي بكـــر أحمد بن علي الجصاص ، متوفى 370 هـــ ، ط ، دار الكتاب العربي بيروت د ت .
2. أحكام القرآن لأبي بكر محمـــد بن عبد الله المعروف بابن العربي ، متوفى 543 هـــ ، ط ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى 1421هـــ ، 2001م .
3. أساس البلاغة ، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري متوفى 538 هـــ ، ط ، دار الفكر ، 1409 هـــ 1989 م .
4. أســـبـــاب النـــزول لأبي الحـــســـن علي بن أحمد النيسابوري ، متوفى 513 هـــ ، ط2 ، مطبعة البابي الحلبي بمصر ، 1387 هـــ ، 1968 م .
5. أسباب النـــزول للســـيوطي ، متوفى 911 هـــ ، ط ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت، 1422هـــ .

6. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقـــرآن لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ، دار الفكر بيروت لبنان 1415هـــ ، 1995م .
7. إعجاز القرآن للقاضي الباقلاني دار المعارف القاهرة 1374هـــ 1954م .
8. إعراب القرآن الكريم وبيانه ، لمحيي الدين درويش (معاصر) ، ط 3 ، اليمامة دمشق، بيروت ، دار ابن كثير ، دمشق بيروت ، دار الإرشاد للشؤون الجامعية ، حمص سورية ، 1412 هـــ 1992م .
9. الأئمة الأربعة لمصطفى الشكعة ، ط 2 ، دار الكتاب اللبناني ، 1403 هـــ ، 1983 م .
10. الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف 1426هـــ .
11. أسباب النزول المسمى لباب النقول في أسباب النزول ، للإمام الحافظ الحجة القدوة جلال الدين أبي عبد الرحمن السيوطي متوفى 911 ه ، ط ، مؤسسة الريان، 1422ه ، 2002 م .
12. الاستيعاب في أسماء الأصحاب لابن عبد البر متوفى 463 هـــ ، دار الفكر 1423هـــ ، 2002 م .
13. الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني متوفى 852 هـــ ، ط ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، د ت .
14. الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق . دراسة قرآنية لغوية وبيانية د. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ ، دار المعارف ط2 ، 1404هـــ 1984م .
15. الأعلام ، لخير الدين الزركلي متوفى 1972م ، ط6 ، دار العلم للملايين بيروت ، 1984 م .
16. الأم ، للإمام الشافعي متوفى 204 هـــ ، اعتنى به حسان عبد المنان ، ط ، بيت الأفكار الدولية ، د . ت .
17. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لجمال الدين عبد الله الأنصاري ، تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع . ط .

18. البحر المحيط لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان ، دار الكتب العلمية لبنان 1422هـ 2001م تحقيق عادل أحمد عبد الموجود .
19. البرهان في تناسب سور القرآن ، لأحمد الثقفي متوفى 708 هـ ، تحقيق الفلاح ، جامعة الزيتونة ، تونس ، 1408هـ ، ط جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .
20. البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي خرّج حديثه : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، ط ، 1408هـ 1988م .
21. التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور تأليف محمد الطاهر بن عاشور مؤسسة التاريخ العربي بيروت لبنان ط ، 1421هـ 2000م .
22. التخويف من النار ، لأبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي متوفى 795هـ ، ط ، دار النشر مكتبة دار البيان ، دمشق 1399هـ .
23. تراجم القراء للشيخ فائز عبد القادر ، ط .
24. التضمين النحوي في القرآن الكريم ، لمحمد نديم فاضل (معاصر) ، ط ، دار الزمان ، المدينة المنورة ، 1426هـ 2005 م .
25. التعريفات ، لعلي محمد الجرجاني متوفى 816 هـ ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، ط2 ، دار الكتاب العربي بيروت ، 1413هـ .
26. التفسير القيم لابن قيم الجوزية تحقيق محمد الفقي ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، 1398هـ 1978م .
27. الجامع لأحكام القرآن للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي – دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط 1408هـ 1988م .
28. الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني ، تحقيق محمد علي النجار ، عالم الكتب ، بيروت ، ط .
29. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي تحقيق د. أحمد الخراط . دار القلم ، ط ، 1415هـ .

30. الرسالة ، لمحمد بن إدريس الشافعي متوفى 204 هـ ، ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، ط ، د . ت .
31. الروض الريان في أسئلة القرآن للشيخ شرف الدين الحسين بن سليمان بن ريان ، تحقيق عبد الحليم بن محمد نصار مكتبة العلوم والحكم ، ط ، 1415هـ .
32. الزهد ، لابن المبارك متوفى 181 هـ ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، ط ، دار الكتب العلمية بيروت ، د . ت .
33. الزهـد ، للإمام أحمد بن حنبل متوفى 241 هـ ، ط ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، 1408 هـ 1987م .
34. الطبقات الكبرى لابن سعد متوفى 230 هـ ، ط ، دار صادر ، بيروت ، 1405هـ .
35. الفروق اللغوية لأبي الهلال العسكري ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، تحقيق حسام الدين القدسي .
36. الفـقه الإسلامي وأدلته ، لوهبة الزحيلي (معاصر) ، ط 3 ، دار الفكر ، 1409هـ ، 1989م .
37. الفـهرسـت ، لابن النديم متوفى 385 هـ ، ط ، دار المعرفة بيروت ، د . ت .
38. القاموس المحيط تأليف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي مطبعة مصطفى البابي الحلبي ط2 ، 1371هـ 1952م .
39. القراءات العشر المتواترة ، فكرة وتنفيذ علوي بن محمد بن أحمد بلفقيه ، إشراف محمد كريم راجح ، ط4 ، دار المهاجر للنشر والتوزيع ، 1425 هـ 2004م .
40. القراءات وأثرها في علوم العربية لمحمد سالم محيسن ، ط ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، 1404 هـ 1984م .
41. الكشاف عن حقائق التنـزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، للزمخشري متوفى 538 هـ ، دار المعرفة ، بيروت ، د ت .

42. الكشف والبيان لأبي إسحاق أحمد بن محمد النيسابوري ، دار النشر دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان ، 1422هـ 2002م ، تحقيق أبي محمد بن عاشور .
43. الكليات لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكنوي ، وضع فهارسه : د. عدنان درويش ، محمد المصري ، مؤسسة الرسالة ، ط ، 1412هـ 1992م .
44. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط ، 1413هـ 1993م .
45. المدخل لعلم تفسير كتاب الله تعالى ، لأبي النصر أحمد بن محمد السمرقندي المعروف بالحدادي متوفى بعد 400 هـ ، تحقيق صفوان داوودي ، ط ، دار القلم دمشق ، دارة العلوم بيروت ، 1408 هـ 1988 م .
46. المستدرك على الصحيحين .
47. المعارف لابن قتيبة متوفى 276 هـ ، ط ، دار الكتب العلمية بيروت ، 1407هـ ، 1987 م .
48. المعجزة الخالدة للدكتور حسن عتر ، دار البشائر الإسلامية ، ط 3 ، 1415هـ ، 1994م .
49. المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ، لفيف من المستشرقين ، نشره : أ . ي . ونسنك ، مكتبة بريل في مدينة ليدن سنة 1936م .
50. المعجم الوجيز ، لمجمع اللغة العربية ، مطابع شركة الإعلانات الشرقية ، دار التحرير للطبع والنشر .
51. المعجم الوسيط قام بإخراجه : إبراهيم مصطفى أحمد الزيات حامد عبد القادر ، محمد علي النجار ، دار الدعوة مطابع دار المعارف 1400هـ 1980م .
52. المغرب في ترتيب المعرب ، للإمام ناصر الدين المطرزي متوفى 610 هـ ، تحقيق محمود فاخوري وعبد الحميد مختار ، ط ، مكتبة دار الاستقامة ، 1399هـ 1979م .
53. المقتطف من عيون التفاسير ، لمصطفى المنصوري ، تحقيق محمد علي الصابوني ، ط2 ، دار القلم دمشق ، 1417هـ .

54. الموسوعة العربية الميسرة ، ط2 ، 1972م .
55. النبأ العظيم للدكتور محمد عبد الله دراز ، دار القلم ، ط 6 ، 1405هـ ، 1984م .
56. النكت والعيون لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري ، راجعه وعلق عليه : السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، مؤسسة الكتب الثقافية .
57. النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ، لمحمد رجب البيومي (معاصر) ، ط ، دار القلم دمشق ، الدار الشامية بيروت ، 1420 هـ 1999 م .
58. إنباه الرواة على أنباه النحاة ، للوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي متوفى 624 هـ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت ، 1406 هـ ، 1986 م .
59. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ، لأبي بكر جابر الجزائري (معاصر) ، ط ، 1414 هـ .
60. بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان ، ط .
61. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ،للسيوطي متوفى 911 هـ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط2 ، دار الفكر ، 1399 هـ 1979 م .
62. تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ، شرحه السيد أحمد صقر ، المكتبة العلمية ، بيروت لبنان ، ط3 ، 1401هـ 1981م .
63. تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن العكريم ، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان ط4 1414هـ 1994م .
64. تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل لمحي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي ، تحقيق محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط4 ، 1417هـ 1997م .
65. تفسير البيضاوي للإمام ناصر الدين أبو الخير عبد الله الشيرازي البيضاوي ، دار الفكر 1402هـ 1982م ، ط .

66. تفسير الجلالين للإمامين جلال الدين محمد بن احمد المحلي ، والعلامة جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي دار المعرفة بيروت لبنان .
67. تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي . دار المعرفة للطباعة والنشر ، ط ، بيروت لبنان .
68. تفسير الرازي المسمى مفاتيح الغيب لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1421هـ 2000م ، ط .
69. تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ط3 ، 1420هـ 1999م .
70. تفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي دار الجيل بيروت ط2 1410هـ ، 1990م .
71. تفسير القرآن المسمى تبصير الرحمن وتيسير المنان للعلامة علي بن أحمد المهايمي ، عالم الكتب ط2 ، 1403هـ 1983م .
72. تفسير اللباب لأبي حفص عمر بن علي بن عادل ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان .
73. تفسير النسفي لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي مطبعة علي صبيح وأولاده ط ، بدون تاريخ .
74. تفسير سفيان بن عيينة متوفى 198هـ ، لأحمد صالح محايري ، ط ، المكتب الإسلامي ، لبنان ، 1403هـ .
75. تفسير غريب القرآن لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة تحقيق السيد أحمد صقر ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان 1398هـ 1978م .
76. تنوير الأذهان من تفسير روح البيان للشيخ إسماعيل حقي البروسوي تحقيق الشيخ محمد علي الصابوني ، دار القلم دمشق ط 1408هـ 1988م .
77. تهذيب الأسماء ولالغات ، لأبي زكريا محيي الدين النووي متوفى 676 هـ ، ط، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د . ت .

78. تهـــذيب التهذيب ، لابن حجر العسقلاني متوفى 852 هـــ ، ط ، الهند ، 1325هـــ
79. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن السعدي متوفى 1376هـــ ، ط ، مؤسسة الرسالة بيروت ، 1420هـــ .
80. تيسير المنفعة بكتابي مفتاح كنوز السنة والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي لمحمد فؤاد عبد الباقي متوفى 1388هـــ ، ط2 ، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع ، 1404 هـــ 1984م .
81. حاشية الجرجاني على الكشاف .
82. حاشية الجمل على الجلالين للشيخ سليمان بن عمر العجيلي الشهير بالجمل، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي .
83. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، للحافظ أبي نعيم الأصفهاني متوفى 430 هـــ ، تحقيق سعيد بن سعد الدين خليل الاسكندراني ، ط ، دار إحياء التراث العربي، 1421هـــ ، 2001 م .
84. خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ، لعبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (معاصر) ، ط ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، 1413 هـــ ، 1992 م .
85. درة التنـــزيل وغرة التأويل لأبي عبد الله محمد الاسكافي ، دار المعرفة بيروت لبنان ط 1422هـــ 2002م .
86. روح المعاني لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي ، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان ط4 ، 1405هـــ 1985م .
87. زاد المسير في علم التفسير للإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي ابن محمد الجوزي القرشي البغدادي . المكتب الإسلامي ط4 ، 1407هـــ 1987م .
88. سنن الترمذي متوفى 279 هـــ ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ، ط ، المكتبة الثقافية ، بيروت .
89. سنن النسائي متوفى 302 هـــ ، بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي متوفى 911هـــ ، ط ، دار الحديث ، القاهرة ، 1407هـــ .

90. سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ، لماجد العامري (معاصر) ، ط 2 ، المدينة المنورة ، 1423 هـ ، 2002 م .

91. سير أعلام النبلاء ، تصنيف محمد بن أحمد الذهبي متوفى 1374 هـ ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، ط ، مؤسسة الرسالة ، 1406هـ .

92. صحيح مسلم متوفى 261 هـ ، بشرح النووي متوفى 676 هـ ، ط ، دار الريان ، القاهرة ، د ت .

93. صفة الصفوة ، لابن الجوزي متوفى 597 هـ ، ضبطه وخرج آياته وأحاديثه عبد الرحمن اللادقي وحياة شيحا اللادقي ، ط 4 ، دار المعرفة بيروت ، 1422 هـ ، 2001م .

94. صفوة التفاسير ، لمحمد علي الصابوني (معاصر) ، ط 5 ، دار القرآن الكريم بيروت ، 1402 هـ 1981م .

95. صور من حياة التابعين ، لعبد الرحمن رأفت الباشا (معاصر) ، ط ، 1400 هـ .

96. طبقات الشافعة الكبرى ، لتاج الدين أبي نصر عبد الوهاب السبكي متوفى 771هـ ، تحقيق محمود الطناحي وعبد الفتاح محمد ، ط ، د . ت .

97. علوم القرآن وإعجازه للدكتور عدنان زرزور ، دار الأعلام ، ط ، 1426هـ 2005م .

98. عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للشيخ شهاب الدين أحمد بن يوسف بن محمد بن مسعود بن إبراهيم الحلبي تحقيق : محمود محمد السيد الدغيم ، دار السيد للنشر ط 1407هـ 1987م ، صورة المخطوطة المحفوظة في خزانة مكتبة نور عثمانية في استانبول .

99. عون المعبود شرح سنن أبي داود متوفى 275 هـ ، للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي ، ضبط وتحقيق عبد الرحمن عثمان ، ط 2 ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

100. غرائب التفسير وعجائب التأويل لمحمود بن حمزة الكرماني ، دار القبلة للثقافة الإسلامية جدة مؤسسة علوم القرآن بيروت ط ، 1408هـ 1988م .
101. غـــريب القرآن وتفسيره ، لعبد الله بن يحيى بن المبارك اليزيدي متوفى 237 هـ، تحقيق محمد سليم الحاج ، ط ، عالم الكتب ، بيروت ، 1405هـ .
102. غريب القرآن وتفسيره لأبي عبد الرحمن عبد الله بن يحيى بن المبارك اليزيدي تحقيق محمد سليم الحج ، عالم الكتب ط 1405هـ 1985م .
103. فتح الباري شرح صحيح البخاري ، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني متوفى 852 هـ ، ط ، دار الفكر ، د ت .
104. فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن لشيخ الإسلام أبي يحيى زكريا الأنصاري ، تحقيق الشيخ محمد علي الصابوني ، دار القرآن الكريم بيروت ط 1403هـ .
105. فتح القدير لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني تحقيق د. عبد الرحمن عميرة . دار الوفاء المنصورة ط2 ، 1418هـ 1997م .
106. فهرست مصنفات تفسير القرآن الكريم إعداد مركز الدراسات القرآنية ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، ط ، ثلاث مجلدات 1424هـ .
107. في ظلال القرآن لسيد قطب . دار الشروق ط11 ، 1405هـ ، 1985م .
108. قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ، للحسين بن محمد الدامغاني بعد 400 هـ ، تحقيق عبد العزيز سيد الأهل ، ط 5 ، دار العلم للملايين بيروت ، 1985 م .
109. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، لمصطفى بن عبد الله المشهور بحاجـــي خليفة متوفى 1067 هـ ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، د . ت .
110. لسان العرب للإمام أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ، دار الفكر ، ط ، 1300هـ .
111. لمسات بيانية للدكتور فاضل السامرائي ، دار عمار ، ط 3 ، 1427هـ ، 2006م .

112. مباحث في علوم القرآن للدكتور مناع القطـــان ، مؤسسة الرسالة ، ط 12 ، 1403هـــ ، 1983م .

113. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي متوفى 807هـــ ، تحرير الحافظين العراقي وابن حجر ، منشورات مؤسسة المعارف بيروت ، 1406 هـــ 1986م .

114. مجمل اللغة لأحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان ، مؤسسة الرسالة ط2 ، 1406هـــ 1986م .

115. مختار الصحاح ، للشيخ الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي متـــوفى بعد 666 هـــ ، طـــبعة حديثة منقحة ، المـــكتبة الأموية بيروت ، دمشق ، 1398هـــ 1978م

116. مسند الإمام أحمد متوفى 241 هـــ ، ط ، بيت الأفكار الدولية ، لبنان ، 2004م .

117. معاني القرآن لأبي زكريا يحيى الفـــراء ، عالم الكتب ط3 ، 1403هـــ 1983م .

118. معجـــم الدراســـات القـــرآنية ، للدكتـــورة ابتســـام مـــرهون الصـــفار (معاصرة) ، ساعدت جامعة بغداد على نشره ، رقم تسلسل التعضيد 4 ، لسنة 1983 ـــ 1984م .

119. معجـــم المؤلفين ، لعمر رضا كحالة (معاصر) ، ط ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د . ت .

120. معجم مقاييس اللغة لأبي الحسن احمد بن زكريا بن فارس مطبعة البابي الحلبي ط 2 ، 1389هـــ 1969م .

121. مفـــاتح فهم القرآن تفسير لغريبه وتأويل لمشكله ، لأحمـــد عـــلي الإمـــام (معاصر) ، ط ، مطبعة الصباح ، 1421 هـــ 2000 م .

122. مفاتيح فهم القرآن لأحمد علي الإمام دار المنى ط 1412هـــ 2000م .

123. مفردات ألفاظ القرآن ((نظرات جديدة في تفسير ألفاظ قرآنية)) ، لعبد الحميد الفراهي متوفى 1349هـ ، ط ، دار الغرب الإسلامي ، 2002 م .

124. مفردات ألفاظ القرآن للشيخ الراغب الأصفهاني . تحقيق الدكتور : صفوان عدنان داودي ، دار القلم ، الدار الشامية ، ط ، 1412هـ ، 1992م .

125. مناقب الإمام الشافعي ، لعماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي الشافعي متوفى 774 هـ ، تحقيق خليل إبراهيم ملا خاطر ، ط ، مكتبة الإمام الشافعي ، الرياض ، 1412 هـ 1992م .

126. مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني – دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان ، ط3 .

127. منهج تربوي فريد في القرآن للدكتور محمد سعيد بن رمضان البوطي ، مؤسسة الرسالة ، مكتبة الفارابي ، ط ، 1405هـ .

128. نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ، لابن الجوزي متوفى 597 هـ ، تحقيق محمد عبد الكريم كاظم الراضي ، ط ، مؤسسة الرسالة ، د . ت .

129. نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق ، لمحمد ناصر الدين الألباني ، منشورات المكتب الإسلامي بدمشق ، 1372هـ ، 1952م .

130. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي دار الكتب العلمية بيروت ط2 ، 2003م 1424هـ .

131. الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع لعبد الفتاح عبد الغني القاضي ، مكتبة الدار ، المدينة المنورة ، ط2 ، 1410ه 1989م .

132. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن أبي بكر بن خلكان متوفى 681 هـ ، تحقيق إحسان عباس ، ط ، دار صادر بيروت ، د . ت .

5) فهرس الموضوعات

